

مكاشفة القلوب

المقرب إلى حضرة علام الغيوب

لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

، مختصر من المكاشفة الكبرى ،

حقق نصوصه وخرج أحاديثه

أبو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

نسبه :

هو الإمام الكبير أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي .

مولده :

ولد في طوس ، ونشأ فيها ، وكان حاكماً مقبلاً على طلب العلم وتحصيله ، وأخذ العلم عن جميع من المشايخ منهم إمام الحرمين ، ثم ولاه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد .

تصانيفه :

ألف الإمام الغزالي الكثير من المؤلفات نذكر منها :

(١) « البسيط » في الفروع على « نهاية المطلب » لإمام الحرمين .

(٢) « الوسيط » في الفقه الشافعي .

(٣) « الوجيز » في الفروع .

(٤) « تهافت الفلاسفة » .

(٥) « مقاصد الفلاسفة » .

(٦) « إحياء علوم الدين » .

(٧) « فضائح الباطنية » .

(٨) جواهر القرآن .

وفاته :

توفي - رضى الله عنه - في سنة (٥٠٥ هـ) .

انظر ترجمته في :

(١) العبر ٤ / ١٠ .

(٢) شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ .

(٣) النجوم الزاهرة ٥ / ٧٥ .

كتبه :

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الأرزاق والأقوات وأثاب على الأعمال الصالحات .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي للمعجزات الظاهرات الذي حصل من نوره وجود الكائنات .

وبعد فهذا كتاب اخترته من الكتاب البديع حسن لصنع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب إلى حلام الغيوب المنسوب إلى الشيخ الغزالي وقد سميت كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والمنسوب واقتصرته فيه على مائة وأحد عشر باباً ليحفظ ما فيها أولو العلم والألباب .

الباب الأول

في بيان الخوف

جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « أن الله تعالى خلق ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة ، وعليه يعدد خلق الله تعالى ريش ، فإذا صلى رجل أو امرأة من أمتي صلى ، أمره الله تعالى بأن ينغمس في بحر من نور تحت العرش ليغمس فيه ثم يخرج ويغفر جناحيه فيقطر من كل ريشة قطرة . فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة »

قال بعض الحكماء : سلامة الجسد في قلة الطعام ، وسلامة الروح في قلة الأثام وسلامة الدين في الصلاة على خير الأنام .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ يعني اعشوا الله ﴿ وَتَقَرُّ قُلُوبُكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِلَّهِ ﴾ يعني ما عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) من الخير والشر ، فإن الملائكة والسماء والأرض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى أن جوارحه تشهد عليه والأرض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول : صلى على وصام وحج وجهاد فيخرج المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والمعاصي فتقول : أشرك على ظهري وشرب الخمر وأكل الحرام فياويله أن

(١) آية (١٨) سورة الحشر .

ناقشه في الحساب أرحم الراحمين .

المؤمن هو الذي يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث : علامة خوف الله تظهر في سبعة أشياء :

أولها : لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والشتمية والبهتان وكلام الفضل ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

والثاني : قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الإخوان ، لأن الحمد يمحو الحسنيات كما قال ﷺ : « الحمد ياكل الحسنيات كما تأكل النار الحطب » (١) .

وعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة في القلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل .

والثالث : نظره فلا ينظر إلى الحرام من الأكل والشرب والكسوة وغيرها ولا إلى الدنيا بالرغبة ، بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر إلى ما لا يحل له كما قال ﷺ : « من ملا عينه من الحرام ملا الله تعالى يوم القيامة عينه من النار » (٢) .

والرابع : بطنه فلا يدخل بطنه حراما فإنها أثم كبير كما قال ﷺ : « إذا وقعت لقمة من الحرام في بطن ابن آدم تمت كل ملك في الأرض والسماء ما دامت تلك اللقمة في بطنه ، وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنم » .

والخامس : يده فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدّها إلى ما فيه طاعة الله تعالى .

وروى عن كعب الأحبار أنه قال : أن الله تعالى خلق داراً من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت لا يتزلها إلا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى .

والسادس : قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

والسابع : طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والتشاق فلذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم : « وَالْآخِرَةُ حِذْرُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ » (٣) وقال في آية

(١) (ضعيف) أبو داود (٤٩٠٣) ، وضعيف الجامع (٢١٩٧) .

(٢) (موضوع) القوائد للجموعة ص (٢٠٧) : حديث (٢٧) .

(٣) آية (٣٥) سورة الزخرف .

أخرى : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » (١) وقال الله تعالى : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَعْنِيمٍ » (٢) وقال الله تعالى : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ » (٣) كأنه تعالى يقول : أنهم يتجرون يوم القيامة من النار .

ويشفي للمسلم أن يكون بين الخوف والرجاء ليرحمه رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى : « لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » (٤) ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب إلى الله .

حكاية : بينما داود - عليه السلام - جالس في صومته يطر الزبور إذ رأى دودة حمراء في التراب فقال في نفسه ما أراد الله في هذه الدودة ؟ فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت : يا نبي الله أما نهاري فأنهمني ربي أن أقول في كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وأما ليلي فأنهمني ربي أن أقول في كل ليلة اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة ، فأنت ما تقول حتى أسعيد منك ، فندم داود - عليه السلام - على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب إليه وتوكل عليه .

وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - إذا ذكر خطيئته يفضي عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فأرسل الله إليه جبريل فأتاه فقال له الجبار بقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلي يخاف خليله فقال يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي وفكرت في عقوبتي نسيت خلتي .

فهذه أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين والزهادين فتأمل ؟ .

الباب الثاني

في الخوف من الله تعالى أيضا

قال أبو الليث - رحمه الله تعالى - : أن لله ملائكة في السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى إلى يوم القيامة ترعد فراسخهم من مخافة الله تعالى ، وإذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤوسهم فقالوا سبحانك ما عبدتك حتى عبادتك وذلك قوله تعالى : « يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (٥) يعني لا يعصون الله تعالى طرفه عين . وقال رسول الله ﷺ : « إذا اقتصر جسد العبد من خشية الله تعالى تحانت عنه ذنبه كما يتحانت عن الشجرة ورقها » .

حكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها فذهب الرجل معها فلما

(٢) آية (١٧) سورة الطور .

(٤) آية (٥٣) سورة الزمر .

(١) آية (٤٥) سورة الحجر .

(٣) آية (٥١) سورة النحل .

(٥) آية (٥٠) سورة النحل .

خلا بها في البادية وتام الناس أفتى الرجل سره إليها فقالت له المرأة : انظر أنام الناس بأجمعهم قفرح الرجل بقولها وظن أنها قد أجابت فقام وطاف حول القافلة فإذا الناس نيام فرجع إليها وقال لها نعم هم نيام فقالت : ما تقول في الله تعالى أنائم في هذه الساعة فقال الرجل إن الله تعالى لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة : إن الذي لم ينم ولا ينام يرانا وإن كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف منه ، فتركها الرجل خوفا من الخالق ، وقاب ورجع إلى وطنه ، فلما مات رآوه في المنام فقبل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بخوفي وتركى ذلك الذنب .

حكاية : كان في بني اسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته للجافة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيئا ليعالها فجاءت إلى بيت رجل تاجر وطلبت منه ما تقوت به عيالها فقال الرجل : نعم ولكن مكنتني من نفسك فسكت المرأة وصادت إلى بيتها فنظرت إلى عيالها يصيحون ويقولون يا أمي نحن نموت من الجوع أعطنا ما نأكله فذهبت إلى الرجل وكلمته في أمر عيالها فقال لها : أنتكون حاجتي مقضية فقالت : نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها فقال لها : مالك ؟ فقالت إني أخاف الله فقال الرجل إنك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك ، وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت بنعمة كثيرة إلى أولادها قفرحوا فأوحى الله إلى - موسى عليه السلام - أن قل لفلان ابن فلان أنى قد غفرت ذنوبه ، فجاء موسى - عليه السلام - فقال لملك قد فعلت خيرا بينك وبين الله ، فذكر القصة عليه ، فقال إن الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك . . كذا في مجمع اللطائف .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « لا أجمع على عبيد خوفين ولا أمنين ، من خافني في الدنيا أمته في الآخرة ، ومن آمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة » (١) قال الله تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوْا اللَّهَ ﴾ (٢) وقال في آية أخرى ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مَعَهُ ﴾ (٣)

وكان عمر - رضي الله عنه - يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مفشيا عليه وأخذ يوما تبة فقال يا ليتني كنت تبة ولم أك شيئا مذكورا ، يا ليتني لم تلدن أمي ، ويكي كثيرا حتى تجرى دموعه من عينيه ، فكان في وجهه عطان أسودان من الدموع ، وقال ﷺ « لا يبلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » .

وفي رقائق الأخيار : يؤتى بعد يوم القيامة فتخرج سيئاته فيؤمر به إلى النار فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول : يا رب رسولك محمد ﷺ قال : « من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار وإنى بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة

كنت تبكي من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكي من خشية الله في الدنيا ، وينادي جبريل - عليه السلام - نجيا فلان ابن فلان بشعرة واحدة » .

وفي بداية الهداية : إذا كان يوم القيامة جئهم بجهنم تزهرة زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثية ﴾ (١) أي على الركب « كل أمة تدعى إلى كتابها » فإذا أتوا النار سمعوا لها نغيظا وزليلا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام ، وكل واحد حتى الأنبياء يقول : نفسي نفسي إلا صفى الأنبياء ﷺ فإنه يقول : أمتى أمتى ، وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجهد أمة محمد ﷺ في دفعها وتقول يا نار بحق المسلمين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعي فلا ترجعي وينادي جبريل - عليه السلام - أن النار قصدت أمة محمد ﷺ ثم يأتي بقدر من ماء فينأله رسول الله ﷺ ويقول : يا رسول الله خذ هذا فرشه عليها فرشه عليها تطلقا في الحال فيقول ﷺ ما هذا فيقول : جبريل - عليه السلام - هذا ماء دموع عصاة أمك الذين بكوا من خشية الله تعالى قالان أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتطلق النار بأذن الله تعالى .

وكان ﷺ يقول : « اللهم ارزقني حين تبكيان من خشيتك قبل أن لا يكون الدمع » (٢)

أعني هلا تبكيان على ذنبي تنثر حمري من يدي ولا أدرى

حكى عن محمد بن المنذر - رحمه الله تعالى - أنه كان إذا بكى يمسح وجهه وحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع ، فينبغي للمؤمن أن يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات الفسادية كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَفَى (٣٧) وَكَرَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَالَفَ مَقَامَ رَبِّهِ وَتَوَلَّى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) ﴾ (٣) ومن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي .

وفي زهر الزمان : روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة تلتقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتقرش رؤسهم بألوان الأطعمة والفواكه وتكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله : « يا عبادي ما هذه الحيرة وليست هذه حيرة » ؟ فيقولون : إن لنا موعدا قد جاء وقته . فيقول الله تعالى : « ارفعوا الحجب عن الوجوه » فتقول الملائكة : يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة ؟ فيقول الله تعالى : « ارفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين

(١) آية (٢٨) سورة الحاقة .

(٢) (ضعيف) حلية الأولياء ١٩٦ / ٢ - ١٩٧ ، وضعيف الجامع (١٦٧٣) ، والضعيفة (٢٩٠٥) .

(٣) آية (٣٧ - ٤١) سورة النازعات .

(٢) آية (٤٤) سورة المائدة .

(١) إتحاف السادة المصنفين ١٠ / ٢٧٧ .

(٣) آية (١٧٥) سورة آل عمران .

ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقائي « فرفع الحبيب فيظنون فيخرون سجد لله - عز وجل - فيقول الله تعالى : « ارفعوا رؤوسكم فإن هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة » فينجلى لهم بلا كيف ويقول لهم اتبساطا « سلام عليكم عبادي فقد رضيت عنكم فهل رضيتهم عنى » فيقولون وما لنا يا ربنا لا نرضى وقصد أعطينا مالا حين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » (١) وقوله تعالى « سلام قولا من رب رحيم » (٢)

الباب الثالث

فى الصبر والعزم

من أراد أن يتنجو من عذاب الله ويتأهل ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليته نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائد ما ومصائبها ، كما قال الله تعالى : « وَاللَّهُ يَجِبُ الْعَاصِرِينَ » (٣) والصبر على أوجه : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارمه ، وصبر على المصيبة وعند الصدمة الأولى

فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين السماء والأرض ، ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والأرض السابعة ، ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين العرش إلى الأرض .

روى عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي إلا أعطيت قبل أن يسألني وأستجب له قبل أن يدعوني ، وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني إلا أضلقت أبواب السماء عنه » فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة ، لأن أشد البلاء على الأنبياء والأولياء .

قال الجليلي البغدادي - رحمه الله - : البلاء مرآة العارفين ومظلة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين ، لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر .

وقال ﷺ : « من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله خرج من قنوبه كيوم ولدته أمه ، فإذا مرضتم فلا تتمنوا العافية » (٤) .

قال الضحك من لم يثقل بين كل أربعين ليلة بيلة أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير .

(١) آية (١١٩) - سورة الأئدة .

(٢) آية (١٤٦) - سورة آل عمران .

(٣) آية (٥٨) - سورة يس .

(٤) تنزيه الشريعة ٢ / ٣٥٦ يجمع .

وعن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال : إذا ابتلى العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ : « إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكا فقال انظرا ما يقول عبدى فإن هو قال الحمد لله رفع ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن أنا توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شقته أن أبدله لحما خيرا من لحمة ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته » (١) .

حكى أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن متعه من فسقه ففزعوا إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - أن في بني إسرائيل شابا فاسقا ، فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه ، فجاء موسى - عليه السلام - فأخرجه فذهب الشاب إلى قرية من القرى فأمر الله موسى أن يخرج من تلك القرية فأخرجه موسى - عليه السلام - فخرج إلى مفازة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرضى في تلك المفازة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني ولبكت على ملتي ، ولو كان والدي حاضرا لأهنتني وتولى أمرى ، ولو كانت زوجتي حاضرة لبكت على قراني ، ولو كان أولادى حاضرين عندى ليكوا خلف جذرتي ولقالوا اللهم أغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي الفاسق المظروء من بلده إلى قرية ومن القرية إلى مفازة ومن المفازة يخرج من الدنيا إلى الآخرة أبسا من كل الأشياء . اللهم قطعني عن والدي وأولادى وزوجتي فلا تقطعني من رحمتك فإنك أحرق قلبى بفراقهم فلا تحرقنى ببارك لأجل معصيتي ، فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وخدمتا على صفة أولاده ، وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال : إن هذا والدي ووالدتي وزوجتي وأولادى حضروا عندي وطاب قلبه ، ووصل إلى رحمة الله تعالى طاهرا مقفورا له ، فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إذ ذهب إلى مفازة كذا وموضع كذا فإنه مات ولي من الأولياء فأحضره وتول أمره ووارده ، فلما حضر موسى - عليه السلام - ذلك الموضع رأى الشاب الذي كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور المعين حوايه فقال موسى - عليه السلام - : يا رب أما هذا الشاب الذي أخرجه من البلد ومن القرية بأمرى ؟ فقال الله تعالى يا موسى إنى رحمته وتجاوزت عنه بآيته في موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته أرسلت إليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون على مثله في غربته فإنه إذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الأرض ورحمة له ، فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين ؟ !

(١) الموطأ ص (٧١٧) : حديث (٥) .

إذا وقع الغريب في النزاع يقول الله تعالى : يا ملائكتي هذا قريب مسافر ترك أولاده وحياله ووالديه وإذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحداً من الملائكة على صورة أبيه وواحداً على صورة أمه وواحداً على صورة ولده وواحداً على صورة واحد من أئامه فيدخلون عليه فيفتح عينه فيرى والده وحياله فيطيب قلبه وتخرج روحه مع الفرح والسرور .

ثم إذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له « لي قبره إلى يوم القيامة فذلك قوله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ (١) »

وقال ابن عطاء : يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى : « من لم يرخصي بقضائي ولم يشكر لمطالي فليطلب ربا سواي » (٢) .

حكى وهب بن منبه أن نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ، فقال يا رب لماذا تغفر لي ولم أذنّب قط ؟ فأمر الله حلقه فحسب عليه ولم يتم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشكا إليه ما لقى من ضربان العرق فقال إن ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق .

الكتاب الرابع

في الرياضة والشهوة النفسانية

أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - : يا موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسوسة قلبك إلى قلبك ومن ريحك إلى بنفك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن سمعك إلى أذنيك فأكثر من الصلاة على محمد ﷺ . قال تعالى : « ولتنظر نفس ما قدمت لقد » يعني ما عملت في يوم القيامة .

اعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء هي أصدق لك من إبليس وإنما يتفوق عليك الشيطان بهوى النفس ، وشهواتها فلا تغترنك نفسك بالأماني والفروور ، لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفتنة والكسل فدعواها باطل وكل شيء منها ضروري وإن وضعت عنها واتيمت أمرها هلكت وإن غفلت عن محاسنها فرقت وإن عجزت عن مخالفتها وأتبع هواها قادتك إلى النار .

(١) آية (١٩) سورة الشورى .

(٢) (ضعيف) تحف السادة المتقين ٩ / ٦٥١ ، وضعيف الجامع (٥٨٤٢) .

وليس للنفس مرجوع إلى الخير هي رأس البلاء ومعدن الفضيحة وهي خزانة إبليس وماوى كل شر لا يعرفها إلا خالفها ﴿ وأنظروا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ يعني من الخير والشر .

وإذا تفكر العبد فيما مضى من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكير غسل القلب كما قال ﷺ « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » (١) كلما في تفسير أبي الليث .

فينبغي للماعل أن يتوب من اللذات الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجبه في الدار الآخرة ، ويقتصر الأمل ويجعل التوبة ويذكر الله تعالى ، ويترك المناهى ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صتم ، فمن عبد النفس بعبد الصنم ومن عبد الله بالإخلاص فهو الذي قهر نفسه .

وروى أن مالك بن دينار كان يمشى في سوق البصرة فرأى التين فاشتتهاه فخلع ثكله وأعطاه إلى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النمل وقال لا يساوى شيئا فمضى مالك ، فقبل للبقال ليس تعرف من هذا ؟ قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له إقبل هذا مني فأبى فقال إقبل فان فيه تمريرى فقال له مالك بن دينار : إن كان فيه تمريرى ففيه تمريرى ، فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا أكل التين إلى يوم الدين .

حكى أن مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه فاشتتهى قدحا من العسل واللبن ليشرده فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمله إليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقى من عمرك ساعة ورمى القدرح عن يده وصبر نفسه ومات . . وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء والصادقين والعاشقين والزهادين .

قال سليمان بن داود - عليه السلام - أن القاهر لنفسه أشد من يفتح المدينة وحده .

وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - : ما أنا ونفسي إلا كراهي غم كلما ضمهما من جانب انتشرت من جانب آخر ، من أمارت نفسه يلف في كفن الرحمة ، ويدفن في أرض الكرامة ، ومن أمارت قلبه يلف في كفن اللمة ويدفن في أرض العقوبة .

قال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى - : جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام ، وحمل الأذى من الأنام والقلة من الطعام ، ليتولد من قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى اللبوغ إلى الغايات ، ومن قلة الطعام موت الشهوات لأن في كثرة الأكل قسوة القلب وقهاب نوره ، نور الحكمة الجيوع و

(١) (موضوع) تذكرة الموضوعات (١٨٨) ، وضعيف الجامع (٣٩٨٨) .

الشيء يبعد من الله كما قال ﷺ : « نوروا قلوبكم بالجوع وجاعدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديبوا قلوبكم باب الجنة بالجوع فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله ، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش ولن يبلغ ملكوت السماء من ملاطه وفقد حلوة العبادات » .

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : ما شبت منذ أسلمت لأجد حلوة عبادة ربي ، وما رويت منذ أسلمت الشيطان إلى لقاء ربي ، لأن في كثرة الأكل قلة العبادة ، لأنه إذا أكثر الإنسان الأكل ثقل بدنه وغلبت عيناه وفترت أعضاؤه فلا يبقى منه شيء وإن اجتهد إلا النوم فيكون كالجيفة الملقاة - كذا في منهاج العابدين .

عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تكثر النوم والأكل فإن من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة . . كذا في منية الفنى .

وقال ﷺ : « لا تخمروا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزروع إذا كثرت عليه الماء » . (١)

ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن للعدة كاللندز تحت القلب تغلى البخار يصل إلى فطرة البخار تكبره وتسوده وفي كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فإن البطنة تذهب الفطنة .

حكى عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم قال يحيى : هل تجد لي فيها شيئا قال : لا إلا أنك شبت ذات ليلة فقللتك من الصلاة ، قال يحيى - عليه السلام - : لا جرم أنى لا أشبع أبدا . فقال إبليس لا جرم أنى لا أنصح أحدا أبدا . فهذه فيمن لم يشبع في صومه الليلة فكيف بمن لا يجوع في صومه ليلة ثم يطعم في العبادة .

حكى أيضا عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أنه شبع مرة من غبض شعير فنام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى هل وجدت ذارا هي خير لك من تارى أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى ، وهزنى وجلالى لراطلعت على الفردوس واطلمت على جهنم لبيكت الصديد بدل الدموع وللبست الحديد بدل السروج .

(١) (الصغيفة (٢٢١) ، وتذكرة الموضوعات (١٥١))

الباب الخامس

فى غلبة النفس وعداوة الشيطان

ينبغى للعالم أن يقمع شهوة النفس بالجسوع إذا الجسوع نهر لعبد الله ، قال ﷺ : الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ^(١) إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه ، وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وحواه من دار القرار إلى دار الدل والافتقار ، اذ نهامهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سوراتهما . والبطن على التحقير يتبرح الشهوات .

وقال بعض الحكماء : من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هفواتها ، ومنعت قلبه من القوائد ، من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد خرص في قلبه شجرة الندامة .

إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة صروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة ، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل ، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة ، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم محيرته ، ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة .

حكاية : قال إبراهيم الخواص : كنت في جبل للكمام فرأيت رمانا فاشتتهته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد أجمعت عليه الزنايير فقلت : السلام عليك فقال لي : عليك السلام يا إبراهيم ، فقلت : من أين عرفتي فقال : من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من هذه الزنايير ؟ فقال إني أرى لك من الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من شهوة الرمان فإن الرمان يبعد الإنسان الله في الآخرة ولقح الزنايير يبعد الله في الدنيا ، ولقح الزنايير على النفوس ولقح الشهوات على القلوب . . فمضيت وتركته .

الشهوة تصوير الملوك عبيدا ، والصبر بصير العبيد ملوكا ، ألا ترى إلى قصة يوسف - عليه السلام - وزليخا ، فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره ، وصارت زليخا ذليلة فقيرة صغورا عمية لأجل شهواتها ، فإن زليخا لم تصبر عن محبة يوسف .

حكى : أبو الحسن الرازى أنه رأى والده في منامه بعد موته يستين وعليه ثياب من القطران فقال يا أبى ما لى أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا والدى جذبتنى نفسى إلى النار فاحذر يا ولدى من خديعة نفسك .

(١) (صحيح) أحمد ٣ / ٣٠٩ وصحيح الجامع (١٦٥٨) .

إني ابتليت بإربع : ما سلطو •• إلا لشدة شقوتي وعثائي :
إليس والدنيا ونفسي والهوى •• كيف الخلاص وكلهم أعدائي
وأرى الهوى تدعو إلي خواطري •• في ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الأصم رحمه الله : نفسي وباطني ، وعلمي وسلامي ، وفني وخيبي والشيطان عدوي ، وأنا بنفسي غادر .

حكى عن بعض أهل المعرفة أنه قال : الجهاد على ثلاثة أصناف : جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذي في قوله تعالى : ﴿ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والخبرة كقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدْنَاهُمْ بِأَلْفٍ مِنْ أَحْسَنِ ﴾ (٢) وجهاد مع النفس الأمار بالسوء كالذي في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِيمَا تَعْبُدُهُمْ سِوَانَا ﴾ (٣) وقوله ﴿ أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ ﴾ .

إن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا إذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . وإنما سمو الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لأن الجهاد معهما أديم وجهاد الكفار يكون في وقت دون وقت ، لأن الغازي يرى العدو ولا يرى الشيطان ، والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ، ولأن للشيطان معينا من نفسه وهو الهوى ، وليس للكافر من نفسه معين ، فلذلك كان أشد ، ولأنك إذا قتل الكافر نجت النصر والخيمة وإن قتل الكافر نجت الشهادة والجنة . ولا تغدر أن تقتل الشيطان ، وأن تقتل الشيطان في عقوبة الرحمن . كما قيل من فر منه فرسه في الحرب يقع في أيدي الكفار ، ومن فر منه الإيمان يقع في غضب الجبار نعوذ بالله منه ، ومن وقع في أيدي الكفار لا تغل يده إلى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجمع بطنه ولا يهرى يده ، ومن وقع في غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده إلى عنقه بالأغلال وتقيد رجله بقيود النار ، ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار .

الباب السادس

في الغفلة

الغفلة تزيد الحسرة ، الغفلة تزيل النعمة ، وتحجب عن الخدمة ، الغفلة تزيد الجسد ، الغفلة تزيد الملازمة والتندامة .

(١) آية (٥٤) سورة المائدة .

(٢) آية (١٢٥) سورة النحل .

(٣) آية (٦٩) سورة العنكبوت .

حكى أن بعض الصالحين رأى أستاذه في المنام فسأله أي الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة . وروى أن بعضهم رأى ذا النون المصري في منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال لي يا مدح يا كذاب ادعيت محبتي ثم غفلت عني .

أنت في غفلة وقلبك ساهي •• ذهب العمر والذنوب كما هي

حكى أن رجلا من العناطين رأى والده في منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال له يا ولدي عشا في الدنيا غافلين ومتنا خافلين .

وفي زهر الرياض كان يعقوب - عليه السلام - مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزارا جئت أم قابضا روحى ، فقال بل زارنا قال فإني أسألك حاجه قال : وما هي قال : أن تعلمني إذا دنا أجلي وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل إليك رسولين أو ثلاثة ، فلما انقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال أزارا جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال أرسلت كنت أعبرني أنك ترسل إلى رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت يياض شعرك بعد سواده . وضعف يدك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذه وسلى يا يعقوب إلى بنى آدم قبل الموت .

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل •• وجاء رسول الموت والقلب غافل

نعيمك في الدنيا ضرور وحسرتا •• وعيشك في الدنيا محال وباطل

قال أبو علي الدقاق دخلت على رجل صالح أحوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكي وقد بلغ أوكمل العمر فقلت له أيها الشيخ م بكاؤك أعلى الدنيا ؟ فقال : كلا بل أبكي على فوت صلاتي ، قلت : وكيف ذلك وقد كنت مصليا ؟ قال لأنني قد بقيت يومي هذا وما سجدت إلا في غفلة ولا رفعت رأسي إلا في غفلة وما أنا أموت على الغفلة ثم أنه تنفس الصعداء وأشد يقول :

تفكرت في حشرى ويوم قيامتى •• وأصباح غمدى في المقابر ثاوي

فسريدا وحيدا بعد عز ورفعة •• رهيبا بهجرى والتراب وساديا

تفكرت في طول الحساب وعرضه •• وذلل مقامى حين أعطى كتابيا

ولكن رجائى فيك ربى وخالقي •• بأنك تعضربا الهوى غطائيا

وفي حيون الأخبار ذكر عن شقيق البلخي أنه قال : الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد تألفوها في أعمالهم : يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم . ويقولون

أن الله كثير بأرزقانا ولا تطمن قلوبهم إلا بالدنيا ، وجمع خطاياهم : وهذا أيضا خلاف قولهم .
ويقولون لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم .

فانظر لنفسك يا أخي بأي بدن تقف بين يدي الله تعالى وبأي لسان تحييه ، وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير ، فأعد للسؤال جوابا وللجواب جوابا ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي من الخير والشر ، ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحّدوه في السر والعلانية جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ومحب من أحبني ومحب من دعاني وغافر لمن استغفرني » (١) ، فينبغي للماعقل أن يطيع الله بالخوف والإخلاص في طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه وبالشكر على نعمائه والقناعة بإعطائه يقول الله تعالى : من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعمائي ولم يفتح ببطائي فليطلب ريا سوائي (٢) .

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله : إني لا أجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت في وجه من لا يخاف الله .

العبودية أن تترك الأشياء كلها لله .

وقال رجل لأبي يزيد رحمه الله إني لا أجد للطاعة لذة فقال لأنك تعبد الطاعة ولا تعبد الله أعبد الله حتى تجد للطاعة لذة .

حكى أن رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ (٣) عطر بباله أنه عابد لله في الحقيقة فردى في السر كذبت إنما تعبد الخلق فتأب واعتزل الناس ، ثم شرع في الصلاة انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد مالك فتصدق بماله كله ، ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد ثيابك فتصدق بها إلا ما لا بد له منه ، ثم شرع فيها فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي الآن صدقت إنما تعبد ربك .

وفي روثق للحجالي : ضاع لرجل جوائق فلم يدرك من أخذها منه فلما دخل في الصلاة تذكره فلما سلم قال للسلامة انذهب إلى فلان ابن فلان واسترد منه الجوائق فقال له السلام متى ذكرته فقال حين كنت في الصلاة فقال يا مولاي كنت طالب الجوائق لا طالب الخلق ، فأعطاه مولاه ببركة اعتقاده .

وينبغي للماعقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويفكر أمامه ويريد الآخرة ، كما قال الله

(٢) ميم بحريجه

(١) صحيح البخاري ١٥٤٠
(٢) سورة النحل ١٣١

تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا ﴾ (١) أي ملائها من لباسها وطعامها وشرابها ﴿ نؤت منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ بأن ينزع من قلبه حب الآخرة ، ولذلك أنفق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على النبي ﷺ أربعين ألف دينار في السر وأربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء ، وكان ﷺ معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ، ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء - رضي الله عنها - لما زوجها النبي ﷺ من علي جلد كبش مهبوع ووسادة آدم حشوها ليف .

الباب السابع

في نسيان الله تعالى ، والفسق والنفاق

جاءت امرأة إلى الحسن البصري - رضي الله عنه - فقالت إنه كانت لي ابنة شابة فماتت وأحببت أن أراها في المنام فحسنتك كي تعلمني ما أستعين به على رؤيتها فعملها فرأتها وعليها لباس من قطران وفي عتقها الغل وفي رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاقتم ، ومضت مدة ثم رآها الحسن في الجنة وعلي رزسها تاج فقالت يا حسن بذلك أما تعرفني أنا ابنة المرأة التي أتيتك وقالت لك كلنا فقال لها ما الذي صيرك إلي ما أرى ؟ قالت مر بنا رجل فصلى على النبي ﷺ مرة وكان في المقبرة خمسمائة وخمسون إنسان في العذاب فتودى إرفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل . بصلاة رجل على محمد ﷺ أصابهم المغفرة فمن صلى عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعة يوم القيامة .

قال الله تعالى : ﴿ ولا تكونوا ﴾ أي في المعصية ﴿ كالأبدين ﴾ يعني المنافقين الذين ﴿ تسوا الله ﴾ (٢) يعني تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلفذوا بشهوات الدنيا وركنوا إلى غرورها .

ومثل رسول الله ﷺ عن المؤمن والمنافق فقال : « إن المؤمن همه في الصلاة والصيام والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة ، والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل ، والمؤمن أسر من كل أحد إلا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله ، والمؤمن يحسن ويكفي ، والمنافق يسر ويضحك ، والمؤمن يحسب الوحدة والخلة ، والمنافق يحب الخلطة والملا ، والمؤمن يزور ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد ، والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح ،

(٢) آية (١٩) سورة المشر

(١) آية (٢٠) سورة الشوري .

و هناك يأمر ويهين ويسب ويهين ، بل يأمر بالمكر ويهين عن المعروف كما قال الله تعالى ﴿ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْفَاقِ وَمِنْهُمُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ (٢٧) وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي سبهم ولعنهم الله ولهم عذاب عظيم ﴿ (١) وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (٢) الآية . . . يعني إن ماتوا على كفرهم وعاقبهم ليبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفار وجعل آواهم جميعا النار وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ غَيْرًا ﴾ (٣) الآية . والمدافق اشتقاقه من اللعنة فاققاء الربوع ويقال إن للربوع حجرتين إحداهما الباقعة والأخرى الناقصة فيظهر منه في إحداهما ويخرج من الأخرى ، ولهذا سمي المدافق منافقا ، لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الإسلام إلى الكفر .

وهي الحديث . . . مثل المدافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير إلى هذا القطيع وتارة إلى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما لأنها غريبة ليست منهما ﴿ (٤) وكذلك المنافقين لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين .

إن الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ (٥) الآية . . . من حديد مطبقة باللعنة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص ، النار من فوق أهلها والنار من تحتهم ، والنار عن إيمانهم والنار عن شمتائهم ، طبقاتها بعضها فوق بعض أعد للمنافقين منها الدرك الأسفل

وجاء في الخبر أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا جبريل صف لي النار وحرها فقال : إن الله عز وجل خلق النار ماؤها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ولدى بحث ملحق نيبا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار طهر لأهل الأرض لما تروا جميعا ولو أن دلوا من شربها صب على ماء الأرض جميعه لقتل من دقه ولو أن دراعا من سلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله ﴿ ثُمَّ فِي سُلْسُلَةٍ دُونَهَا سَعْرٌ فِرَاعًا تَسْلُكُوهُ ﴾ (٦) الآية . . . كن دراع طوله من المشرق إلى المغرب ولو وضع على حبل الدنيا لم يثبت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نكته وبعثه ﴿ (٧) .

و سأل ﷺ جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أمي كأيابنا هذه فقال يا رسول الله

(١) آية (٦٧-٦٨) سورة التوبة

(٢) آية (١٤٥) سورة النساء

(٣) آية (٤٤) سورة الحجر

(٤) ضيف (الصحيح) (٩١٠)

(٥) آية (١٤٠) سورة النساء

(٦) صحيح (مسلم بحره) (٢٧٨٤)

(٧) آية (٢٢) سورة الاحقاف

لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض ، من الباب إلى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا ، وسأله أيضا عن سكان هذه الأبواب فقال أما الأسفل ففيه المشركون واسمه الجحيم ، والباب الثالث فيه الصائتون واسمه سقر ، والباب الرابع فيه إبليس - عليه اللعنة - ومن تبعه من اللجوس واسمه لظى ، والباب الخامس فيه اليهود واسمه الخطة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ، ثم أمسك جبريل - عليه السلام - فقال له وسؤل الله ﷻ لم تحببني عن سكان الباب السابع فقال جبريل : يا محمد لا تسألني عنه فقال له : أخبرني عنه فقال فيه أهل الكباير من أمثك الذين ماتوا ولم يتوبوا ؟

وروى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَادُهَا ﴾ (٢) أشد خوفا ﷻ هي أمت ويكي بكاء شديدا ما يعرف بالله وسنة سطوته وقهره بحافه حوها شديدا ويكي على نفسه وتميطه قبل أن يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة وقبل أن تنتهك الأستاذ ويهرس على المتقدم الجباير ويؤمر به إلى النار .

فكم من شيخ يتنادى في النار واشيبناه ، وكم من شاب يتنادى في النار واشيبناه ، وكم من امرأة في النار تتنادى وافضيحتناه ولعنك سترناه ، وقد سودت رجوعهم وأجسلتهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تشر نساؤهم .

اللهم أجرتنا من النار ومن عذاب النار ومن كل حمل يقرينا إلى النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار يرحمك يا عزيز يا غفار ، اللهم اسر هوراتنا ، وآمن ووعاتنا وأفلنا من هتراتنا ، ولا تفضحننا بين يديك يا أرحم الراحمين .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الثامن

في التوبة

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، قال الله تعالى : ﴿ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ (٣) والأمر للرجوب . وقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ يَمْسُ عَاهِدُوا اللَّهَ وَيَبْلُغُوا كِتَابَهُ

(١) آية (١٤٥) سورة النساء

(٢) آية (٧١) سورة مريم

٣ سورة الحجر

« ظهورهم » فأنساهم أنفسهم « يعني أنساهم حالهم حتى لم ينهوا أنفسهم ولم يقدموا لها خيرا بل عكس ذلك : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (١) « أو كنت من المنافقين » (٢) يعني العاصون النافضون عهدهم ، أي الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمعصية ، والمنافق على نوعين فاسق وكافر وفاسق فاجر ، والمنافق الكافر هو من لم يؤمن بالله سبحانه وخرج عن الهدية ودخل في الضلالة كما قال الله تعالى : ﴿ فَتَقَعُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٣) يعني خرج عن طاعة أمر ربه بالإيمان ، والمنافق الفاجر هو الذي يشرب الخمر ويأكل الحرام ويرى بعصية الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل في المعصية ولا يأنى بالشرك .

والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجي غفرانه إلا بالتشهادة والخوبة قبل موته ، والمنافق الفاجر يرجي غفرانه بالتوبة قبل الموت ، فإن كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجي غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجي غفرانها . ومعصية إبليس كان أصلها من الكبر .

فيبقى لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت وجاء أن يعفوك الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَغْفِرُ قَبْلَ الْفِتْنَةِ عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ غَفُورٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) الآية . . . يعني يتجاوزهما عملوا بقبوله التوبة . وقال الله : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٥)

حكى أن رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه في ديوان فأذنب يوما فشر ديوانه ليكتب فيه فلم يجد فيه إلا قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (٦) الآية . . . يعني يبدل مكان الشرك بالإيمان ، ومكان الزنا العفو ، ومكان المعصية المعصية والطاعة .

وحكى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر وقتا من الأوقات في سلك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قدورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك وكان خمرًا ، فحس الشاب أن يقول خمرًا فقال في سره الهى لا تحجلنى عند عمر ولا تمضحنى واسترنى عنه فلا أشرب الخمر أبدا ، ثم قال يا أمير المؤمنين الذى أحمل هو خمرى ، فقال أرنى حتى أراها فكشها بين يديه فرأها عمر صارت خلا .

فانظر إلى مخلوق تائب من خوف مخلوق قبل الله سبحانه وتعالى خمره بالخمر لما علم منه

صحیح البخاری (٦٥٠٨) .

(٢) آية (١٩) سورة الحجر

(٤) آية (٢٥) سورة النور

حسن (أبو داود) (٤٧٥٠) وصحيح الجامع (١٣٠٠٨) .

(٦) آية (٧٠) سورة الفرقان

إخلاص التوبة ، فلو تائب العاصي المعلن عن الأعمال العاصدة توبة نصوحا وتندم على ذنبه بذلك الله سبحانه وتعالى ، خمر سيئاته بحل الطاعة .

وذكر عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : خرجت ذات ليلة بعدما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله ﷺ فوجدنا أن امرأة في الطريق فقالت يا أبا هريرة إني ارتكبت ذنبا ههنا لى من توبة فعلت ما دلت ؟ قالت إني ريت وقتلت ولدى من الرما ، فقلت لها هلكت وأهلك ، والله مالت من توبه فحمرت معشيا عليها فصصيت ، فعلت من نفسى أتنى ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فرحمت ابنه فأجبرته بذلك فعال هلكت وأهلك فأبى أنت من هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (١) الآية . . . فخرجت وقلت من يدلنى على امرأة سألتنى مسألة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشبهت شهقة من السرور وقالت إن لى حليقة جعلتها صدقة لله ورسوله .

حكاية : عن عتبة العلام - رحمه الله تعالى - وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما في مجلس الحسن البصرى وهو يقرأ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٢) الآية . . . يعني ألم يجىء وقت يخاف قلوبهم ؟ فوعظ الشيخ في تفسيره هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس ، فقام من بينهم شاب فقال يا فتى المؤمن أيقبل الله العاصى الفاجر مثلى إذا تائب ؟ فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسفك وفجورك فلما سمع عتبة العلام هذا الكلام اصفر وجهه ولم تعدت فرائضه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال الأبيات :

أيا شابا لرب العرش ملص • • • أتندى ما جزاء ذوى المعاصى
سمير للمصاة لها زفير • • • وغيط يسوم يؤخذ بالتواصى
فان تصبر على الجران فاصبر • • • ولا كن عن المصبيان قاصى
وحيما قد كسبت من الخطايا • • • وهنت النفس فاجهد فى الخلاص

صاح عتبة صيحة عظيمة وخر معشيا عليه ، فلما أفاق قال يا شيخ هل يقبل الرب الرحيم توبة مثلى التميم ؟ قال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجانى إلا الرب المعافى ؟ ثم رفع رأسه ودها ثلاث دعوات : الأولى قال إلهى إن كنت قبلت توبتى وخفرت ذنوبى فأكرمنى بالعلم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم وقرأن ، والثانية قال إلهى أكرمنى بحسن الصوت حتى إن كل من سمع قرأتى يزداد رقة فى قلبه وإن كنت قاسى القلب ، والثالثة قال إلهى أكرمنى بالرزق

(١) آية (٦٨ - ٧٠) سورة الفرقان .

(٢) آية (١٦) سورة الحديد

حلال وحرمة من حيث لا أحسب . فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان يدرك القرآن كتاب كل من سمع قراءته ، وكان يوضع في بيته كل يوم فصعة من المرق وريحان ولا يرى أحد من يضحها وكان على هذه الحال حتى فارق الدنيا .

وهذا حال من أناب إلى الله تعالى ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد إذا تاب أن توبته قبلت أم ردت ؟ فقال لا حكم في ذلك ويكر ذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المحصية ، ويرى الفرج من قلبه غائباً والرب شديداً ، ويقارب أهل الخير ويباعد أهل القس ، فيرى القليل من الدنيا كثيراً والكثير من عمل لا حرة قليلاً ، ويرى قلبه مشتتاً بما فرض الله تعالى عليه ، ويكون حافظاً لسانه دالماً المكرة ملزماً للفم والبدانة على ما فرط من دنويه .

الباب التاسع

في المحبة

ذكر أن رجلاً رأى صورة فيبيحة في البادية فقال : من أنت ؟ قلت : أنا هملك القبيح قال : ما أتيتك منك قالت الصلاة على النبي ﷺ كما قال ﷺ الصلاة على نور على الصراط ومن صر على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاماً (١) .

وحكى أن رجلاً كان خافلاً من الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبي ﷺ ليلة في المنام ولم يحس إليه فقال يا رسول الله أنت على خطبان ؟ قال لا قال فلم لا تنظر إلي قال لأنني لا أعرفك . قال كيف لا تعرفني وأنا رجل من أمك وقد روى العلماء أنك أعرف بأمتك من الوالد بالولد . ثم صعدوا ولكن إنك لا تذكرني بالصلاة ، وأن معرفتي بأمتي يقدر صلاتهم علي ثم أتته الرجل . ورحب عن نفسه أن يعلى على النبي ﷺ كل يوم مائة مرة فعلى ذلك ثم رآه بعد ذلك في المنام . فعرفت الآن واشتعل لك ، أي لأنه صار محباً لرسول الله . انتهى .

وروي عنه تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ (٢) الآية . سبب بولها أن رسول الله ﷺ لما دعا من لأشرف وأصحابه إلى الإسلام قالوا محسن في المنزلة أبناء الله ولحم أشد حب لله . فقال : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ على ديني فأتى رسول الله أودى رسالته إليكم .

صديق حياً ضعيف الجامع (٣٥٦٤) ، والضمير (٣٨٠٤) .

١ سورة آل عمران

وحنه عليكم ﴿ يَهَبُكُمْ اللَّهُ وَيُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وحب المؤمنين لله أتبعهم أمره وإشار طاعته واستغناء مرضاته ، وحب الله للمؤمنين ثناء . عليهم ونوابه لهم وعونه بهم وإنعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه .

قال الإمام في إحيائه من ادعى أربعاً من غير أربع فهو كذاب : من ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبي ﷺ ولم يحب العلماء والعلماء فهو كذاب ، ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب ، ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوى فهو كذاب ، كما قالت رابعة :

نعمى الإله وأنت تظهر حسب *** هذا نمرى في القياس يهيج

لو كان حبك صادقاً لأطعت *** إن المحب لمن يحب مطيع

وعلمة المحبة موافقة للمحبوب واجتناب خلافه .

حكى أن جماعة دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله فقال من أنتم قالوا نحن أحبابك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لهم تهربون مني لو كنتم أحبائي لما فرمتم من بلاني ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله أهل المحبة شربوا بكأس الرقاد فضاقت عليهم الأرض والبلاد وهرقوا الله حتى معرفته وتاهوا في عظمته ونجسوا في قدرته وشربوا بكأس حبه وهرقوا في بحر أنسه وتلذذوا بمناجاة ، ثم أشد :

دكو للمحبة يا مولاي اسكرني *** وهل رأيت محباً غير سكران

ويقال إن البعير إذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوماً ولو حمل عليه أضعاف ما يحمله لحمله لأنه إذا هاج في قلبه ذكر محبته لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه إلى محبته .

إذا كان من شأن الأبل شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لأجل محبتها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لأجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملاً ثقيلاً لأجل الله تعالى ، فإن لم تفعلوا شيئاً من الخيرات بما ذكرت فدهواكم اسم بلا معنى لا تنفع في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا أحد الخلق ولا أحد الخائف .

وعن علي كرم الله وجهه قال : من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف النار هبى نفسه عن الشهوات ، ومن تيقن الموت هابت عليه الذنات .

وسئل إبراهيم الخواص عن المحبة فقال : محر الإرادات وإحراق جميع الصفات والحاجات وإغراق نفسه في بحر الإشارات .

الباب العاشر

فى العشق

حب عبارة عن : ميل الطبع إلى الشيء للذة ، فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا فيجاور إلى أن يكون رفيقا لمحبة ويثق ما يملك لأجله ألا ترى إلى زليخا بلغ بها من محبة يوسف - عليه السلام - أن ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقرصين جملا وقد أنعمتها كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة فتغيبه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمى كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق وإذا رفعت رأسها إلى السماء رأته اسم يوسف مكتوبا على الكواكب .

وروى أنها لما أمنت وتزوجت به - عليه السلام - انمردت عنه وتخلت للمعبادة وانقطعت إلى الله تعالى ، فكان يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافع إلى الليل فإذا دعا ليلا سوفت به إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أهره ، فأما إذا عرفته فما أبقت محبة لسواه وما أريد به بدلا ، حتى قال لها إن الله جعل ذكره أمرنى بذلك وأحبرنى أنه مخرج منك ولدي وجاعلها بيين فقالت أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلنى طريقا إليه مطاعتك لأمر الله تعالى فلهذا سكنت إليه .

وحكى أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو ماتت ليلى قال إن ليلى فى قلبى لم تفت أنا ليلى ، ومريوما على دار ليلى فتنظر إلى السماء فتبلى له باسمجون لا تنظر إلى السماء ولكن أنظر إلى جدار ليلى لعطفك تراها قال أنا أكنى بنجم يقع ظله على دار ليلى .

وحكى عن منصور الخلاج - رحمه الله تعالى - أنهم حسوه ثمانية عشر يوما فجاءه الشلى - رضى الله عنه - فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسألنى اليوم وسألتنى غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع لأجل قتله ، مر الشلى بين يديه فتنادى يا شبلى المحبة أولها حرق وأخرها قتل .

إشارة إلى تحقق للحلاج - رضى الله عنه - فى نظره أن كل شيء ما خلا الله باطل ، وعلم أن له هو الحق نسي عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فقل من أنت قال أنا الحق .

وروى أن صديق المحبة فى ثلاث خصال أن يختار كلام حبيب على كلام غيره ويحتار مجالسة حبيب على مجالسة غيره ، ويختار رضا حبيب على رضا غيره . كنا فى المنتهى .

وقيل : العشق هتك الأسرار وكشف الأسرار ، وأوجد حجر الروح من احتمال غلبة الشوق عند حلاوة الذكر ، حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يمس ولا يشعر

وحكى أن رجلا كان يقتل فى المرات فسمع رجلا يقرأ ﴿ وَأَمَّا أَرْوَاهُ الْيَوْمَ أَبَا الْمُحْرَمُونَ ﴾ (١) فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات .

وعن محمد بن هب الله البغدادي قال رأيت فى البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات حلقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فحمل ميتا .

قال الجيد - رحمه الله تعالى - : التصرف ترك الاختيار .

وحكى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عربيا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسمعت عليه وقلت له من أنت يا غلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول ، قلت وأما مثلك فيكى بأهلى صوته وصاح صهجة عظيمة عالية فخرجت وروحه من ساعته طرحت عليه ثوبى وخرجت من ههنا لطلب الكمن فاشتريت الكفن ورجعت إليه فلم أجده فى مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول : يا ذا النون إن هذا العريب الذى طلبه الشيطان فى الدنيا فما وجدته وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان فى الجنة فما وجدته ، قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول : ﴿ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (٢) بسبب محبة وكثرة طاعته وتعجيل ثوبته . كنا فى زهر الرياض .

ومثل بعض المشايخ من المحب فقال قليل الخلطة كثيرة الخلوة دائم الفكر ظاهر النصمت ، لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودى ولا يفهم إذا كلم ولا يحرن إذا أصيب بمصيبة وإذا أصيب بسجوع فلا درى ، ويعمرى ولا يشعر ويشتت ولا يخشى ، ينظر إلى الله تعالى فى خلوته ويأس به ويتأجبه ، وينارح أهل الدنيا فى دنياههم ، وقد قال أبو نواب النخشى فى علامات المحبة أياتا :

لا تحمد حسن فللمحبيب دلائل ●● ولدي من نعم الحبيب وسائل

سها تصممه بمسر بلائيه ●● وسروره فى كل ما هو فاهل

فالح من عطية مقبولة ●● والمسر إكرام وير عاجل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه ●● طوع الحبيب وإن ألح العاذل

ومن الدلائل أن يرى متبسما ●● والقلب فيه من الحبيب بلايل

ومن الدلائل أن يرى متمهما ●● لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متقشفا ●● متحفظا من كل ما هو قاتل

(٢) آية (٥٦) سورة القمر

(١) آية (٥٩) سورة يس

حكيية : مر عيسى - عليه السلام - بشاب يسأل يستأنا فقال الشاب لعيسى هل ربك أن يروى من محبة مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة ، فقال نصف ذرة ، فقال عيسى - عليه السلام - يارب ابرقه نصف ذرة من محبتك ، فعصى عيسى - عليه السلام - فلما كان بعد مدة طويقتني يحول ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب إلى اجبال ، فدعا الله عيسى - عليه السلام - أن يريه إياه فأراه بين الجبال فوجده قائم على صخرة شامخة طرفه إلى السماء فلم عيسى - عليه السلام - فلم يرد عليه ، فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى إلى عيسى كيف يسمع كلام الأعميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبتى ، فوعزنى وجلالى لو قطعته بالشار لما علم بملك .

من ادعى ثلاثة ولم يظهر من ثلاثة فهو مفروز أولها من ادعى حلالة ذكر الله وهو يحب الدنيا ، وثانيها من ادعى محبة الإخلاص في العمل ومحبة تعظيم النفس له ، وثالثها من ادعى محبة خالفه من غير إسقاط نفسه .

قال رسول الله ﷺ : « سبأى زمان على أمتي يحبون خمسا وينسون خمسا : يحبون الدنيا وينسون الآخرة ، ويحبون المال وينسون الحساب ، ويحبون الخلق وينسون الخلاق ، ويحبون الذنوب وينسون التوبة ، ويحبون القصور وينسون القبور » .

وقال منصور بن عمار لثاب يعظه ياشاب لا يعروك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته ، فقال إني أتوب هذا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو خافض حسن التوبة فصار في جوف القبر لا يمنع مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (١) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٢) ﴾ .

اللهم إرزقنا التوبة قبل الموت ، ونبها عند الفعلة وانفعا بشفاة تبت غير المرسلين ﷺ .

صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ، ويندم على ما فعل من قنوه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا ، بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالإخلاص .

حكاية : كان رجل يخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أبل الدار بحق الله ألا أعطينموني شيئا فأعطته امرأة أربعة فاستقبله سائق وقال من أعطاك هذه الأربعة قال أعطوني من لدار أحده شيء فقللت أعطيت لأجل أنه مر وجن فذهب المنافق وأوقد النور حيي حمي ، ثم قال قومي ما لقيت بك في النور لأجل الله ، فقامت المرأة وأحدث حلقها فقال المنافق دعى الحلق فقالت المرأة الحبيب يترى لحس ، وأد راترة حبسني ثم ألقت نفسها في نهر فأطبق المنافق عليها ومضى ، فلما تم لها ثلاثة أيام جاء المنافق

(١) يه (٨٨-٨٩) سورة الشعراء

فتفتح عليها رأس النور ، فرأى المرأة سالمة بقدره الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف بقول ما علمت أن النار لا تحرق أحبابنا .

وحكى أن أسية امرأة فرعون كانت تكتم إيمانها من فرعون فلما أطلع فرعون على إيمانها أمر بها أن تعذب فعدبها بأنواع العذاب وقال إرتدى فلم ترتد ، فأتى بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال إرتدى ، فقالت إنك تعلم أن نفسى وقلبي في عصمة ربى لو قطعتنى إربا مازددت إلا حيا ، فامر موسى - عليه السلام - بين يديها فدأت موسى : أخبرنى أواض منى ربى أم ساحط فان موسى - عليه السلام - بأسية ملائكة السموات فى انتظارك أى مشتقة إليك والله يباهى بك فاسألنى حاجتك فإنها مقضية ، فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَأَعِيشُنَّ بِهَا فِي الْجَنَّةِ وَتَجْنِي مِن فُرْعُون وَعَمَلِهِ وَتَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وعن سلمان - رضى الله - عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظنتها الملائكة بأجنتها وكانت ترى بيتها في الجنة .

وعن أبي هريرة أن مرعوى وتد لامرأته أربعة أوتاد وأمسجعها وجعل على صدرها رحي واستغل بها عين الشمس فرفعت رأسها إلى السماء فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَأَعِيشُنَّ بِهَا فِي الْجَنَّةِ ﴾ (٢) الآية . . . قال الحسن لنجاحها الله أكرم لجماء ورفعهما إلى الجنة فهي تأكل وتشرب .

وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والاتجاه إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوارى من سير الصالحين ودليل المؤمنين .

الباب الحادى عشر

فى طاعة الله و محبته و محبة رسوله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣) اعلم وحبك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعبد إتباعه عليهم بالعمران .

فيل العبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمالا من نفسه أو من غيره مبر من الله وبالله لم يكن حبه إلا لله وفى الله ، وذلك يقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلهذا فسرت للمحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزما لإتيان الرسول ﷺ فى عبادته والحث على طاعته

(٢) آية (١١) سورة التحريم .

(١) آية (١١) سورة التحريم .

(٣) آية (٣١) سورة آل عمران .

وعن الحسن قال أنسوا : على عهد رسول الله ﷺ يا محمد إنا لنحب وبنا فأمر الله هذه الآية .

وعن بشر الحافي - رضى الله عنه - قال روى النبي ﷺ في المنام فقال يا بشر أئدرى من رعبك الله من بين أنرايت قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك للصالحين وبصحبتك لأحوانك وصحبتك لأصحابك وأهل ستنى وتباعث لستى .

قال ﷺ : « من أحيأ ستنى فقد أحيأ ومن أحيأ كان معى يوم القيامة في الجنة » (١)

وجاء في الآثار المشهورة أن لتمسك بسنة سيد الخلق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الإسلام . وقال « كل أمى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا من أبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى كل عمل ليس على ستنى فهو معصية » (٢)

وقال بعضهم لو رأيت شيئا يطير في الهواء أو يمشى على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من قرآن الله تعالى أو سنة من السن عاما فاعلم أنه كذاب في دعواه وليس عمله كرامة بل هو استعراج ، ثم ذباله منه .

قال الجنيد - رحمه الله - ما وصل أحد إلى الله إلا بالله والسبيل إلى الوصول إلى الله متابعة المصطفى ﷺ .

وقال أحمد الخوارى - رحمه الله - كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال ﷺ من ضيع ستنى حرمت عليه شفاعتى . . . كنا في شرعة الإسلام .

حكى أن رجلا من بعض المجانين ما استجهله في فأخبر بذلك معروف الكرخى - رحمه الله - فبسم ثم قال يا أخى له محزون صغار وكبار وعفلا ومجانين فهذا الذى زايته من مجانينهم .

وحكى عن الجنيد أنه قال مرضى استأذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفا لها ميبا فوصف لنا طبيب حديق فأخذنا قارورة مئة مضر إليها الطيب وجعل ينظر إليها مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصغت وغشى على وقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته فبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين للحية في البول قال نعم .

قال العصيل - رحمه الله - إذا قيل لك أثبت الله فاسكت فإن قلت : لا كبرت وإن قلت نعم فليس وصعك للمحين فاحذر الحقت .

(١) (حس) الترمذي (٢٦٧٨)

(٢) (صحيح) البخارى (٧٢٨٠)

وقال سعيان من حب من يحب الله تعالى فالما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإن يكرم الله تعالى

وقال سهل علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حبه ﷺ حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بعض الدنيا وعلامة بقص الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا ويلغة إلى الآخرة ، قال أبو الحسن الزنجاني أصل العبادة على ثلاثة أركان السرى والقلب والبدن ، فالسرى بالعبرة والقلب بالمعركة واللسان بالصدق والسيح والذكر كما قال الله تعالى . ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) وسبحوه بكثرة وأصليا (٢) .

وحكى أن عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موخما قطع أحمد بن حرب قطعة من جهش الأرض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك ، وهودت نفسك الاشتغال بعير ذكر الله تعالى ، وجعلت ذلك طريقا يقتل بك فيه ، ومنعته عن تسبيح ربه وأكرمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة . كذا في روتق للجالس .

وعن السرى - رضى الله عنه - قال : رأيت من الجرجاني سويقا يصف منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره ؟ قال إنى حسبت ما بين للضغ والاشتغال تسعين تسبحة فما مضت الحيز منذ أربعين سنة .

وكان سهل بن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما فإذا دخل رمضان لم يأكل إلا أكلة واحدة ويصبر في بعض الأوقات عن الطعام سبعين يوما ، وكان إذا أكل خفيف وإذا جاع قوى ، وجاور أبو حماد الأسود في المسجد الحرام ثلاثين سنة وما روى أنه أكل وشرب ولا يحلو ساحة من ذكر الله .

وحكى أن عمرو بن هبيد كان لا يخرج من منزله إلا ثلاث : للصلاة مع الجماعة ولعبادة المريض ، وحضور الجنائز ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق

العمر جوهر نفيس لا قيمة له فيسمى أن عملا منه خزائن باقية في الآخرة . واعلموا بأن طالب الآخرة لا يد له من الرهد في الحياة الدنيا ليصير همه واحدا ، ولا يفترق باطنه من ظاهره ، ولا يمكن حفظ الحال لا بصيط الطاهر والباطن .

وحكى عن إبراهيم الحاكم أنه قال كان أبى إذا جاءه اليوم دخل البحر فيسبح فتجتمع إليه حيتان البحر يسبحون معه .

(١) آية (٤١-٤٢) سورة الأحزاب

الباب الثاني عشر

في ذكر إبليس وعذابه

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ تَوَلَّوْا ۙ ﴾ (١) إني أخرجكم من طاعة الله ورسوله يعني لا يقدر لهم ولا يقبل توبتهم كما يقبل توبة إبليس لكفره واستكباره . وتاب على آدم - عليه السلام - وقبل توبته لأنه أقر على نفسه بالذنب ولم يعلل نفسه وهذا وإن لم يكن ذنباً حقيقياً لأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون لا تقع منهم المعصية أبداً لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء - عليهما السلام - : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقطع من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْطَعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٣).

وإبليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يندم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقطع من رحمة الله تعالى وتكبر . فمن كان حاله مثل حال إبليس لم تقبل توبته ، ومن كان مثل حال آدم قبل الله توبته ، لأن كل معصية أصلها من الشهوة فإنه يرجي غفرانها ، وكل معصية أصلها من الكبر فإنه لا يرجي غفرانها ، ومعصية آدم أصلها من الشهوة ، ومعصية إبليس أصلها من الكبر .

حكى أن إبليس جاء إلى موسى - عليه السلام - فقال له : أنت الذي اصطفاك الله برسالتك وكلمك تكليماً ؟ فقال له موسى نعم فما الذي تريد يا هذا ومن أنت ؟ فقال إبليس يا موسى قل لربك خلق من خلقت قد سألت التوبة ، فأوحى الله إلى موسى قل له إني قد استجبت لك فيما سألت ومعه يا موسى أن يسجد لقبر آدم فإذا سجد له قبلت توبته وغفرت له فخره فأخبره موسى فغضب إبليس واستكبر وقال يا موسى أنا لم أسجد له في الجنة فكيف أسجد له وهو ميت .

وروي أن إبليس يشتد عليه العذاب في النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله ؟ فيقول أشد ما يكون فيقال له إن آدم في رياض الجنة فاسجد له واعتزل حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ضعفاً .

وجاء في الخبر أن الله تعالى يخرج إبليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده إلى النار .

إخواني أن أردم الحجة من إبليس فاعتصموا بالموت واستعملوا به .

إذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه إبليس عليه اللعنة فيجتمع الشياطين

(٢) آية (٢٣) سورة الأعراف

(١) آية (٣٢) سورة آل عمران .

(٣) آية (٥٣) سورة الزمر

والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما عهد ربكم قالوا أحفأ ثم يقول هذا يوم أبيت فيه من الرحمة فيأمر الله الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهبون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الأمر بالخروج أبداً إلا بعد نعوذ بالله منها .

وروي أنه يؤتى إبليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق من النعمة ويأمر الله - عز وجل - الرابية أن يجره عن الكرسى ويلقوه في النار فيتعلقون به لينقوه فلا يقشرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقشرون ثم يأمر إسرافيل ثم عزرائيل ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقشرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أصحاب ما خلقت من الملائكة لما قعدوا على أن يقتلوه وطوق اللعنة على عنقه .

وروي أن إبليس كان اسمه في سماء الدنيا النابذ وفي الثانية الراهد وفي الثالثة العارف وفي الرابعة الولي وفي الخامسة التقى وفي السادسة الخار وفي السابعة عززيل وفي اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل حاقة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أنفضله على وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فقال تعالى أن أفعل ما أشاء مرأى لعنه شرفاً فولى آدم ظهره أنة وكبرا وانتصب قائماً إلى أن سجدت الملائكة المدة المارة فلما رفعوا رؤوسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وقوا للسجود سجدوا ثانياً شكراً وهو قائم يرى معصيا منهم غير عارم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فسله الله من الصورة البهيبة فكس كخزير وجعل رأسه كراس البعير وصلبه كسام الجمل الكبير ووجهه كوجه الغرد وعينه مشقوقين من طول وجهه ، ومنعرجه مفتوحين ككوز الحجام ، وشعته كشعته الثور ، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفي لحته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الأرض إلى الجحيم فلا يدخل الأرض إلا خفية ولعنه إلى يوم الدين لأنه صار من الكفار .

وانظر كيف كان بهي الصورة وباهي الأجنحة وكثير العلم وكثير العبادة طاقوس الملائكة ولعظمهم ، سيد الكرويين إلى غير ذلك فلم يبق ذلك منه شيئاً ، إن في ذلك لذكرى .

وفي الآخر لما مكر إبليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال الله لهما : ما يبككما ؟ قالوا : ربنا ما أمنا بكرك فقال الله تعالى : هكذا تكونا لأنكما مكرى .

وروي أن إبليس قال يا رب أخرجني من الجنة لأجل آدم وأنا لا أقدر عليه إلا بتسلطك قال أب مسلط عليه أي على أولاده معصمة الأسباب مه ، قال زدني قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله ، قال زدني قال صدورهم مساكن لك تجري فيها مجرى الدم ، قال زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، أي امتن عليهم بأهوائك من راكب وماشي وشاركهم في الأموال ، أي يحصلهم على كسبها وصرفها في الحرام والأولاد أي بالغت على التوصل إليهم بالسبب المحرم .

كالوطء في الخيف والإشراك فيهم بتسميتهم بسحر عبد العزى ، والتضليل بالحمل على الأديان الباطنة والخرب الدميعة والأفعال الفجيعة ، واعدتهم الراعيذ اليطة كشفاة الألهة والانتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل وهذا على طريق التهديد كاعملوا ما تشتم .

فقال آدم يارب قد سلطته على فلا امتنع منه إلا بك قال لا يولد للبشر ولد إلا وكنت به من يحفظه من الملائكة ، قال ردى قال الحسة بعشر أمثالها ، قال زدنى قال لا أنزع سهم التوبة ما نلت أو واسهم فى أيدانهم ، قال زدنى قال أخفر لهم ولا أبالي ، قال اكتفيت .

فقال إبليس يارب جعلت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما وصى قال الكهان ، قال فما كتبت قال الوشم ، قال فما حدثت قال الكذب ، قال فما قرأتى قال الشعر ، قال فما مؤدى قال الممار ، قال فما مسجدي قال الأسواق ، قال فما بيتى قال الحمام ، قال فما طعاس قال الذى لم يذكر عليه اسمى ، قال فما شرابى قال لشكر قال فما مصلحتى قال النساء .

الباب الثالث عشر

فى الأمانة

قال الله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ﴾ أى امتنعن عن قبولها ﴿ وآخضن منها ﴾ (١) أى خفن من الأمانة أن لا يؤدنها فيلحقهن من العقاب أو تخفن من الخيانة فيها . ومعنى الأمانة فى هذه الآية الطاعة والفرائض التى يتعلق بأدائها الثواب والعقاب .

قال القرطبي : الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور ، واختلف فى تفاصيل بعضها .

فقال ابن مسعود : هى أمانة الأموال كالودائع وغيرها ، وروى عنه أنها فى كل الفرائض وأشدّها أمانة المال . . وقال أبو الدرداء فضل الجناية أمانة . وقال ابن هجر أول ما خلق الله من إنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتك فلا تلبسها إلا بحق فإن حفظتها حفظت فالتفرح أمانة والأدب أمانة والعين أمانة واللسان أمانة واليد والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له .

قال الحسن بن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فاضطربت وما بهيها فقال الله لها يارب أحسنت أجرتك وإن أمانات عسكت فقلت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه ودر له ذلك فقال قد تحملتها .

١٠٢٠ (٧٢) سورة الأعراف .

ولا يحصى أن عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال عرض تحبير لا عرض إلزام ، ولو أكرمهن لم يستمن من حملها .

وقال الفقهاء العرض فى هذه الآية ضرب مثل أى أن السموات والأرض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لنقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أى أن التكليف أمر عظيم حقيق أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال وقد كلمه الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وحملها الإنسان ﴾ أى التزم بحملها آدم بعد عرضها عليه فى عالم الذر عند خروج فريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم ﴿ إنه كان ظلوفا جهولا ﴾ (١) أى هو فى ذلك الحمل ظنوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه .

وعن ابن عباس قال عرضت الأمانة على آدم فقيل خلها بما فيها فإن أطعت عفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها ، فلما كان إلامايس العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تشاركه الله برحمته فتاب عليه وهلى .

والأمانة مشتقة من الإيمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه ، قال الله : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له (٢) .

قال الشاعر :

تيا لمن وهى الخيانة مهيبا ••• وازور عن صون الأمانة جانيه

وهى الديانة والرومة فاهتدى ••• تشرى عليه من الزمان مصالبيه

وقال آخر :

أخلق بمن وهى الخيانة شعبة ••• أد لا يسرى إلا صريع حوادث

ما زالت الأرزاء ينزل بسوسها ••• أبنا بنادر ذممة أو ناكث

وقال رسول الله ﷺ : « يطيع المؤمن على كل خلق ليس بالخيانة والكذب » (٣) وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال أمتى بحير ما لم تر الأمانة مغنا والمصلحة مغرما » وقال ﷺ : « أد الأمانة إلى من ائتمن ولا تخن من خان » (٤) .

(١) آية (٧٢) سورة الأعراف .

(٢) (صحيح) أحمد ٣ / ١٣٨ ، وصحيح الجامع (٧١٧٩) .

(٣) (صحيح) أحمد ٥ / ٥٥٢ ، وصحيح الجامع (٦٤٣١) والصحيح (٣٢١٥) .

(٤) (صحيح) أبو داود (٣٥٣٤) ، وصحيح الجامع (٢٤٠) .

من صحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : ١ - إذا كذب واذا أخلف واذا ائتمن خان (١) . أي إذا أئتمته أحد بكلمة خافه بأمانتها لم يصدق ، ودفعه خافه بانكارها وعدم حفظها واستعمالها بعير إده ، فحفظ الأمانة صفة للملائكة الصديقين والرسولين وشيعة الأبرار المتقين . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنَّ تَقُولُوا يَسْمَعُ لِي أَعْلَمُ ﴾ (٢) قال المفسرون هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشروع ولما حجب بها عموم المكلفين الولاية وغيرهم فيجب على الولاية إصناف المظلوم وإظهار حقه وفئة أئمة وحفظ أموال المسلمين لأسيما اليتامى ، ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم عبر أمانة اختيار حفظها العلماء . ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب إذ هو أمانة عنده . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٣) .

وفي زهر الرياض يؤتى بالعيد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى : أرصدت أمانة فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به إلى جهنم ويريه الأمانة بعينها في قبر جهنم فيهرى فيها سميعا عامما حتى يتنهي إلى قبرها ثم يصعد بالأمانة فإذا بلغ أعلى جهنم زالت قدمه بهوى فيها ، كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعه الصالحين ﷺ فيرضى عنه صاحب الأمانة .

وروى عن سلمة قال : « بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ أتى بجنارزة ليصلى عليها . فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجنارزة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيئا قد قذرا ثلاث دنائير فصلى عليها ثم أتى بثلاثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال ﷺ هل ترك شيئا قد قذرا : لا قال : صلوا على صاحبكم » وعن قتادة - رضي الله عنه - قال : « قال رجل يا رسول الله لو أبيت إن قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير منير يكفر الله عنى خطاياي قال نعم فلب أخير الرجل ناداه فقال يعمر الله للشهيد كل ذنب إلا الدين » (٤) .

الباب الرابع عشر

فصل في إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع

« وَهُوَ تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢) .

إعلم أن الخشوع منهم من يجعله من أفعال القلوب كالحروف والرهبة ومنهم من يجعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الإلتفات والعبث . وقد اختلفوا في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من قصائدها على قولين . واستدل من قاله بالأول بحديث : « ليس للمعبود من صلاته إلا ما عقل » ، ويقولون تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١) والعملية تضاد الذكر ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢)

أخرج البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبشت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء مرت الأية . وراد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى بصره نحو مسجده . وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء فزلت هذه الآية فطأها رأسه .

وروى عن الحسن أن النبي ﷺ قال : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يقتل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى ببلنه من الدرر شيئا » (٣) يعني أن الصلوات تظهر من الذنوب ولا تبقى منها شيئا فيما دون الكيثار وهذا إذا صلى بخشوع وحضور قلب وإلا فهي مردودة عليه وقال ﷺ : « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى » فإذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى غفلته ولا هيته فما قيمة ذكرك . وقال ﷺ : « من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » (٤) .

وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوئك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يحدثنا ويحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم يعرفه أشتعلا بعظمة الله عز وجل وقال ﷺ : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع يده » .

وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وحجب قلبه على مبلين . وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خلفه على لحيته . ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في

(١) آية (١٤) سورة طه

(٢) آية (٢٠٥) سورة الأعراف

(٣) (صحيح) مسلم (٦٦٧-٦٦٨)

(٤) (ضعيف) الطبراني (١١) / ٥٤ ، وضعيف الجامع (٥٨٣٤)

١١ - صحيح بخاري (٣٣ و ٢٦٨٢ و ٢٧٤٩) . (٢) آية (٥٨) سورة النساء .

٣١ - صحيح بخاري (٢٥٥١) . (٤) (صحيح) أحمد (٢٢٠ / ٢٢٠) ، وصحيح الجامع (٨١١٩)

١٢ - سورة طه

الصلاة فقال : « لو شئت قلب هذا خشعت جوارحه »^(١)

وروى أن علياً كرم الله وجهه كان إذا حضرت الصلاة يتزلزل وتلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . وروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله ما الذي يمتريك هذا الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم .

ويروى عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلته فقال إذا حانت الصلاة أمسحت الوضوء وأنت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى الصلاة أجعل للكمة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي ومالك الموت ورائي وأقنها آخر صلاتي أقوم بين الرجل والخوف وأكبر تكبيرا يتحقق وأقرأ قراءة يترتل ولركع ركعها بتواضع وأمسجد سجوداً بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأصعب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لا أدرك أقبلت متى أم لا .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ركعتان مفصلتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساكن .

وقال رحمه : « يأتي في آخر الزمان ناس من أمته يأتون للمساجد فيقعدون فيها حلقة ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوهم فليس لهم بهم حاجة » .

وعن الحسن أن النبي ﷺ قال : « ألا أحبرك بأسوا الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذي يسرق من صلاته ، قالوا كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها »^(٢) .
وقال رحمه : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن قد أتتها حوى عليه الحساب وإن كان قد انتقص منها شيئاً قال الله تعالى خلانكته هل لعبدي من تطوع فأتوا القرية منه »^(٣) .
وقال رحمه : « ما أعطى عبد عطاء خيراً من أن يؤد له في ركعتين يصلحهما » .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا أراد القيام إلى الصلاة ترتعد فرائضه وتصطك أسنانه فقبل له ما ذلك قال حين وقت أداء الأمانة وفناء القرينة ولا أدري كيف أؤديها .

حكى : عن خلف بن أيوب أنه كان قائماً في الصلاة فلدغته زنبور لسائل منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فأعلمه بذلك فمسل ثوبه وبيل له يلدغك رسول ويسيل منك الدم ولم

(١) (موضوع) البيهقي ٢ / ٢٨٩ ، والمصنف (١١٠) ، ومغيب الجامع (٤٨٦١)

(٢) (صحيح) أحمد ٣ / ٥٦ ، وصحيح الجامع (٩٨٦)

(٣) (صحيح) أحمد ٤ / ٦٥ ، وابن ماجه (١٤٢٦) ، وصحيح الجامع (٢٥٧٤)

تشعر به فقال أشعر بمثل هذا من يكون وانما بين يدي الملك لجبار ومالك الموت على قفاه والبار عن شماله والصراط تحت قدميه .

ووقعت الأكلة في يد عمرو بن در وكان جبلاً في الزهد والعبادة فقال له الأعباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال أقطعوها فقالوا لا تقدر على قطعها إلا أن تشدك بالجبال فقال لا ولكن إذا شرعت في الصلاة فاقطعها حيث شئت ، فلما دخل في الصلاة لصعت يده ولم يشعر بذلك .

الباب الخامس عشر

فصل في الصواب بالعروف والنهي عن المنكر

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس الصلى غمامة يضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تخط فإذا أخطرت ، فأى قطرة قطرت عن الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة ، وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الإيمان »^(١) .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٢) قال الكلبي هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ، وفيها دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأم على الإطلاق وأن هذه الأخيرة مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وإن كانت متعاضدة في فاتها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم . ومعنى أخرجت : أظهرت للناس أى لتفهمهم ومصلحتهم في جميع الأعصار حتى تميزت وعرفت .

وقوله تعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٣) .

كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خيراً مع ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أنعموا على ذلك واتصفوا به فإنما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك ، فجعلهم الله خير الناس لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليلسوا فترجع منعتهم على غيرهم كما قال رحمه : « خير الناس من ينصح للناس وسر الناس من يصر الناس »^(٤) .

(١) لوائح الوضع ظاهرة عليه

(٢) سورة آل عمران (٣٠٠)

(٣) سورة آل عمران (١١٠) ، وقال : لم أر من ذكره حديث ، فراجع ، لكن معناه

سبح

ومعناه : « خير الناس أئمتهم للناس » ، وهو حديث (حسن) انظر (صحيح الجامع) (٣٢٨٩)

« تؤمنون بالله » أى تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقررون أن محمدًا نبي الله ، من كرم محمد ﷺ لم يؤمن بالله لأنه يزعم أن الآيات المعجزات اتى آتى بها من عند نفسه .
 -- وقال ﷺ : « من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك سبب الإيمان » . معنى أضعف فعل أهل الإيمان .

قال بعضهم التفتيز باليد للأمراء ، وباللسان للعلماء ، وبالقلم للمساكين . قال بعضهم : من يفسد على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّوْا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوَى تَعَلَّوْا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَاتِ ﴾ (١) الآية . ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير إليه وسد سبل الشرور والعدوان بحسب الإمكان .

وقال ﷺ فى حديث آخر : « من انتهر صاحب بدعة ضلالة الله قلبه أمنا وإيماننا ومن أمنا صاحب بدعة أمته الله يوم الموعز الأكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرض وخليفة كتابه وخليفة رسوله » (٢) .

عن حديثه : رضى الله عنه . قال يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حملة أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم .

قال موسى يا رب ما جزاء من دها أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ؟ قال أكتب له بكل ليلة عبادة سنة وأستحي أن أهله يشارى .

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى : « يا ابن آدم لا تكن من يؤخر التوبة ويطول الأمل يرجع إلى الآخرة بغير عمل ، يقول قول العاصيين ويعمل عمل المنافقين ، أن أعطى لم يتق وأدفع لم يصبر ، ويحب الصالحين ولايس منهم ، ويغضب المنافقين وهو منهم ، يأمر بالمعروف ولا يحله ، وينهى عن الشر ولم يتعه عنه »

وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيأتى قوم فى آخر الزمان يحدث الأسنان نواقص العقل يقولون من قول خير البرية لا يجاوز حناجرهم ، يعرفون من دين كما يعرف السهم من الرمية » (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : رأيت ليلة أسرى بى إلى السماء رجلا تقرأ شملهم بمناويش من النار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمته الذين يأمرون الناس بالبر وينهون أنفسهم

(١) آية (٢) سورة المائدة .

(٢) (موسوع) كتب الحياء ٢ / ٣٠٨ ، وقال : قال الفارسي . موضع

(٣) (صحيح) البخارى (٦٩٣٤) ، ومسلم (١٤٣-١٤٥) .

كما قال الله تعالى فى حقهم ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَحْوُ الْكُتَّابِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) معنى تلون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكأنوا يأمرون بالصدقة ولا يصدقون .

يجب على المؤمنين أن يأمروا وينهوا عن المنكر ولا يسوا أنفسهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (٢) الآية . فقد نمت المؤمنين بأن يأمروا بالمعروف فاندى هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المحتجبين فى هذه الآية . وقد قدم الله أقواما بترك الأمر بالمعروف فقال : ﴿ كَانُوا لَا يَتَّعِزُّونَ مِنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣)

روى عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أنه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجعل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدهو خياركم فلا يستجيب لهم ويستصرون فلا ينصرون ويستفرون فلا يغير لهم .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قال رسول الله ﷺ : « طلب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف ؟ قال لم يكونوا يقضون لله ولا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

وقال أبو ذر الغفارى قال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا أبا بكر إن لله مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزين أم سلمة لرسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر - رضى الله عنه - يا رسول الله ومن هم قال : الأمرون بالمعروف والنهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله ثم قال والذي نفسى بيده إن العبد ليكون فى المرفة فوق الغرقات لرقى غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الأخضر ، على كل باب نور وأن الرجل منهم ليتزوج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف حين ، كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أتذكر يوم كنا وكنا أموت فيه بالمعروف وبهت عن المنكر ، وكلما التفت إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر » .

وفى الخبر أن الله تعالى قال : « يا موسى هل عملت لى عملا قط قال أئبى صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحملت لك وقرأت كتابك وذكرتك » . قال الله تعالى : « يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما

(٢) آية (٧١) سورة التوبة

(١) آية (٤٤) سورة البقرة .

(٣) آية (٧٩) سورة المائدة

النبيح ملك نور ، حمل عصا لي ، قال موسى دلني يارب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لي وليا فظ و هل عادت لي عدوا قط ، فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب لله والأولياته والبغض لله ولا علانته .

وقال أبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه- قلت يا رسول الله : « أي الشهادة أكرم على الله عز وجل : قال رجل قام إلى والد جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ، فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ^(١) وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله ﷺ : « أفضل شهادة أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر » ^(٢) .

وأوحى الله إلى يوشع بن نون -عليه السلام- أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار لما بال الأخير قال : إني لم يفضيوا لبعضي وواكلوهم وشاربوهم .

وهن نفس -رضي الله عنه- قال : « فلنا يا رسول الله ألا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا نهى عن المنكر حتى نجتنه كله ؟ فقال ﷺ بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، واتقوا عن المنكر وإن لم تمتنعوا به كله . وأوحى بعض السلف بنيه فقال إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليتق بالثواب من الله ، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى .

الباب السادس عشر

في معاداة الشيطان

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلتزم مجالسهم ويسأل ما لا بد له ويتحفظ بصحهم ، ويجنب لأعداء القبيحة ويتجنب الشيطان عدوا كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ^(١) أي ، فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في محاصي الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم ، وإذا فعلتم فعلا فتخطوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبايح واستعينا عليه بربكم .

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال : هذه سبيل الله

(١) (صحيح) مجمع الزوائد ٧ / ٢٧٢ ، وراه إي (البنار) وقال : فيه من لم أمره فتنان

(٢) الخلف السادة الخلفي ٧ / ١٢

(٣) آية (٦) سورة طه

ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل علي كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم بلا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَطَرَفَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(١) فبين لنا ﷺ كثرة طرق الشيطان ^(٢) .

روى : عن النبي ﷺ أنه قال كان راهب لي بنى إسرائيل لعمد الشيطان إلى جارية فختنها وألقى لي قلوب أهلها أن دورها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم ير الوا به حتى فلتها فلما كانت عنده ليحالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح بأتيك أهلها ماقتلها فإن سألتك فقل ماتت مقتلتها ودمها ماتي الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أسبلها ثم قتلها هو ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخلوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها ما طعنى تنج وأخلصك منهم ، قال مجاهد قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له اني يرى منك . فهو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كَتَلِ الشَّيْطَانَ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْبُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ ^(٣) .

وروى أن إبليس سأل الشافعي -رضي الله عنه- ما قولك فيمن عطفني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار أهدل في ذلك أم جار ؟ نظري كلامه ثم قال يا هذا أن كان خلقك لا تريد أنت فقد ظلمك وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يستل عما يفعل ، فأضجع لي إلى أن صار لأشئ ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسئتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية .

واعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومخارج ثلجه ولا قدر على حراسة أبوابه من لا يترهبها .

فحماية القلوب عن وسوس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخله واجبة ، ومداخله وأبوابه صعات العبد وهي كثيرة .

منها العصب والشهوة : فإن العصب غول العقل وإذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما هضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة . وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لابن أبي كعب تغلب ابن آدم فقال أحده عند العصب وعند الهوى .

(١) آية (٥٣) سورة الأنعام

(٢) (صحيح) البخاري (٦٤١٨) .

(٣) آية (١٦) الحجر

ومنها الجسد والخرص : فمهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماله وحرصه وأصممه بحيث يبعد الشيطان فرصة فيحسن هذا الحرص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان مكررا فاحشا ، فقد روى أن نوحا - عليه السلام - لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى من السفينة شيئا لم يعرفه ، فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكلم قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال نوح أخرج منها ما عدو الله فأتاك فعين فقال له إبليس حمس أهلت بهن الناس وسأحدثك سهو ثلاث ولا أحدثك بائتين فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنان فقال هما قلتان لا تكذباني هما الثناتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد بها لحسد لعنت وجعلت رجيعا ، وأما الحرص فإنه أبيع لأدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجي منه بالحرص .

ومنها التسبب من الطعام وإن كان حلالا صافيا : فإن التسبب بقوى الشهوات وهي أسلحة الشيطان .

فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى - عليه السلام - فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شجعت فتفلك من الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على لا أملا بطي من الطعام أبدا فقال له إبليس والله على أن لا أنصح مسلما أبدا .

ومنها حب التزين من الأثاث والثياب والدار : فإن الشيطان إذا رأى ذلك خالبا على قلب الإنسان يافس فيه ، وفرح فلا يزال يدهوه إلى صمارة الدار وترتين مقولها وحيطاتها وتوسيع أبنيتها ويدهوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستحسر فيها طول عمره فإذا أوقعه في ذلك فقد استمعى أن يمره إليه ثنية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض إلى أن يصدق إليه أجله ليموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخفى من ذلك سوء العاقبة نموذ بالله .

ومنها الطمع في الناس : فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لعبد لله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة اعط حتى شيئا أعلمك به فقال له لا حاجة لي به قال فتنظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا خبر الله سؤال رغبة وتظر كيف إذا خلصت فإنني أملكك إذا عصيت .

ومنها المعجلة وترك الثبوت في الأمور قال : « المعجلة من الشيطان والثاني من الله تعالى فعند الاستمجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري » (١)

(١) (حسن) البيهقي ١/ ١٠٤ و ١٠٥ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٥٠

فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم - عليه السلام - أتت الشياطين إبليس فقالوا لو أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فذاك هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافض الأرض فلم يجد شيئا فوجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا بالملائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد الباهرة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فابتسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الديلة ، ولكن اتوا بنى آدم من قبل المعجلة والخفة .

ومنها الدراهم والنفائير وسائر أصناف الأموال من العروض والذواهب والعقل فإن كل ما يزيد على قدر القوة والحاجة فهو مستقر الشيطان . قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أحيوا ثم جاءوه وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالخير فلعب ثم جاء وقال قد بعث الله محمد ﷺ قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبتنا برما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحق ذلك . فقال لهم إبليس رويدا عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فتصيب منهم حاجتنا

ومنها الجحش وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الإتفاق والتصدق ويدهو إلى الإحار والكثرة والمذاب الأليم . ومن آفات الجحش على ملازمة الأسواق لجميع المال وهي معيش الشياطين .

ومنها التعصب للمذاهب والأهواء والخذل على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا . قال الحسن - رضي الله عنه - بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهوري بالاستعمار فسول لهم ديون لا يستعفرون الله منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن في ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستعفرون منها .

ومنها سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الأشرار فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطل وأن ذلك خبيثه يترشح منه فيجب على الإنسان قطع هذه الآثواب من التعبد وبعثه عليها ذكر الله تعالى .

قال ابن اسحاق لما رأى كسار قریش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له ﷺ أصحاب من غيرهم فحللوا عروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لا اجتماع الندى فيها يتشاورون ، وكانت قریش لا تقضى أمرا إلا فيها ولا يدخلون فيها غير قریش إلى أن يبلغ أربعين سنة بحلاف القریش وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولما ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم إبليس في صورة شيخ مجذو . وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء قليب أو طيسان من خز فقالوا ممن

الشبح قال من يجد سمع بالذي أهدتم له فحضر لسمع ماتقولون وعسى أن لا يعلمكم رأيا
 يصحاح . قالوا ادخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي ﷺ وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر
 رجلا فقال أبو الحمري المقتول كما أريد أحبوه في الحديد واعتقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما
 أصاب أشباهه من الشعراء قبله ، فقال النجدي ما هذا يرى والله لو جستموه في الحديد ليخرجن
 أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلا وشكوا أن يتبوا عليكم فيستعوه من
 أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يقتلوكم على أمركم . ما هذا يرى فانظروا في غيره فقال الأسود ابن
 ربيعة بن عمرو العامري نخرج به من بين أظهرنا فتسبه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي
 لعنة الله والله ما هذا يرى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطجه وغلته على قلوب الرجال بما يأتي
 به والله لو فعلتم فلذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى
 يتابعوه عليكم ثم يسير بهم إليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أجهروا فيه رأيا غير
 هذا فقال أبو جهل والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقمتهم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى
 شابا جلدا نسيا وسيطا ثم تعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل
 واحد فيقتلوه فيستريح منه ويفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم
 منيحا فمقله لهم . فقال النجدي لعنة الله القوم ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله ﷺ
 فغرفوا على ذلك ثم أتى جبريل النبي ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت
 عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرمونه حتى ينالوا فيه فمات عليه السلام - عليا فنام
 مكانه وغطى يرد له ﷺ أخضر كان يشهد به الجمعة والعينين بعد ذلك عند فعلهما فكان على أول
 شرى نصه في الله ووقى بها رسول الله ﷺ وفي ذلك يقول على رضي الله عنه (شعر) :

وقيت بنمى خير من وطئ الثرى * * * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
 رسول الله غصاف أن يمكروا به * * * فنجاه ذو الطول الإله من المكر
 وبات رسول الله في الدار آتيا * * * موقى ومى حفظ الإله ومى ستر
 وبأراعيهم ومسايتهمونى * * * وقد وطئت نفسى على القتل والأسر

ثم خرج ﷺ من الباب عليهم وقد أخذ الله على أيصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على
 رؤسهم كلهم ترايا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ هـ ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ فأغنيهم فهم لا
 يهرون ﴾ (٢) ثم انصرف حيث أراد فأتاهم أت من لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا
 محمدا قال قد حبكم الله ولله حرج عليكم ثم ما نرك منكم رجلا إلا وضع على رأسه برا
 وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فافا عليه ثراب ثم جمعوا

بطعمون فيرون عليا على المرائش متسجيا بردة رسول الله ﷺ فيقولون والله إن هذا لمحمد نائم
 عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقدم على من الفراش فقالوا لقد صدقت الذي كان يحدثنا
 . وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿ وإذا ينكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ﴾ (١) .

لا تخرج من فمك تيسير * * * وكل شيء له وقت وقته

وللمقدر في أحوالنا نظير * * * وغسق تديرنا لله تدير

ثم أذن الله تعالى لبيه ﷺ في الهجرة . قال ابن عباس بقوله تعالى : ﴿ وقل رب أذننى
 مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدك سلطانا نصيرا ﴾ (٢) وأمره جبريل أن
 يستصحب أبي بكر - رضي الله عنه - .

روي الحاكم عن علي - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال جبريل من يهاجر معي قال أبو بكر
 الصديق وأخبر ﷺ عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عند
 الناس .

وروي الطبراني في حديث أسماء كان النبي ﷺ يأتيها بككة كل يوم مرتين بككة وحشية فلما
 كان يوم من ذلك جاءها في الظهيرة فقالت يا أبت هذا رسول الله ﷺ متقنعا أي معطيا رأسه في
 ساعة لم يكن يأتيها ، قال أبو بكر - رضي الله عنه - فدي له أبي وأمي والله ما جاء به لي هذه
 الساعة إلا أمر .

قالت عائشة - رضي الله عنها - فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن له أبو بكر فدخل فتحي أبو بكر
 إنما هم أهلك يعني عائشة وأسماء . وفي رواية قال أبو بكر لا عين عليك إنما هما ابتائى فقال ﷺ
 فإنه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر العصابة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال نعم قالت
 عائشة - رضي الله عنها - فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أن أحدا يبكي من المرح فقال أبو
 بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحتي هاتين قال ﷺ لا بل بالشمن . وفي رواية
 فقال بشمتها إن شئت ، وإنما أخذها بالشمن لتكون هجرته ﷺ إلى الله تعالى بنفسه وماله وغبته منه
 عليه في استكمال فضل الهجرة إلى الله تعالى . قالت عائشة فجهزناهما أحث أي أسرع الجهازا ،
 وصعدنا لهما سفرة أي راداه في جراب ، راد الوعد أي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة قالت
 فطعمت أسماء قطعة من نطقيها يكسر الثون ما يشد به الوسط . قالت عائشة - رضي الله عنها - ثم
 لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر يعار ثور فكما فيه ثلاث ليال وهو جيل بككة نزله ثور بن عبد صاة
 فسب له

وروي أنهما خرجا من غوفة أي باب صغير لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى الغار

وروي أن أبا جهل لقيهما فأعصى الله بصره فنهض حتى مضى ، فقالت أسماء بنت أبي بكر ح - أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أهلها وأسفلها ، عن العامة جمع قائف وهو الذي يعرف الأثر في كل وجه فوجدوا في وجهه ثور أثره هناك منه يرب - ينمعه حتى انقطع الأثر لما انتهى إلى ثور وشن حسي قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة مائة لمن يرهده .

وروي أنه لما دخلوا الغار وأبو بكر معه أنبت الله علي باب الرامة وهي شجرة معروفة بأم قبيلان فحببت حسن الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فرقتا علي وجهه فعششتا علي بابيه وأن ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من تيتك الحمامتين .

ثم أقبل قتيان قريش من كل بطن بعضهم وهرابهم وسوقهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأي حمامتين وحشيتين يعم الغار فرجع إلي أصحابه فقالوا له ما لك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قال فعلم أن الله قد دواهم وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أريكم أي حاجتكم إلى الغار إن فيه لعنكوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتمسخ العنكبوت . وهذا أبلغ في الإصغار من مقارعة القوم بالجور ، فتأمل كيف أظلمت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاسكت وجه المكان فحاسكت ثوب سجها حتى عمي علي القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن القيم

ودود القز إن نسجت حريرا • • • يجعل لبيته في كل شيء

فإن العنكبوت أجل منها • • • ما نسجت علي رأس النبي

وروي الشيخان عن أبي بكر قال حدثني أبو بكر قال قلت لربي ﷺ ونحو في أعمار لو أن ندمهم نظر إلي فدميه لراى فقال له رسول الله ﷺ ما ظنك بأشبه الله فالتفتا • • • وذكر بعض من السير أن أبا بكر لما قال ذلك قل له ﷺ لو جاءنا من ههنا ندمنا من ههنا فنظر الصديق إلى أعمار قد انزعج من الجانب الآخر وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشلولة إلى جانبه . وعن الحسن مروي ببلعاء أن أبا بكر ليته يطلع معه ﷺ إلى أعمار كان يعيش بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة سألته فقال أذكر الطلب فأمنني حدثك وأذكر أرواح فأمشي أمامك فقال لو كان شيء أحبب أن يمل درسي ، قال أي ولدي بحثت باحث فلما انتهت إلي أعمار قال مكثت بـ رسول الله حسي

مشريء لك الغار فاستبيرا فجعل يلتصق بيده فكلما رأي جحراً قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع . فبني جحر فوضع عليه عليه ثلثا يخرج ما يؤذي رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في جحر أبي بكر وبام فلدغ أبو بكر في وجهه من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى ﷺ فسقطت دمعه علي وجه رسول الله ﷺ . فقالوا مالك يا أبا بكر قال لدغت فذلك أبي وأمي فمسح رسول الله ﷺ بريقه مكان اللدغة فذهب ما يجده . ولقد أحسن حسابه بن ثابت - رضي الله عنه - حيث قال :

وثاني اثنين في الغار اللئيف وقد • • • طاف العدو به إذا صاعد الجبل

وكان حب رسول الله قد علمو • • • من الخلائق لم يحصل به بدلا •

وكان خروجه ﷺ من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة ثلثي عشرة ليلة خلت منه .

حكى : أن زاهدا من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضا شديدا ودما وقت أجله فأتاه صديقه في مكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه وم يقل فقال ثانيا فأعرض ، فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشي عليه صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة ففتح عييه فقال هل قلتم لي شيء قالوا نعم عرض عليك الشهادة فأعرضت في مرتين وقت في الثانية لا أقول فقال أثنائي إليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وهو يحرك القدح فقال المحتاج إلي الماء قلت بلي قال قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه ثم أثنائي من قبل رجلي فقال لي كذلك فأعرضت عنه وفي الثالثة قال لي كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح علي الأرض وولي هاربا وأنا وجدت علي إليس لا عليكم فانا أشهد لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

وروي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال سألت بعضهم وبه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في السوم جسد رجل شبه البلور يري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد علي منكبه الأيسر بين منكبه وأده له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الأيسر إلي قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى أحس .

اللهم لا تسلط عليا شيطانا سريدا ولا إنسانا حسودا وأعنا علي ذكرك وتذكرك بجاء خاتم أنبيائك ورسلك

وكما قال آخر :

ذهب الدين يقال عند مراقبهم ••• ليت البلاد وما بها تنصدع

وعن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأمانة مترفع ويصح الناس يتابعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الأمانة وحتى يقال أن في بني فلان أمانة »

وأعلم أن اتوبة واحدة بالأحبار والآيات ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ نُصْرَةٌ فِي هَٰذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَدْرِيُونَ ﴾ (١) وهذا أمر على العموم . وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (٢) ومعنى النصوح الخالص لله تعالى حاليا من الشوائب مأخوذ من الصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُصْطَفِينَ ﴾ (٣) بقوله ﷺ : « الثائب حبيب الله والثائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٤) وقال رسول الله ﷺ : « لله أربع بتوة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتى إذا أشد عليه الحر والمطرش أو ماشاء الله قال أوجع مكاني الذي كنت فيه فأتاهم حتى أموت فوضع رأسه علي ساعده لم يموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأناله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا يراحلته » (٥) .

ويروي عن الحسن قال لما تاب الله على آدم - عليه السلام - هتأه الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل - عليهما السلام - فقال يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم - عليه السلام - يا جبريل فإني كان بعد هذه التوبة سؤال فأبين مقامي فلوحى الله إليه يا آدم وقرت عينك التمسب والنصب وورثتهم التوبة فمن دهاتي منهم لست كما لست ومن سألني للمغفرة لم أبخل عليه لأنني قريب محبب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين فاسحكين ودهالهم مستجاب . وقال ﷺ : « إن الله عز وجل يسطر يده بالتوبة لسيء الليل إلى النهار ولسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (٦) وسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراه القابل قرب قاس ليس يطرب ولا طاب إلا هو قبل . وقال ﷺ : « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم نعمتم لتاب الله عليكم » (٧) وقال ﷺ : « إن العبد ليدسب الذنب فيدخل به الجنة فيقبل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينيه تأباً منه فلما حتى يدخل الجنة » (٨) وقال ﷺ : « كرامة الذنب

الباب السابع عشر

في بيان الأمانة والتوبة

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما سفيان الثوري يطوف إذ رأي رجلاً لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلا وهو يصلي على النبي ﷺ قال فقلت له يا هذا إنك قد تركت السبح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ هل عندك في هذا شيء قال من أنت هاتك الله ؟ فقلت أنا سفيان الثوري قال لولا أنك زاهد أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أعلمتك علي سري ثم قال لي خرجت ووالذي حاجا إلي بيت الله الحرام حتى إذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فمضت بشأته حتى مات فامرود وجهه فقلت إنا لله وأنا إليه واجعون وغطيت وجهه فقلبتني عيالي فمضت حزينا فمضت رجلا ثم أر أحسن منه وجهها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي من فكشف الإزار عن وجهه فأمر بيده علي وجهه فأبيض ثم ولي واجعا فتملقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله علي والدي بك في أوهى الغربة قال : « أو ما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والنك كان مسرفا علي نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به منازل استعانت بي ولما غيبت لم أكثر الصلاة علي » فانتبهت فإذا وجه أبي قد ابيض .

وروي عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي ﷺ أنه قال : « من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة » (١) .

إعلم أن الأمانة مأخوذة من الأمن لأنه يؤمن معها من منع الحق ، وعندها الحياة من الخوف وهو النقص لأنك إذا خفت أحدا في شيء فقد أدخلت عليه النقصان . قال رسول الله ﷺ : « المكر والخديعة والحياة في النار » (٢) . وقال ﷺ : « من هامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته » (٣) ومدح أعرابي قوما فقال شفعوا برعي الأمانة فلا يعدون بلمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة الأول وهؤلاء الذين مدحهم الأعرابي قد انقروا فلم ترو في هذه الأزمان إلا دنيا في ثياب كما قال .

ومن يثق الإنسان فيمن يثوبه ••• ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ••• دنيا علي أجسادهم ثياب

(١) (صحيح) ابن ماجه (٩٠٨) ، وصحيح الجامع (٦٥٦٨) .

(٢) (حسن) إمامكم ٤ / ٦٠٧ ، وصحيح الجامع (٦٧٢٦) .

(٣) تاريخ أصعها ٢ / ٣٠٠

(١) آية (٣١) سورة النور .

(٢) آية (٢٢٢) سورة البقرة .

(٣) (صحيح) مسلم (٢٧١٦) .

(٤) سيق تخريجه .

(٥) (صحيح) مسلم (٢٧١٦) ، وصحيح الجامع (١٥٠٣) والضعيفة (٢٠٣١) .

(٦) (صحيح) مسلم (٢٧١٦) ، وصحيح الجامع (١٥٠٣) والضعيفة (٢٠٣١) .

(٧) (صحيح) مسلم (٢٧١٦) ، وصحيح الجامع (١٥٠٣) والضعيفة (٢٠٣١) .

(٨) (صحيح) مسلم (٢٧١٦) ، وصحيح الجامع (١٥٠٣) والضعيفة (٢٠٣١) .

الذميمة . وقال ﷺ : « الثائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

وروي أن حبشياً قال يارسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال : نعم فولي ثم رجع فقال يارسول الله أكان الله يراني وأنا أعمى قال : نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت بها روحه .

وروي أن الله عز وجل لما لمن إبليس سألته النظرة فأظهره إلي يوم القيامة فقال وعزتك لا أخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أخرجت عنه توبة مادام فيه الروح . وقال ﷺ : « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الرسخ » (١) من سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفْرًا ﴾ (٢) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الفضيل قال الله تعالى : بشر المنافقين بأنهم إن تبوأوا قبلكم وحطرت الصديقين إني إن وضعت عليهم حذلي عذبهم . وقال عبد الله بن عمر من ذكر حطية ألم بها فرجل منها قلبه صحت عنه في أم الكتاب .

وروي أن نبيا من الأنبياء أذنب كل ما أوحى الله إليه وهزتي لئن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك أن لم تعصمني لأهودن فعصمه الله تعالى .

وروي أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تفرقان فقال إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتعلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يفلق فاعمل ولا تيأس .

وروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرأة فرأى الشيب في لحية فسأه ذلك فقال إلهي أطعك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة إن رجعت إليك تقبلي فسمع قائلا يقول ولا يري شخصه أحبتها فأحببتك وتركنا فتركناك وعصيتا فأهلك وإن رجعت إلينا قبلتك .

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تاب العبد تاب الله عليه وأسي الخطئة ما كانوا يكتبوا من مساوئ عمله وأسي جوارحه ما حملت من الخطايا وأسي كانه من لأرض ومقامه من السماء ليجمع يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه » (٣) .

وروي عن علي - كرم الله وجهه - عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب حول العرش قبل أن

يخلق الخلق بأربعة آلاف عام : وإني لعفء على تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتني » (١) .

وعلم أن التوبة فرغ من حين الذنوب الكبائر والصغائر فورا فإن الإصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر . قال الله تعالى ﴿ وَابْتَغُوا فَاغِشَةً أَوْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ ﴾ (٢) الآية . والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا مائما غير هازم علي العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مريضة سط عليها دياج والناس يظنون إليها ويتمحبون منها فإذا كشف عنها العطاء أعروا عنها فكذلك الخلق يظنون الي أهل الطاعة الظاهرة فإذا كشفت لعطاء يوم القيامة يوم تبلي السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال ﷺ : « إن الله لا يظر إلي صوركم ولكن يظر إلي قلوبكم » (٣) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس يتأب أي لأنه لم يحكم أبواب التوبة من التدم والعزم علي عدم العود ورد المظالم لأربابها إن أمكن واستحل لهم منها أن تيسر ولا أكثر من الاستعمار له ولهم عسي الله أن يرغيبهم عنه وسيان الذنب من أتبع المصائب فعلي العاقل أن يعاسب نفسه ولا ينسي ذنبه كما قيل :

يا أيها المذنب المحصي جرائمه • لا تنس ذنبك وأذكر منه ما سلما

وتب إلي الله قبل الموت واترجرا • يا عاصيا واعترف أن كنت معترفا

وروي العقبة أبو الليث يستنه قال دخل عمر - رضي الله عنه - علي رسول الله ﷺ باكية فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا عمر » فقال يارسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « أدخه يا عمر » قال فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا شاب » قال يارسول الله أبكتني دنوب كثيرة وجمت من جبار عصاة علي فقال رسول الله ﷺ : « أشركت بالله شيئا قال لا قال أقتلت نفسا بعير حق قال لا قال قتل الله يعمر ديت ولو كان مثل السموات السبع والأرضين والحيال » قال ديتي أعظم من ذلك قال ذبكت أعظم أم الكرسي قال ديتي أعظم يا رسول الله قال ذبكت أعظم أم العرش قال ديتي أعظم قال ذبكت أعظم أم إلهك يعني عمر الله قال بل الله أعظم وأجل قال فونه لا يعمر الدت العظيم إلا الرب العظيم يعني عظيم التجاور ثم قال له رسول الله ﷺ أحبرني عن ذنبك قال إني أستحي منك يارسول الله قال بل أخبرني قال يارسول الله إني كنت أنبش القبور منذ سبع سنين حتي ماتت جارية من بنات الأنصار فبشت قبرها وأحلت كمها ومضيت غير بعيد فغلب الشيطان علي فرجعت فوجدتها ثم مضيت غير بعيد وإذا بالخارية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تسحي من ديان أحل للمظلوم من الظالم تركني عريانة في عسكر الموتى وأوقعتني حبسا بين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله

(٢) آية (١٣٥) سورة آل عمران

(١) الانعامات (٢٧٣)

(٣) صحيح مسلم (٣٣ - ٣٤)

(١) البقرة ٩ / ١٦٠

(٢) سورة الإسراء ٢٥

(٣) صحيح ابن عسك ٢٨٦ / ٤ ، وضعيف الجامع (٤٢١)

ﷻ وهو يدفع في لقاء ويقول يا فاسق ما أحوجك إلي البار أخرجني فخرج الشاب تائباً إلى الله عاني أربعين ليلة فمات له أربعون ليلة رجع رأسه إلى السماء وقال يا إله محمد وآدم وإبراهيم إن كنت عميت لي فأعصم محمدًا ﷻ وأصحابه ولا فأرسل ناراً من السماء فأحرقني بها وبجني من عذاب الآخرة فهبط جبريل علي النبي ﷻ وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلت الحق فقال بل هو خلقني وخلقهم وروفي وروفهم قال جبريل - عليه السلام - يقول لك إن الله تعالى إنني ثبت علي الشاب فدعا النبي ﷻ الشاب ويشره بأن الله تعالى قاب عليه .

حكى أنه كان في زمن موسى - عليه السلام - رجل لا يستقيم علي التوبة كلما تاب أعيد ممكث علي ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالى إلي موسى قل لعبيدي فلان أني فضبت عليه قبيح موسى - عليه السلام - الرسالة إلي ذلك الرجل فحزن وذهب إلي الصحراء قائلاً إلهي أنفدت رحمتك أم صرتك معصيتي أم نفذت حرائر عموك أم بغلت علي عبادك أي ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللؤم من صفاتي الحادثة أفتعذب صفتي صفتك وإذ حجب عبادك عن رحمتك فمن يرجون وإن طردتهم فإني من يقصدون إلهي إن كنت ورحمتك قد نفذت وكان لابد من عذابي فأحمل علي جميع ذنوب عبادك فإني قد نديتهم بنصي فقال الله تعالى يا موسى اذهب إليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء الأرض لغفرتها لك بعد ما عرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة . وقال ﷻ : « ما من صوت أحب إلي الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يا رب فيقول الرب ليبيك يا عبيدي مل ما تريد أنت عبيدي كبعض ملائكتي أنا عن بيت وعن شمالك وفوقك وغريب من ضمير قلبك . . إشهدوا بالملائكتي أني قد غفرت له » (١).

قال ذو النون المصري - رحمه الله - إن الله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق لقلوبهم وسقوها بماء التوبة فأنمرت ندماً وحزناً فجنوا من غير جنون وتلبسوا من غير وعي ولا بكهم وأنهم هم البلاء المصحاه العارفون بالله ورسوله ثم شربوا الصفاء مورثوا الصبر علي طول البلاء ثم تولت قلوبهم في المنكوث وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتي وصلوا إلي علو الرهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة التوب للندم واستلوا خشونة المضجع حتي ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتي أناخوا في رياض التجم وخاضوا في بحر الحياة وردموا حادق البحر وعبروا جسر الهوي حتي نزلوا بفناء العلم واستقروا من غدير الحكمة وركبوا سفينة العطف وأقلعوا أرياح النجاة في بحر السلامة حتي وصلوا إلي رياض الراحة ومعدن العز والكرامة .

الباب الثامن عشر

في فضل الترحم

قال رسول الله ﷻ : « لا يدخل الجنة إلا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره » (١) . ومعني رحمة نفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والإحسان فيها ومعني رحمة لغيره أنه لا يسعي في أذية المسلم . قال ﷻ : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » (٢) ويرحم اليهائم فلا يكلمها ما لا تطيق . فقد ورد أن رسول الله ﷻ قال : « بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فترل بها وشرب ثم طلع فإذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فملا خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقي الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له قالوا يا رسول الله إن لنا في البهائم لأجراً قال في كل ذات كبد وحيلة أجر » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال بينما هم - رضي الله عنه - يمشون ذات ليلة إذا مر برفقة قد نزلت مخشي عليهم السرقة فلقي عبد الرحمن بن هرف - رضي الله عنه - فقال ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مروت برفقة قد نزلت فحدثني نفسي أنهم إذا باتوا ناموا فحشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرصهم قال فانطلقنا فبعد قريباً من الرفقة بحرمان حتي إذا طلع الفجر نادى عمر - رضي الله عنه - يا أهل الرفقة الصلاة حتي إذا راهم لمحركوا فنصرف فلعيننا أن نقتدي بالصحاب - رضي الله عنهم - فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء علي المسلمين وعلي جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الدمة .

فقد روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه رأي رجلاً من أهل النعمة يسأل أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر - رضي الله عنه - ما أنصفك أخلفنا منك الحزبة ما دمت شاباً ثم صيغتك اليوم وأمر أن يجري عليه قوته من بيت مال المسلمين .

وعن الحسن عن رسول الله ﷻ أنه قال : « بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين » (٤) . وعن رسول الله ﷻ أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن لإرحموا من في الأرض يرحمكم من

(١) كثر العمال (٥٩٧٤)

(٢) صحيح البخاري (٦٤٨٤)

(٣) صحيح البخاري (٦٠٠٩)

(٤) كتاب الأولياء (٥٨)

السماء^(١) ، وعنه ﷺ : « من لا يرحم لا يرحم ومن لا يعمر لا يعمر له »^(٢) وقال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسبهم وأن تستعمر مدبرهم وأن تعود مريضهم وأن تحب قائلهم »^(٣).

وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب بأي شيء اتحدتني صفيا قال يرحمتك علي خلقي ، وعن أبي البرقاء رضي الله عنه أنه كان يتبع الصياد فيشتري منهم العصافير فيرسلها ويقول ادعني فعميتي . وقال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تلهي له سائر الجسد »^(٤) النبي والسهر^(٥).

حكاية . مر عابد من بني إسرائيل علي كتيب من رمل وقد أصابت بني إسرائيل مجاعة عظيمة فتسبي في نفسه أن هذا لو كان دقيقا لأشبع به بني إسرائيل فأوحى الله إلي نبي بني إسرائيل أن قل لعبادي أن الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقا واشتبهت به الناس ولذلك قال رسول الله ﷺ : « نية المؤمن خير من عمله »^(٥).

حكى : أن عيسى - عليه السلام - خرج يوما ففقي إليس ويده غسل وفي الأخرى وماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا العمل والرماد ؟ قال أما العمل فأجعله علي شفاه المعتارين حتي يملغوا منها ، وأما الرماد فأضعه علي وجه اليتامي حتي يبيضهم الناس . وقال ﷺ : « إن اليتيم إذا ضرب لعز عرش الرحمن ليكافأ فيقول الله عز وجل يا ملائكتي من أهلكي هذا الصبي الذي عييت أباه في التراب »^(٦) وقال ﷺ : « من أوي يسيما إلي طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة »^(٧) وفي روضة العلماء كان إبراهيم - عليه السلام - إذا أراد أن يأكل طعاما متني الليل والميلين يطلب من يأكل معه ويكي علي كرم الله وجهه يوما ففيل مايكيك قال لم يأتي ضيف منذ سبعة أيام فأحلف أن يكون الله قد أهاني . وقال رسول الله ﷺ : « من أطعم جائعا يريد به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعذبه في النار » . وقال رسول الله ﷺ : « السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار »^(٨) . وقال ﷺ : « اجعلوا

(١) (صحيح) (أبو داود) (٤٩٤١) ، وصحيح الجامع (٢٥٢٢) .

(٢) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) .

(٣) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) .

(٤) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) .

(٥) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) ، وصحيح الجامع (٥٩٧٦) .

(٦) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) .

(٧) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) .

(٨) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) ، وصحيح الجامع (٢٣٤١) .

السخي أحب إلي الله من العباد الخيل^(١) وقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب : العالم الذي يعمل بعلمه ، ومن حج ولم يرث ولم يفسق حتي مات ، والشهيد الذي قتل في معركة لإعلاء كلمة الإسلام ، والسخي الذي اكتسب مالا من الحلال وأعمه في سبيل الله بغير رياء ، هؤلاء يتارح بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله عبدا يختصهم بالعلم لتافع العباد فمن يحل بملك المنافع علي العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها إلي غيره »^(٢) وقال ﷺ : « السخاء شجرة من شجر الجنة أعصانها منسوبة إلي الأرض فمن أخذ بفضن منها فادخ ذلك الفضن إلي الجنة »^(٣) وعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الصبر والسماحة »^(٤) .

وروي المتقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنة قال : « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، وحسن الكلام »^(٥) .

الباب التاسع عشر

في بيان الخشوع في الصلاة

جاء في الخبر أن جبريل - عليه السلام - جاء يوما إلي النبي ﷺ وقال : يا رسول الله كنت رأيت ملكا في السماء علي سرور وحوله سبعون ألف ملك صغورا يخدمون وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه منك والآن رأيت ذلك الملك علي جبل قائم منكسر الجناح وهو يبكي فلما رأي قال أتشفع لي قلت ما جرمك قال كنت علي السرور ليلة المعراج فمر بي محمد ﷺ مما قمت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما تري قال فتصرعت إلي الله تشفعت له فقال الله تعالى يا جبريل قل له حتي يصلي علي محمد فاصلي ذلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنت جناحه .

إعلم : أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله ، وإن وجدت ناقصة ردت إليه وسائر عمله وقال ﷺ : « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميراث من أوفي أستوفي » . وقال يزيد الرقشي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها

(١) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) .

(٢) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) ، وتذكرة الموضوعات (٦٤) .

(٣) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) ، وتذكرة الشريعة ١٨٢ / ٢ ، وصحيح الجامع (٢٣٤٠) .

(٤) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) .

(٥) (صحيح) (البيهقي) (٦٠١٣) ، وصحيح الجامع (٢٣٣٢) ، والنسخة (١٠٣٥) .

سورة ، وقال ﷺ : « إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد ورب مدين صلاتيهما مابين السجدة والأرض وأشار إلى الخشوع » قال ﷺ : « لا يظفر الله يوم عبادة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » (١) وقال ﷺ : « من صلى صلاة لوقتها وأصيل وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي يفضاء صغرة تقول حفظك الله كما أحفظني ومن صلى صلاة لعبير وقتها ولم يسبح وحودها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيقتك الله كما ضيقتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يذهب الثوب الخلق فيصرب بها وجهه » (٢) . وقال ﷺ : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته » (٣) . وقال ابن مسعود رضي الله عنه الصلاة مكبال فمن أوفى استوفى ومن طغف فقد علم ما قال الله ﴿ وَيَلْقَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافعة حتى يؤدي القرينة . وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى نار ويكم النبي أو قد فرغوا فأطعوا . وقال ﷺ : « إنما الصلاة تحسن وتواضع » . وقال ﷺ : « من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمكر لم يزد من الله إلا بعدا وصلاة العاقل لا تمتع من المحشاه والمكر » (٥) . وقال ﷺ : « كم من قائم وليس له من قيامه إلا التعب والنصب » . وما أراد به إلا الغافل ، وقال ﷺ : « ليس للعبد من صلاة إلا ما عقل منها » وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء ، الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والأداء مع التعظيم والخروج مع الخوف . وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته . وقال رسول الله ﷺ : « في الجنة نهر يقال له الأفيح فيه حوراء خلقهن الله من الرعرعان يلعبن بالنهر واليانون يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام . ويقفن نعن فن صلى صلاته بالخشوع والحضور يقول الله تعالى لا أسكنه دارى ولا جعلته من زواري » (٦) .

وروى أن الله تعالى أوحى إليه قل لعصاة أمثك لا يذكروني فإن ذكرتني فاذكروني وأنت تتعسف أعصاك وكفى عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتني ماجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل واجبى بقلب وجل ولسان صدق .

وروى أن الله تعالى أوحى إليه قل لعصاة أمثك لا يذكروني فإني آليت على نفسي أنه من ذكرتني ذكرته مؤذنا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت العفة والعصيان . قال بعض الصالحين رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال

(١) أحمد ٢٢ / ١ .

(٢) سبق تحريجه .

(٣) سبق تحريجه .

(٤) سبق تحريجه .

(٥) تحف السادة المطهرين ١٢ / ٣ .

(٦) سورة الطه

(٧) إن لم يكن موضوعاً فهو ضيف

هينتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود التعميم بها واللذة . ورأى النبي ﷺ رجلا بحيث بلغته في صلاته فقال لو شجع قلب هذا خشعت جوارحه وقال من لم يحشع قلبه ردت صلاته . وأعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين في الصلاة في غير آية فقال : ﴿ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (١) ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَخْفَوْنَ ﴾ (٢) ، ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْمُزٌ ﴾ (٣) قيل أن المصلين كثير والخاشعين في الصلاة قس ، والحاج كثير والدار قليل والطير كثير والعنديل قليل والعالم كثير ويعامل قليل والصلاة محل الخشوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فون لجواز شرط ولقبول شرط فشرط الأحوال أداء فرضها وشرط قبول الخشوع . قال تعالى : ﴿ لَهُ أَفْجَعُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿ (٥) آية . . والتقوى قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦) وقال ﷺ : « من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وأعلم أنه لا يلبي عن الصلاة إلا الخواطر الالوة الشاغلة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة في مكان مظلم أو خال عن الشواغل من الأصوات والعرش المتقوشة والتجرد عن الملابس الخفيفة بحيث تلهي إذا نظر إليها في الصلاة كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال ذهبوا بها إلى أبي جهم فأتوها الهنئ أنما عن صلاتي وأمر ﷺ بتجديده شرك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذا كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان ﷺ في يده حاتم من ذهب قل انتحريم وكان على المبر فرباه وقد شعلنى هذا نظرة إليه وبغزة اليكم

ومن رجل آخر أنه صلى في حائط به والحيل مطوفة بشرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه . وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه بثمانين ألفا ، وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من اجفاء الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك . قال ﷺ : إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت . وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وقد ويضعهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصا في عينه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا ، فكيف لا يتفاديه بين يدي ملك الملوك

وفي التواتر مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا يا كيا فأنا لله الذي فتربت

(١) سورة المؤمنون

(٢) سورة الأعداء .

(٣) سورة المؤمنون .

(٤) آية (٢٣) سورة المداح

(٥) آية (٢٧) سورة المداح

(٦) سورة المداح

فدع إليه جسمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فإنك أكلته حيا فياكله . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ (١)

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - إن وثق الغيبة كانت تبهر في عهد رسول الله ﷺ وذلك لغلثها ، وأما في هذه الأزمان فقد كثرت الخبيثة وامتلائت الأنوف منها فلا تميزوا بينها ، ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على الفرار فيها من شدة الرائحة ونشأ وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام يشربون فيها ولا تبين لهم تلك الرائحة الممتدة لأنها ملأت أنوفهم فكذلك أمر الغيبة في أيامنا هذه .

قال كعب - رضي الله عنه - : قرأت في بعض الكتب أن من مات تائباً من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراً عليها كان أول من يدخل النار . قال الله تعالى : ﴿ وَيَلْزَمُهُمْ تَابَهَا ﴾ (٢) أي أشد العذاب للهزمة الذي يعيبك في العيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك . والآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يختاب النبي ﷺ والمسلمين في وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصاً بالوحيد عاماً . وقال رسول الله ﷺ : إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا ، قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يمضو عنه صاحبه (٣) فالواجب على المعتاب أن يتوب ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المعتاب لهجته فيخرج من مظلمته .

وقال ﷺ : من اختاب أخاه المسلم حول الله وجهه إلى دبره يوم القيامة . ويخفى لصاحب الغيبة أن يستعير الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل إلى المعتاب لأنه إذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المعتاب قبل توبه أما إذا بلغته فلا يرتفع عنه الإثم بالتوبة ما لم يجمعه من حل ، وذلك إذا رقى بالمرأة لها زوج فبذنه الحبر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجمعه من حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل مقضاء المأثرت من ذلك والله أعلم .

الباب الحادي والعشرون

في بيان الزكاة

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكَاةِ لَاَعْلَمُونَ ﴾ (١) يعني يهودون وهم أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان

مع ما صفت له صانع من دار أحسن عبيدا في دار جهنم فيكرى بها جسده وظهره أي : مع جسمه لها كلها وإن كثرت كنتم بردة عبيد له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . ونقص بين العباد فيرى سبيلا إلى إسي حة وما إلى النار . الحديث (٢) . وما إلى تعالى : ولدي يكرهون الذهب والنفضة ولا يملكونها في سبي الله البشرهم بعداب أليس (٣) يوم يحصى عليها في دار جهنم فتكرى بها جباههم وجنوبهم وظهرهم هذا ما كثرتم لأسفسكم قدوة ما كنتم تكفرون (٤) وقال رسول الله ﷺ : ويل للأعياء من يعرفه يوم القيامة يقولون ظنموا حقوا لتي فرغت عليهم . فيقول الله تعالى وعرفتني وجلالي لأنيكم ولا يبعدهم ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ فَرْقَنَّهُمْ حَقَّ مَعْنَمٍ ﴾ (٥) للسايل والمعزوم (٦) .

وروى أنه ﷺ : مر ليلة أسرى به على قوم على أديارهم وقاع وعلى أقبالهم وقاع يسرحون كما تسرح الأنعام الفسريح والرقوم وورث جهنم قال : من هؤلاء ما جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد .

وحكى : أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سفيان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نזור جارا لنا مات أخوه ونعمره فيه ، قال محمد بن يوسف القزباني فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير الليكاء والخزع على أخيه فحملنا نعزبه ونسله وهو لا يقبل تسليته ولا هزئه فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره وإذا صوت من قبره يقول له أفرقوني وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنيشت عنه التراب لأنظر ما حاله وإذا القبر يلتمع عليه مارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شعقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبت فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج إليها يده فإذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنعَمَ اللَّهُ بِهِمْ أَنَّ لَهُم مِّمَّا فَضَّلُوا لَهُمْ بَلْ هُمْ شَرُّ لَكُمْ سَعْيُونَ ﴾ ما يخلوا به يوم القيامة (١) . وأتوك عجل له العذاب في فيه إلى القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا هر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قضية الرجل وقلنا له يموت اليهودي والصرائي ولا ترى فيهم ذلك قال أولئك لاشك أنهم في النار وإنما يربكم الله أهل الإيمان لتعتبروا ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَمَتَّعْنَاهُ مَا نَشَاءُ وَمَا آتَا

(٢) آية (٣٥-٣٤) سورة التوبة .

(٤) آية (١٨٠) سورة آل عمران .

(١) (صحيح) مسلم (٩٨٧) .

(٢) آية (٢٤-٢٥) سورة لماعز .

(٢) آية (١) سورة الهمة .

(٤) آية (٤) سورة المؤمنون .

(١) الاختلاف ٧ / ٥٣٦ .

(٣) سبق .

عليك بمحيط^(١) . وجاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال طابع الركاة عند الله بمنزلة اليهودي والنصارى وسابع العشر عند الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنح الزكاة والعشر من ماله طمعون على لسان الملائكة والى ﷺ ولا تقبل شهادته وقال طوبى له أن أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة ، ومن أدى الزكاة من ماله وقع الله عنه عذاب القبر وحرّم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يصله عذاب يوم القيامة .

الباب الثاني والعشرون في بيان الزنا

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾^(٢) أي من الفواحش وعما لا يحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾^(٣) يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس والنظرة كما جاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : « البدان والرجلان تزنيان والعيان تزنيان »^(٤) قال الله تعالى ﴿ قُلْ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرَكِي لَهُمْ ﴾^(٥) الآية . . . قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام ويحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾^(٦) يعنى عقابا في النار ويقال وأدبا في النار ويقال جب في النار إذا فتح فمه صاحب أهل جهنم من خبث واثمته .

وروى عن بعض الصحابة أنه قال : إياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما التي هي الدنيا فقصص الرزق وقطع الأجل وسواد الوجه وأما التي هي الآخرة فعقوب الله وشدة الحساب ودخول النار .

وروى أن موسى - عليه السلام - قال يا رب ما لي زنى ؟ قال الله تعالى اليسه ذرعا من النار لو وضع على جبل شاقق لأصبح ومادا .

وورد أن امرأة فاجرة أحب إلى إبليس من ألف فاجر . وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ : « إذا زنى العبد خرج الإيمان وكان فوق رأسه كائطلة فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان »^(٧) . وفي كتاب الإقناع قال النبي ﷺ : ما ذنب أعظم عند الله من نقطة يعضها الرجل

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) آية (١٠٤) سورة الأنعام | (٢) آية (٥) سورة المؤمنون . |
| (٣) آية (٥١) سورة الأنعام . | (٤) أحمد ٢ / ٣٤٣ |
| (٥) آية (٣٠) سورة النور | (٦) آية (٦٨) سورة المرقاة |
| (٧) (صحيح) أبو داود (٤٦٩٠) | |

هي وحرم من لا يحل له . واللواط أشد من الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من لاط لا يجد رائحة الجنة وإن راى تحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام . قال العاصي الإمام رحمه الله سمعت بعض مشايخ يقول إن مع كل امرأة شطط ومع كل علة ثمانية عشر شيطانا . وروى من قبل علاما شهوة عذبه الله تعالى في النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة شهوة فكأنما رى سبعين بكرا ومن رى بالكبر فكأنما رى سبعين ألف ثيب .

وفي روث التفسير قال الكلبي : إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس لعنه الله فتصور في صورة غلام أمره جميل ثم دعاهم إلى نفسه فتكبره فصار ذلك عادة لهم في كل غريب فأرسل لهم لوط - عليه السلام - فتهاهم من ذلك ودعاهم إلى عبادة الله وتوحيدهم على إصرار العصية بعقاب الله فقالوا له اثبتنا يعذاب الله إن كنت من الصادقين ، فقال لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم بالحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وهو معنى قوله ﴿ مُصْرَعَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾^(١) أي معلمة أي عليها علامة في خرائط الله أو في حكمه .

وحكى : أن رجلا فاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيه في الحرم فقالت للملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أرمعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته صده ونهى من تبعه أن يلتفت خلفه إلا امرأة لوط فلأنها لما سمعت هذا العذاب التعتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها . قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على حوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح فيكتهم وتباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها مرادفها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم إن الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس ملأان أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براة يقال كان فيها أربعة آلاف لب .

الباب الثالث والعشرون

في صلة الرحم وحقوق الوالدين

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾^(٢) أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

- (١) آية (٨٣) سورة هود . (٢) آية (١) سورة النساء

ورب ما يعي. ﴿ فهل عسيتم إن تولتوا أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ (١) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأغشى أبصارهم ﴿ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة وتبهم سوء الدار ﴾ (٣)

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال مدلك لك » . ثم قال رسول الله ﷺ: « انزلوا أن تنتم ﴿ فهل عسيتم إن تولتوا أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ (٤) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأغشى أبصارهم » . ورواه أيضا الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٥) عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من ذنب أجدر أن يحجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » (٦) والشيخان: « لا يدخل الجنة قاطع » قال سفيان يضى قاطع رحم . وأحمد بسنده ورواته ثقات: « إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم » .

وابن حبان وغيره: « ثلاثة لا يدخلون الجنة . . مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصلق بالسحر » (٧) . وأحمد مختصرا وابن أبي الدنيا والبيهقي: « يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصحبوا قد مسحوا قردة وخنازير وليصحبهم حصف وقدع حتى يصبح الناس فيقولون حصف الليلة بيني فلان وحصف الليلة بفلان فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور وترسلن عليهم الروح العظيم التي أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشرهم الخمر والبهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم » (٨) وخصة نسبها جعفر والطبراني في الأوسط .

عن جابر - رضى الله عنه - قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: « يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم وإياكم والبغى فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى وإياكم وعقوف الزوالين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف

(١) آية (٢٣-٢٤) سورة محمد .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٧) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٣) (صحيح) الترمذي (٢٥١١) .

(٤) (صحيح) الحاكم ٥١٥ / ٤

(٥) (صحيح) أحمد ٣٩٩ / ٤

(٦) (صحيح) البخاري (٥٩٨٧) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٧) (صحيح) الترمذي (٢٥١١) .

(٨) (صحيح) الحاكم ٥١٥ / ٤

عدم والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شح ولا جبار إرره حيلة إنما لكبرياء لله رب العالمين » (١)

والأصماني: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال لا يجالسنا ليوم قاطع رحم فقام فثن من الحقة فأنى خالة له قد كان بينهما بعض الشيء فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد إلى المجلس فقال النبي ﷺ: « إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم »

والطبراني: « إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » .

والطبراني بسند صحيح عن الأعمش قال: كان ابن مسعود رضى الله عنه جالسا بعد الصبح في حلقه فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عا فلما يريد أن يدعو ربا وأن أبواب السماء مرتجة أي بضم مفتوح والجيم محففة (معلقة) دون قاطع رحم

ولشيبان: « الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله » (٢) وأبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح واعتز عن تصحيحه بأنه منقطع ورواية وصلة قال البخاري خطأ .

عن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال الله عز وجل: « أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » . أو قال بـ « أي قطعته » .

وأحمد بإسناد صحيح: « إن من أربى الربا الاستعانة في عرض المسلم بغير حق وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة » (٣) .

وأحمد بإسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه: « إن الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب إني قطعك يارب إني أسئله إلى » يارب إني ظلمت يارب يارب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وحدت وأقطع من قطعك » (٤) .

والشجنة بكسر أوله وضمه وإسكان الجيم ، القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ، ومعنى من الرحمن أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتي في الحديث على الأثر والبراز بإسناد حسن: « الرحم حجة متمسكة بالعرش تكلم بلسان خلق النهم صل من وصلني وأقطع من

(١) (صحيح) مجمع الزوائد ١٢٥ / ٥

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٨) ، ومسلم (٢٥٥٥)

(٣) (صحيح) أحمد ٦٠ / ١

(٤) (صحيح) أحمد ٤٠٦ / ٢ و ٥٥٥

قصص فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم وأني شفيقت الرحمة من اسمي فمن وصفه ومن تكلمه بتكلمته . اخبئة ، صبغ الحاء لمهمة والحيم ومخيف الون ، صارة معر . أي احبسة العمماء التي يعنى بها الخيط ثم يعنى العزل والبنك القطع ، والبوار : ثلاث متعلقات بالعرش : الرحمة تقول : إني بك فلا أقطع ، والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أعص ، وتلمعة تقول : اللهم إني بك فلا أكرم ، والبزار واللفظ له واليهي الطابع معلق بقائمة العرش فإذا استكت الرحمة وعمل بالخاصة واجترأ على الله تعالى بعث الله الطابع ليطلع على فيه فلا يغفل بعد فذلك شيئا .

وأخرج الشيخان : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (١) .

وأخرج أيضا « من أحب أن يسقط له في رزقه وينسأ (أي يؤخر) وهو يضم أوله وتشديد الله للمهل وبالهزم) له ، في أثره أي أجله فليصل رحمه » (٢) . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يسقط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه » . ورواه البخاري والترمذي ، ولفظه قال : « تعلموا من قسائكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر » . أي بها الزيادة في العمر . وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المستد ، والبزار بإسناد جيد والحاكم « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليقل الله وليصل رحمه » ، والبزار استأذ لا يأمن به والحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « مكتوب في الثوراة : من أحب أن يزداد عمره وفي رزقه فليصل رحمه » (٣) . وأبو يعلى : أن الصدقة صلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحنور . وأبو يعلى بإسناد جيد . عن رجل من ختعم قال : « أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال نعم ، قال قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإيمان بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال صلة الرحم قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإشراف بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال فليطعمه الرحم » .

والبخاري ومسلم واللفظ له « وقف أمر أي لرسول الله ﷺ وهو في سفر فأخذ بحطام نافذة أو برامها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار فكيف

أبني ﷺ ثم بعثني أصحابه ثم قال : لقد وفق هذا أو لقد هدى قال كيف قلت فأعاده فقال النبي ﷺ تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم (دع الباقي) (١) وفي رواية : « وتصل ذا رحمك . فلما أدير قال رسول الله ﷺ : إن لمسك بها أمرته به دخل الجنة » . والطبراني بإسناد حسن : « إن الله ليحمر بالقوم الديار ويسمى لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بعضها لهم قبل وكيف ذلك يا رسول الله قال يصلونهم أو حامهم » . وأحمد بسند رواه ثقات إلا أن فيه لقطعا أنه من أعطى الرق أعطى حقه من غير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يحمر الديار ويؤتى في الأعمال . وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي .

يا رسول الله من غير الناس قال : أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف ونههم عن المنكر . والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال « أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنومهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدير وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة » . والشيخان وغيرهما عن ميمونة - رضي الله عنها - أنها اعتقدت وليدة لها ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أني اعتقت وليدتي قال أما أنك لو أعطيتها أحوال كانت أعظم لأجرك » . وابن حبان والحاكم « أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أدنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال غيرها » .

والبخاري وغيره « ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل السلي إذا قطعت رحمه وصلها » (٢) . والترمذي وقال حسن : « لا تكبروا إمامة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلموا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا » (٣) . والإمامة بكسر ففتح وتشديد فمهمة هو الذي لا رأى له فهو يتبع كل واحد على رأيه . وفي مسلم « يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال : إن كنت كما قلت فكأنه تسفم لئلا أي ، يفتح تشديد ، الرماذ الحار ولا يرال معك من الله طهر عليهم مادمت على ذلك » والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم : أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح (٤) . أي الذي

(١) (صحيح) البخاري (١٣٩٧) ، ومسلم (١٤) .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٩١) ، وأحمد ١٦٣ / ٢ .

(٣) (حسن) الترمذي (٢٠٠٧) .

(٤) (صحيح) الحاكم ١٠٦ / ١ .

(١) (صحيح) البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٧-٤٨) .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٦) ، ومسلم (٢٥٥٧) .

(٣) (صحيح) الحاكم ١٦٠ / ٤ ، وصحيف الجامع (٥٢٧٢) .

بضمير عدائوته في كشحه أي خصمه كتابة عن باطنه ، وهو في معنى قوله ﷺ : « وتصل من قطعك » - والنزار والطبراني وأحاديثهم وصححه واعتبره بأن فيه وإمها : « ثلاث من كن فيه - حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فهذا فعلك يدخلك الجنة » - وأحمد بإسنادين أحدهما رواه ثقات عن عتبة بن عامر - رضى الله عنه - قال « لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال يا عتبة : صل من قطعك واعط من حرمك واحف عمن ظلمك ، زاد الحاكم : « ألا ومن أراد أن يمدني عمره ويسقط في رزقه فليصل رحمه » - والطبراني بسند صحيح به : « ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك »^(١) والطبراني : « إن أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك » والنزار « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ، وفي رواية للطبراني ألا أثبتكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال نعم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك » .

وابن ماجه « أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر حقوة البغي وقطيعة الرحم »^(٢) والبيهقي : « ما من فئب أجدر أن يمجى لصاحبه العفوة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والحياة والكذب وإن أصبل البر ثوابا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونن فجرة فتموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا »^(٣).

الباب الرابع والعشرون

فصل في بر الوالدين

أخرج الشيخان عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال « سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة لوقتها ثم قلت ثم أي قال بر الوالدين ، قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله » ومسلم وغيره : « لا يجرى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه »^(٤) ومسلم أفضل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أثنى الأجر من الله تعالى فقال له

من والديك أحد حتى قال نعم بل كلاهما حتى قال فشتني لأمر من الله من نعم قد وجع من والديك فأحسن صحبتكما وأبو يعنى والطبراني بسند جيد : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : أشتي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال فاسأل الله في يده مرة ففعلت فأنت حرج ومعتز ومجاهد ، والطبراني « يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله - أملك حية قال نعم قال ﷺ : الزم رجلها فثم الجنة »^(١) وابن ماجه : « يا رسول الله ما حق الوالدين عني ولديهما من حيث جئت وتارك ، وابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وصححه : « يا رسول الله أردت أعرو وقد كنت أشتريك فقال : هل لك من أم قال نعم قال الزمها فإن الجنة عند جليلها »^(٢) ، وفي رواية صحيحة : « ألك والدان قال نعم قال الزمهما فإن الجنة تحت أرجلها » - والترمذي وصححه عن أبي الدرداء - رضى الله عنه - أن رجلا أتاه فقال يا ابن أبي أمية إن أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضرب ذلك الباب أو احفظه » - وابن حبان في صحيحه « أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن أبي لم يزل يني حتى زوجني وإنه الآن يأمرني بطلاقها قال : ما أنا بالذي أمرك أن تعق والدتك ولا بالذي أمرك أن تطلق زوجتك غير أنك إن شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعت يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك أو دع قال وأحسب عطاء قال فطلقها »^(٣) . وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي حدث حسن صحيح عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : كان تحت امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ : طلقها . وأحمد بسند صحيح : من مره أن يمد له في عمره ويؤاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم « من ير والديه طويى له زاد الله في عمره »^(٤) وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه « أن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر إلا الذنء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » ، وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر »^(٥) ، والحاكم وصححه « عفا عن نساء الناس تعف نساؤكم ويروا أبناءكم تبركم أبناءكم ومن أتاه أخوه متصلا فليقبل ذلك محققا كان أو مبطلا فإن لم يفعل لم يرد على الحرم »

(١) الطبراني ٨ / ٣٧٢

(٢) (حسن) ابن ماجه (٢٧٨) ، والنسائي ١١ / ٦ ، وصحيح الجامع (١٢٤٨-١٢٤٩)

(٣) (صحيح) الترمذي (١٩٠٠)

(٤) (صحيح) الحاكم ١ / ١٥٤

(٥) (حسن) الترمذي (٢١٣٩) ، وصحيح الجامع (٧١٨٧)

(١) مجمع الروايات ٨ / ١٨٨

(٢) ضعيف جداً (ابن ماجه (٤٢١٢) ، وضعيف الجامع (٨١٠)

(٣) مجمع الروايات ٨ / ١٥١

(٤) (صحيح) مسلم (١٥١٠)

والطيراني بإستاد حسن : « يروا آباءكم تبركم أبائكم وعموا تعف نسائكم » (١)

ومسلم : « رغب أمه ثم رغب أمه ثم رغب أمه ، أي تصق بالرخام وهو التراب من اللؤلؤ ، قيل من يارسل الله قال من أدرك والديه عبد الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخلها »

والطيراني بإستاد أحدها حسن : « بعد النبي ﷺ المنبر فقال أمين أمين أمين ثم قال : أثنى جبرائيل - عليه السلام - فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما سمات فدخل النار فأبعده الله قل أمين فقلت أمين فقال يا محمد من أدرك شهر ومضان سمات فلم يحقر له فأدخل النار فأبعده الله قل أمين فقلت أمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك سمات فدخل النار فأبعده الله قل أمين فقلت أمين . « ورواه ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال فيه : « ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما سمات فدخل النار فأبعده الله قل أمين ، فعلت أمين ، « ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيب الثالثة قال بعد : « من أدرك أبويه الكبر حده أو أحدهما فلم يدخل الجنة فأبعده الله قل أمين فقلت أمين . « ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار فأبعده الله وأسحقه قلت أمين . وأحمد من طرق أحدها حسن : « من اعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله ، زاد في رواية وأسحقه . « والشيخان يارسل الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك . « والشيخان هن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قدمت على أمي وهي مشرقة في عهد رسول الله ﷺ فاستغثت رسول الله ﷺ فقلت قدمت على أمي وهي راغبة أي عن الإسلام أو فيما عتدي أناصل أمي قال نعم صلى أمك . « وابن حبان في معصية الوالد أو قال الوالدين معصية الرب ، وفي أخرى للبخاري : « رضا الرب من رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالد أو قال الوالدين » (٢) ، وفي رواية للطبراني : طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى للبخاري : رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين

والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما : « أثنى النبي ﷺ وجل فقال إني أذنب ذنباً عظيماً فهل لي من توبة قال : هل لك من أم قال لا قال فهل لك من حاة قال نعم قال فبرها » (٣) « وأبو داود وابن ماجه « يارسل الله هل بقي من بر أبوي شيء

أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وإعداد عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقيهما » ، ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة : قال : « لرجل ما أكثر هذا يارسل الله وأطيعه قال فاعمل به » .

ومسلم أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن حبان فقلت أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أباهما كان ودوداً لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أبا البر صلة الولد أهل ود أبيه » (١) . وابن حبان في صحيحه عن أبي بردة - رضي الله عنه - قال : « قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أئذني لما أتيتك قلت لا قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يصل أباه في قبره فيصل إخوان أبيه بسده وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخوان وود فأجبت أن أصل ذلك » (٢) « وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة : « أن ثلاثة نفر من كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهلهم فأخذهم بطر حتى أؤوا إلى غار في الجبل فالتفتوا على فمه صخرة فسفته فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا بصالح أعمالكم ، وفي رواية فقال بعضهم ليمض انظروا أعمالاً عمتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها ، وفي أخرى فقال بعضهم لبعض عفى الأثر ووقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله فادعوا الله يأتوكم أعمالكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعيق قبلهما أهلاً ولا مالا فأبى بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ماما محلبت لهم عبوقهما فوجدتهما باليمن فكرهت أن أعيق قبلهما أهلاً أو مالا فلبث والقبح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا عبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عا ما نحن فيه من الصخرة ففرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج ، وفي رواية وفي حية صغار كنت أراهي فإذا رحلت عليهم فحلبت يداي بوالدي أسقيهما قبل ولدي وإنه نأى بي طلب الشجر يوماً فما أتيت حتى أميت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحب فبحث بالخلاص فميت عند رؤوسهما أكره أن أو قطعهما من نومهما وأكره أن أبدا بالصية قبلهما ، والصية يتضاهاون عند قدمي فلم يزل ذلك تأبى رأيهما حتى طلع العجر فلأن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يروا منها السماء وذكر الآخر عنه عن الرنا بآية عه والآخر تبعه لئلا أجبر فانفجرت عنهم كلهم وخرجوا يتماشون .

(١) (صحيح) مسلم (٢٥٥٢)

(٢) (صحيح) صحيح الجامع (٥٩٠)

(٢) مجمع الروايات ٨ / ٣٩

(١) مجمع الروايات ٨ / ٣٨ و ٨١

(٣) سبق تحريجه

الباب السادس والعشرون

في طول الأمل

قال **عنه** : « أخوف ما أخاف هيكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى ، وأذن طول الأمل ينسئ لأخرة واسع بهوى يصعد عن الحق » .

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - أنه أشرف على أهل حمص فقال: ألا تستحون نبتون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الذين كانوا قبلكم بؤس شعبنا وجمعوا كثيرا وأملوا فاصبحت مساكنهم قيورا وأمالهم فرورا وجمعهم بؤرا .

وقال علي بن أبي طالب لسمر - رضي الله عنهما - : إذا أردت أن تلقى صاحبك فارتفع قميصك واخصف ثملك وقصر أمك وكمل هو الشيع .

وأوصى آدم لبنته شيث - عليهما السلام - بخمسة أشياء وأمره أن يوصي بها أولاده من بعده أولها قال له قل لأولادك لا تطمنوا للدينيا فإني أطمأنت بالجنة الباقية فأخرجني الله منها ، والثاني قل لهم لا تعلوا بهوى تساتكم فإني عملت بهوى امرأتي وأكلت من الشجرة فلحقني القنامة ، والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فإني لو نظرت عاقبة الأمر لم يصني ما أصابني ، والرابع إذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فإني حين أكلت من الشجرة اضطرب قبي فلم أرجع للحقني التدم ، والخامس استشيروا في الأمور فإني لو شاورت الملائكة لم يصني ما أصابني . وقال مجاهد قال لي عبد الله بن عمر : إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بئساء وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحبتك قبل مفارقتك فإني لا تدري ما أسلك هذا . وقال **عنه** لأصحابه : « أريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا : نعم يا رسول الله . قال أفصروا الأمل واستحيوا من الله حتى الحياء . قالوا : كلنا نستحي من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء ولكن الحياء من الله تعالى أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما حوى والرأس وما وعى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهالك استعيا العبد من الله حق الحياء وبها صيب العبد ولاية الله تعالى » . وقال **عنه** : « أول صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك حرم بالبعول والأمل » (١)

وروي عن أم المنذر أنها قالت طلع رسول الله **ﷺ** ذات عشية إلى الناس فقال « أيها الناس - تستحون من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله قال . تجمعون ما لا تأكلون وتأمون ما لا تدركون - نسوب ما لا تسكنون » (٢)

مسند المصباح (٥٢٨١)

* كتاب السادة المثنيين ١٠ / ٢٣٧

وعن أبي سعيد الخدري قال : « اشترى أسامة بن زيد من ثابت وليلة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله **ﷺ** يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي بعني بيده ما طرقت عياني إلا ظننت أن شمري لا يدقيان حتى أفيض ولا لقد - لقيمة إلا طبت أمي لا أسفها حتى أحصى بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي بعني بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » .

وعن ابن عباس - رضي الله بهما - أن رسول الله **ﷺ** كان يخرج بهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول : ما يدريني لعني لا أبغله .

وقيل بينما عيسى - عليه السلام - جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثر بها الأرض فقال عيسى : اللهم ائزع من الأمل فرجع الشيخ المسحاة واضجع حيث مائة فقال عيسى اللهم اردد عليه الأمل مقام فجعل يعمل فساله عيسى عن ذلك فقال يسما إنا أحمل لاذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فأنثيت المسحاة واضجعت ثم قالت لي نفس والله لا بد من عيش ما بقيت فممت إلى مسحتي .

الباب السابع والعشرون

في ملازمة الطاعة وترك الحرام

معنى الطاعة للقيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْسُ نَفْسُكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (١) هو أن يعمل العبد بطاعة الله تعالى . واعلم أن أصل الطاعة العلم بالله والرجاء في الله والمراقبة به ، فإذا تجرد العبد من هذه الخصال لم يلدك حقيقة الإيمان لأنه لا تصح الطاعة لله إلا بعد العلم به والإيمان بوجوده خالفا علما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قال أعرابي لمحمد بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم - : هل رأيت الله حين عبده قال لم أكن أعبد من لم أره قال كيف رأيته قال لم تره الأبصار بمشاهدة العيان لكن رأيته القلوب بحقيقة الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناموس معروف بالآيات متمزت بالعلامات لا يجوز في الفضليات ذلك الله لا إلا هو رب الأرض والسموات فقال الأعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالته

(١) آية (٧٧) سورة القصص

روى أن كعب الأحرار قال لو أن من آدم تلقوا من اليقين مقالحة من عظمة الله لشو على الماء والريح . فبحان من جعل الأقرار بالعجز حق إدراك معرفته إيمانا قد الختم عليه بالسجود عن ذلك شكره شكرا . قال محمود التوراني .

إذا كان شكرى معمة الله معمة ••• على له في مثلها يحب الشكر
مكيف يلوغ الشكر الا بفضلله ••• وإن طالت الأيام واتصل العصر
إذا من بالصراء هم سرورها ••• وإن من بالصراء أعقبها الأجر
وما منها إلا لله فيه معمة ••• تضيق لها الأوهام والبر والبحر

إذا ثبت العلم بالربوبية تعين الإقرار بالعبودية وإذا تقرر الإيمان في القلب وجبت الطاعة للرب . والإيمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون متباينون في منازل القرب متفاوتون في درجات الطاعة والإيمان جامع لهم يقدر حظ كل واحد منهم من المربة وتكثته من هلو المربة في الإخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه . فأما الإخلاص فلن لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فون كانت الطاعة رجاء للمثوبة وخوفا من العقوبة فلذلك العبد لا يكون كامل الإخلاص فإنه لعه سعى .

روى أنه **عنه** قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط أجر ألم يعمل .

وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمان به وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ﴾ (١) وإنما تعينت علينا وتقدم له من الإحسان إلينا فضلا عن كونه أمرنا بها ليرتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا . وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد إليه مع الضرورة والشقة به عند المازلة مع سكون النفس وطمانينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والأسباب تحت حكم الخالق المدير لا يركنون لأبياء ولا أبناء ولا أموال ولا صنائع بل صرفوا يهديه جميع الأمور إليه ولم يعتمدوا في حال من الأحوال إلا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجري به المقدر . قال بعض العلماء أقرب الناس إلى الله أرضاهم بما قسم لهم . ومن كلام الحكماء رب مسرة هي الداء ومرص وهو الشفاء كما قال :

كم معمة مطوبة ••• لك من أسباب السوء
ومسيرة قبيحة أفسدت ••• من حيث ترقب المصائب

(١) آية (١١) سورة الحج

فاصبر على حشد ••• ن دهرك في الأمور لها عواقب
وتكل كرب فرجونة ••• وتكل خالصه شرائب
وحسنا قول الله عز وجل : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (١)

واعلم أنه لن يستكمل العبد طاعة ربه ألا يرضى الدنيا . وفي بعض الحكم أبلغ المواعظ ما لم يحجبها عن القلب وهذه الحجب إما هي عوارض الدنيا .

ومن كلامهم الدنيا ساحة فاجعلها طاعة ، قال أبو الوليد الباجي :

إذا كنت أعلم علما بقينا ••• بأن جميع حياتي كساعة
فسم لا أكون ضنينا بها ••• واجعلها في صلاح وطاعة

« وقال رجل لرسول الله إنى أكره الموت قال : ألك مال قال نعم قال قدم مالك فإن قلب المرء عند ماله » (٢)

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر في ثلاثة : النطق والنظر والصمت فمن كان متعلقا في غير ذكر الله فقد لعا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها . وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة في أحوالها وترك التمتع بذاتها فإن العكس تبعث الإرادة لتعلق النفس بالعكرة .

وليحذر من إرسال النظر فيما لا يحل فإنه سهم صائب وسلطان خالب ، قال - عليه الصلاة والسلام - : « النظر سهم من سهام إبليس فمن تركها مخافة الله تعالى أحق به إيمانا بجد طعمه في قلبه » (٣) ومن كلام الحكماء من أطلق نظره كثر أسفه . أدمان النظر يكشف الحبر ويفضح البشر ويطول به المكث في سفر احفظ عيبك فانك أن أظفتها أرفعتك في مكروه وإن ملكتهما ملكك سائر جوارحك .

قيل لأفلاطون أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل إلا بهما ولا يتنهض إلا بقوتيهما وربما هوى أحدهما فتنهض الآخر حتى تعب وشقه . وقال محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصان عد الله وضعة عد ذوى القول أن ينظر إلى كل ما يسئح له .

رأى بعض الزهاد رجلا يصيحك إلى قلام فقال له يا غريب العقل والقلب ويخرب الطرف أما تستحي من كرام كاتبين وملائكة حاطين يحفظون الأفعال ويكتبون الأعمال وينظرون إليك

(١) آية (٢١٦) سورة البقرة .

(٢) بحاف الساجد ٨ / ١٤٦ ، والمعنى عن حمل الأسفار ٢ / ٢٢٧ .

(٣) ضعيف الحاكم ٤ / ٣١٤

ويشهدون عليك بالبلاء الطاهر والعمل الدخيل المخامر الذي أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ويظر من الخلق إليه ، وللقاضي الأرجاني :-

تتمتعها يا ناظرى بنظرة •• فأوردتها قلبى أقسى الموارد
أعينى كما حسن فؤادى فإنه •• من البعى معنى اثنين فى قتل واحد

وقال على - كرم الله - وجهه الميؤن مصائد الشيطان والعين أنملة الجمل لوح سرعة وأشدّها سرعة من اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمّله ومن اتبع جوارحه نفسه فى تيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدها :

إذا ما صفت نفس المرء لطاعة •• ولما تشبها للمعاصى شوائب
واتبعها فعل الجوارح كلها •• فتلك عليه أنعم ومواب
تلفته فى دار الخلود كرامة •• إذا جيب للمعاصى منام وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الإيمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج إلى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن احتسب المحارم خرج إلى التوبة ومن أخذ القوات من حله خرج إلى الورع ومن أدى الترافض صح إسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن ود المظالم نجا من الفصاض ومن أتى بالحق زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عبده .

وروى عن أبي الدرداء أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله أوصنى قال له : « اكتسب طيبا وأعمل صالحا وصل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى » .

وليجل من الاحجاب بالعمل فإنه من أعظم الآفات وأحبط الأعمال فإن للمعجب بعمله تمتن على ربه وما يتدبره أقبل منه أم رد عليه رب معصية أورث ذلا وانكسارا خير من طاعة أورث جرا وانكسارا . وليجل أيضا من الرياء قيل فى قوله تعالى : ﴿ وما لهم من الله ما لم يكونوا يحسنون ﴾ (١) قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبعت لهم يوم القيامة من السيئات . وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية قال ويل لأهل الرياء . ونيل أيضا فى قوله تعالى : ﴿ ولا يشركه عبادة شيء أحد ﴾ (٢) ، أى لا يظهر ما رياء ولا يخفيها حياء .

وروى عن ابن مسعود آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَتَقَرُّوا يَوْمَ تَرْجَعُونَ فَبِهِ إِنْى اللّهُ ثُمَّ يُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(١) آية (١٦٠) سورة الكهف .

(٢) آية (١٧) سورة الزمر

(٣) آية (٢٨١) سورة الفرقان

قال محمد بن بشير :

مضى أمسك الأذى شهيدا معدلا •• - ويومك حلا بالفعال شهيد
بلان تك بالأمر افترقت إمساة •• قثن بإحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير منك إلى غد •• لعل غدا يأتي وأنت فقيد
وقال غيره :

وتعجل الذنب بما تشتهي •• وتأمل التوبة فى قابل
والصوت يأتى بعد فاهلبة •• ما فك فعل الخلق العاقل

وقال دلود لسلیمان - عليهما السلام - يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم يتل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات . وفى بعض الحكم المنتورة من صبر على البلاء وصل إلى الوفاء قال :

عليك بالصبر فلعلك ناكية •• من الزمان ولا تترك إلى الجزع
وإن تعرضت لك الدنيا بنيتها •• فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قرا فيهما أبدا •• تلحق السدى ترجميه غير محتج
وقال آخر :

الصبر مفتاح ما يرجى •• ولسم يزل فائعا بعين
ما صبر وإن طالت الليالى •• لربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار •• ما قيل هيهات لا يكون
وقال آخر :

الصبر أوثق عروة الإيمان •• ومعجة من فزعة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة •• والطيش فيه عواقب الحيران
فإذا لقيت من الزمان علة •• وكطلك فينا عبادة الأزمان
مستدرك الصبر الجميل ثيقا •• إن الصبر واتسد الرهوان

والصبر له فروع صبر على العرائض بالمواظبة عليها بكمالها هى أحب أوقاتها وصبر على

الله وأن محمداً رسول الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني •• أشد من القبر التهاباً وأضيقاً
إذا جئتني يوم القيامة قائد •• حنيف وصواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى •• إلى النار مغلول الفلاة أزرقاً
وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحاتها •• من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم ومنكم في قمرها •• قبل ذاتي برد الأمن من روحاتها
أما السكون لدى الميرون فواحد •• لا يستبين الفصيل في درجاتها
لو جابريوك لأخبروك بالسن •• نصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيح فنزل في روضة •• يفضي إلى ما شاء من دوحاتها
وللمجرم الطاغى بهناً مستقلب •• في حفرة يأوي إلى حبياتها
وعقارب تسمى إليه فروجه •• في شدة التعليب من لدعاتها
وقال مالك بن دينار مروت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أنبت القبور فناديتها •• فلأين المعظم والمحتقر
وأين الملك سلطانه •• وأين المزكى إذا ما القبر
قال فتوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول :

تماتوا جميعاً فما مخبر •• وماتوا جميعاً ومات الخبير
نروح وتغسلو بنات الشرى •• فتمحرو محاسن تلك الضرور
ليما سألني عن أناس مضوا •• أما لك فيهما ترى معتبر
وجد مكتوباً على قبر :

تناجيك أجدات وهن صموت •• وسكاتها تحت الثراب خفوت
أها جامع الدنيا للغير بلافة •• لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

وقال ابن السكك مروت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

بمر أناربي جيات قبرى •• كأن أنسارى لم يعر فونى
دور الميراث يقتسمون مالى •• وما يألون إن جمحدوا ديونى
وقد أخلوا سهاصهم وعاشوا •• فميت الله أسرع ما نسوى
ووجد على قبر مكتوب :

إن الحبيب من الأحباب مختلس •• لا يمنع الموت بواب ولا حرس
كيف تفرح بالدنيا ولذتها •• يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلاً في النفس منغمساً •• وأنت دهرك في اللذات منغمساً
لا يرحم الموت فاجسهل لفرته •• ولا ألى كان منه العلم يقتبس
كم أعرس الموت في قبر وقت به •• من الجواب لسائنا ما به عرس
قد كان قصرك معموراً له فرى •• فقبرك اليوم في الأجنات متلوس
ووجد على قبر مكتوب :

وقفت على الأحبة حين صفت •• فقبرهم كالأمراس الرهان
فلئن بكيت وفاض دمعى •• رأت عينا بينهم مكفى
ووجد على قبر طيب مكتوب :

قد قلت لما قال لى قائل •• قد صار لقمان إلى رمة
فلأين من وصف من طيبه •• وحذقه في الماء مع حبه
هيهات لا يدفع عن قبره •• من كان لا يدفع عن نفسه
وجد على قبر آخر مكتوب :

يا أيها الناس كبريأى أمل •• قصري عن بلوغه الأجل
ميتتق الله ربه وجل •• أمكنه في حبياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى •• كل إلى مسئلة سيئتفعل

الباب التاسع والعشرون

في ذكر السموات والأجناس المختلفة

١- أول ما خلق الله جوهرة فطر إليها بنظر الهيبة فذابت ولوتعت من خوف ربه
٢- ثم نظر إليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله
٣- عليه إلا الله محمد وسول الله فسكن العرش وترك الماء على حافته يرتعد إلى يوم القيامة
٤- ثم نظر تعالى ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (١) ثم تلاطم وتخرج وصعدت منه أذعة وارتفع
حصب متركما على بعض وكان له زيد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا
بحسب الريح فيها فتفرق به أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ثُمَّ
سَوَّيْتُ لِي السَّمَاءَ وَهِيَ دُحَانٌ ﴾ (٢) قال أهل الحكمة إنما خلق الله تعالى السماء من دحان ولم
يخلقها من بخار لأن الدخان خلق متصاليك الأجزاء يستقر متناه والبخار متراجع وذلك من
كمال علمه سبحانه وحكمته ٥ ثم نظر تعالى إلى الماء بين الرحمة فجمد كما جاء في الحديث ،

فلتنة : بين السماء الدنيا والأرض وكذا بين كل سماه وسماه خمسمائة عام وظل كل سماه كذلك ، وقيل أن السماء أشد بياض من اللبن وإنما أحضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك السماء ربيعة والثنية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيلوم أو ماهون والثالثة من نحاس يقال لها سكوت أو هاربون والرابعة من فضة بيضاء فكاند نورها يحطف الأبعد واسمها المزاهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزنة أو المسهرة والسادسة من جواهر تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللالية أو الدامعة وفيها البيت المصور وله أربعة أركان : ركن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة حمراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر . وورد أن بيت المصور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يسعون إليه إلى يوم القيامة . . . يعتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الأنبياء خلقوا منها ودفنوا فيها ، وأفضل طبقات من أعلاها لما ذكر ولأنه محل اجتماع العالم .

وعن ابن عباس أفضل السموات هي التي على سقفها عرش الرحمن وهي الكرسي لقربها من الله تعالى ولأن جميع النجوم المنتبجة فيها غير السبعة السبارة أما هي فخشية في السموات سبع فدخل في السابعة وهو يوم السبت والمنتبجة في السابعة وهو يوم الخميس والريح في السابعة وهو يوم الثلاثاء والشمس في الرابعة وهو يوم الأحد والمزهر في الثالثة وهو يوم الجمعة وعطارد في الثانية وهو يوم الأربعاء والقمر في الأولى وهو يوم الإثنين .

ومن عجيب صنع الباري تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماة لا تشبه صاحبتها وأسر من السماء ماء فأخرج به من أشوع الأنهار والأنهار المختلفة اللون وبسطهم كما قال تعالى ﴿ويعصر بعضها على بعض في ليل﴾ (١) وخلق أولاد آدم على طسقات شتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع أن الأصل آدم فسبحان من أنشأ كل شيء خلقه .

الباب الثلاثون

في بيان الكرسي والعرش وبيان الملئكة المقربين

والأوراق والشواهد

قال الله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ^(٢٦) قبل كرسيه مجازاً من عدمه وقبل ملكه وقبل الملك المعروف .

روى عن علي - كرم الله وجهه - أن الكرسي لؤلؤة وطوله لا يعلمه إلا الله تعالى وفي الخبر ما السموات والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقه في فلاة . وأخرج ابن ماجه أن السموات هي - موقف الكرسي والكرسي بين يدي العرش .

وعن حكمة قال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الستون يعني بها الحجب . وورد أن نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم . والعرش جسم نوراني علوي فوق الكرسي فهو غيره خلافا للحن البصري قيل من باقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من درة بيضاء وقيل من نور والأولى الإمساك عن القطع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الأعلى وفلك الأفلاك والفلك الأطلس أي الخالي من الكواكب إذ كلها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثابته في العتق الثامن المسمى بملك البروج وهذا أهل الشرع بالكرسي والعرش سفوف المخوقات فلا شيء يخرج عن دائرته فهو متهم علم التبادل لا مجال للإدراك ورامه ولا مطالب لطالب فوفه قال الله تعالى ﴿لَئِنْ تَوَلَّوْاْ فَقَدْ حَسِبْنَا أَنَّ عَمَلَكُمْ مِنْ فَضْلِ الْإِنْسَانِ خَالٍ﴾ (٢٧) وصعبه بالعظم لأنه أعظم المحلوقات وقد تحقق ﷻ بالتوكل كما أمر ولذا سمي في التوارة وغيرها بالتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد ولعرفة وهو ﷻ سيد الموحدين ورأس

العارفين ولا يهين التوكل الأخذ في الأسباب كما يدّيه يثوبهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له ﷺ
أعربني أعصني أم أتركها وأتوكل فقال أعفها وتركل

وقال ﷺ : لو توكلتم على الله حق توكله يرزقكم كما يرزق الطير تفتحون أعناقكم أي جياح
وروح بجانها أي شباعا فأشار بقوله تعدو إلى النسيب .

حكاية : التقى إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له إبراهيم ما يده أمرك الذي يهلك
هذا قال مررت ببعض العلوات فرأيت طيرا مكسورا الجناحين فلام في الأرض فقلت أنظر من أين
يرزق هذا فعدت بحذائه فإذا أنا بطير قد أقبل في منقاره حرارة موضعها في منقار الطير المكسور
الجناحين فقلت لنفسى إن الذي قبض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت
التكسب واشتغلت بالعبادة فقال إبراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير
العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (١)
ومن علامة المزم أن يطلب أعلى الدرجتين في أمره كلها حتى يبلغ مثار الأبرار فأخذ شقيق
يبد إبراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق . ثم إذا تسبب الإنسان فليجتهد أن لا ينظر إلى
أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولا مطمح نظره ويرى قصده كالسائل بقصد الناس يوعاه في
يده ولا ينظر إليه وإنما ينظر إلى الذين يعطونه . وفي الحديث : من سره أن يكون أخفى الناس
فليكن بما عند الله أوثق مما في يديه .

وقد قيل لحليفة المرعشي وكان خدم إبراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقيتا في
طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأرسلنا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا
حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجلست به فكتب بعد
البسلة أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب :

أنا حليم أنا شاكرو أنا ذاكر •• أنا جليل أنا ضائع أنا عسري
هي سعة وأنا الضمين لنصفها •• فكان الضمين لنصفها يا بلوى
مدحى لغيرك لهب نار غضبتها •• فاجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال أخرج ولا تعلق قلبك بعير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك
فخرجت فأول من لقي كان رجلا على بعلة حاولت الرقعة فأخذها فلما وقف عندها بكى وقال ما
فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد العلاني فدفع إلى بعلة فيها ستائة دينار ثم لفيت
ورجلا آخر مسألته عن راتب البخله فقال هذا بصراتي فجلت إلى إبراهيم وأجبرته بالقصة فقال لا

(١) (صحيح) البخاري (١٤٢٧)

نفسها فإنه يجره اساعة فلما كان بعد ساعة دخل انصراني وأكب على رأس إبراهيم قبله وأسلم
فائدة : قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا
فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم
يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل السموات ومن الأرض من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم
يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على
من الرياح فلما لم تستقر أقدامهم على شيء تسكروا بالعرش ولم يفتروا من قولهم لا حول ولا
قوة إلا بالله خيفة أن يتقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى لهم حاملون للعرش وهو حاملهم
والكل محمول بالقوة .

وروي من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم سبع مرات كفاء الله تعالى ما أحبه صادقا كان بها أو كاذبا وفي رواية كفاء الله ما أحبه من
أمر آخرته ودياره .

الباب الواحد والثلاثون

في ترك الدنيا وذلها

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمتنها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وحرف الخلق
عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك
فلا حاجة إلا لإستشهاد آيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأغبيار الواردة فيها .

فقد روي : أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال أنرون هذه الشاة ميتة على أهلها قالوا
من هو أنها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو
كانت الدنيا تعبد عند الله جراح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال ﷺ : « الدنيا مطعونة ملعون ما فيها إلا ما كان
سجين المزمين وجنة الكافر » (١) وقال رسول الله ﷺ : « الدنيا مطعونة ملعون ما فيها إلا ما كان
لله فيها » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ : « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن
أحب آخرته أضر بدنيته فائثوا ما يبقى على ما يبقى » (٢) . وقال ﷺ : « حب الدنيا رأس كل
خطية » (٣) .

(١) (صحيح) مسلم (٢٩٥٦) ، وأحمد (١٩٧ / ٢) .

(٢) (ضعيف) أحمد (١٩٧ / ١) ، وضميف الجامع (٥٣٤٠) .

(٣) (ضعيف) الخلف السادة المختبر (١٣١ / ٣) ، وضميف الجامع (٢١٨٢) .

وهذا ريد من أرقم كتاب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فدها بشراباً طيباً وفضل
 دمه آدماء من فيه بكى حتى أبكى أصحابه رسكوا وما سكنت ثم عد ويكى حتى صوا أنهم لا
 يقدرور على مسالته قال ثم مسح عييه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكتك قال كنت مع رسول
 الله ﷺ فرأيت يده عن بعته شيت ثم أرمعه أحد فقلت يا رسول الله ما رديني قدع عن معسك قال
 هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقال إنك أن أفلت مني لم يفت مني من
 معسك وقال ﷺ : يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار العرور^(١)

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة فقال : هلموا إلى الدنيا وأخذ عرقاً قد بليت
 على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت فقال هذه الدنيا^(٢) وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستحلقي
 مثل ذلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها مستصير عظاماً ياليتها وقال ﷺ : إن الدنيا حلوة
 حاضرة وإن الله مستخلفكم فيها فتأطر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت
 ناهوا في الحلية والنساء والطياب والثياب^(٣) . وقال عيسى - عليه السلام - لا تحلوا الدنيا ربا
 فتخذكم عبيداً كثر كثركم عدد من لا يضيفه فإن صاحب كثر الدنيا يحاف عليه الآفة وصاحب كثر
 الله لا يحاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا : يا معشر الخواريص إنني قد
 كتبت لكم الدنيا على وجهها فلا تمنعوها بعدي فإن من حيث الدنيا أن عصى الله فيها وأن من
 حبت الدنيا أن الآخرة لا تتركها إلا بتركها إلا ما هبوا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل
 حطة حب الدنيا ورب شهوة ساحة أورث أهلها حرماً طويلاً . وقال أيضا بطعت لكم الدنيا
 وجلستم على ظهرها فلا يارحكم فيها الملوك والنساء فلا تارهم الدنيا فإنهم لن يعرموا لكم ما
 تركتموهم وديارهم ، وأما النساء فاتفقن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالية ومطلوبة
 فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجمع الموت
 فيأخذ بعنقه . وقال موسى بن يسار قال النبي ﷺ : إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه
 من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها .

وروي أن سليمان بن داود - عليهما السلام - مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس من
 بعبه وشماله قال قمر بعدد من سي إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكاً عظيماً قال
 فسمع سليمان وقال لتسبحه في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود
 يذهب ولا يسبحه تبقى قال ﷺ : إنها لكم لكثير يقوى ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك
 إلا ما أكلت فأفست أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبليت وقال ﷺ : إنسيما دهر من لا دار به
 ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يماضي من لا حلم له وعليها يحسد من لا فقه

(١) تحف السادة المتقين ٨ / ٨٦

(٢) الصلح حاله

(٣) صحيح مسلم مجلد ٢٧ / ٢٧٢

له ولها يسمى من لا يقين له^(١) وقال ﷺ : من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء
 والرم الله قلبه أربع خصال : هما لا يقطع عنه أبداً وشغلا لا يتفرغ منه أبداً وفرا لا يبلغ عنه أبداً
 وأملاً لا يبلغ منه أبداً^(٢) . وقال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا
 جميعاً بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها
 رؤوس كانت تحرم من كحرمكم وتامل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي ثياب تالفة وفناء
 وهذه المنوات هي ألوان أطمعتكم اكتسبوها من حيث أكسبوها ثم قدوها في بطونهم فأصبحت
 والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رؤسهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه
 العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكياً على الدنيا فليكن قال
 فما يرحنا حتى اشتد بكلائنا . وروي أن الله عز وجل لما أهدى آدم إلى الأرض قال له ابن الخراف
 ولد لطفاء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم - عليه السلام - يادنيا ما أهونك على
 الأبرار الذين تصنع وتزينت لهم أني فذنت في قلوبهم بغضك والصلود منك وما خلقت خلقاً
 أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوم لأحد
 ولا يدوم لك أحد وإن يخل بك صاحبك وشح عليك ، طوى للأبرار الذين أطمعوني من قلوبهم
 على الرضا ومن ضميرهم على الصندق والاستقامة طوى لهم ما لهم عندى من الجزاء إذا فلدو
 إلى من قبورهم إلا النور يسمى أمامهم ولللائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي .
 وقال رسول الله ﷺ : الدنيا موعودة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها
 وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيباً فيقول استكني يا لا شيء إني لم
 أركبك لهم في الدنيا أركبك لهم اليوم^(٣) وروي في أخبار آدم - عليه السلام - أنه لما أكل من
 الشجرة تحركت معدته فخرج التل ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطمعة الجنة إلا في هذه
 الشجرة فلذلك بها من أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكاً يحاطبه فقال له قل
 أي شيء تريد قال آدم أريد أضع ما بي يطني من الأذى فحين للملك قل له في أي مكان تريد أن
 تضعه أعلى القرى أم على السرر أم على الأهدار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى هنا مكاناً
 يصلح لذلك إبط إلى الدنيا . وقال ﷺ : ليبيتن أترام يوم القيامة وأعمالهم كحبال نهامة فيؤمر
 بهم إلى النار قالوا يا رسول الله مهلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل
 فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثيرا عليه . وقال ﷺ في بعض خطبه : المؤمن بين محافتين بين
 أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد

(١) صحيح أحمد ٦ / ٧١ ، وصحيح الجامع ٣٠١٢ .

(٢) موضوعات ٣ / ١٣٢ ، ولقواعد للحمزة ٢٣٦ .

(٣) تحف السادة ٨ / ٨٥

من نفسه بعد
 حسم لأخره
 وقال عيسى
 والبار في ربه
 عمو كيف وجد
 وقال رب
 رسول الله
 بصيرا ألا أنه من ربه
 وقصر فيها أمه
 لهم الملك إلا بالقدر
 الرمان
 ثواب خمسين صديقا
 قجمل يطلب شيء
 هو يكفي في جبل
 تجعل لي ماوى
 خلقتها يبنى
 الزهاد في الدنيا
 السلام
 للمخترون كيف أرهم
 والخطايا عمله

وقيل أوحى الله لي إلى موسى
 لك بدار آخر
 موسى ابن مريم
 خرج معه
 الله
 أصكم سمع
 د اغفر حسره
 فكم فتصور

١٠٠ / ٦٨ ، وصحيف الجامع (١٩١)

« إن أكثر ما أحبال عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فليل ما بركات الأرض قال وهو :
 الدنيا » (١) وقال ﷺ : « لا تشعروا قلوبكم بذكر الدنيا » (٢) تنهى عن ذكرها فضلا عن إصابه عينها .
 وقال عمرو بن سعيد مر عيسى . عليه السلام . بقرية فإذا أهدب موتى في الأودية والطرق فقال يا
 معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سحطة ولو ماتوا عن خير ذلك لتصدعوا فقالوا يا ووح الله
 ودعنا أنا لو علمنا خبرهم لسأل الله تعالى فأوحى إليهم إذا كان المنيل فنادهم يجيئك فلما كان الليل
 أشرف على تشو ، ثم نادى يا أهل القرية فأجابهم مجيب ليبيك يا ووح الله فقال ما حالكم وما
 قصتكم قالوا بئسنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا حب الصبي لأمه إذا أقبلت
 فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا ويكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيئوني قال لأنهم ملجمون
 بلجم من نار يأبى ملائكة خلاط شداد قال فكيف أجبتى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم
 أكن منهم فلما نزل بهم المذاب أصابني معهم فأنا ملحق على شفير جهنم لا أدرى أجرو منها أم
 أكسب فيها فقال للمسيح للحواريين لاكل خير الشخير بالمع الجريش وليس المسوح والنوم على
 المزابل كثير مع عاقبة الدنيا والآخرة . وقال أنس : « كفت ناقة رسول الله ﷺ العصباء لا تسبق لجهاد
 أعرابى بئاة فسبقها فتى ذلك على المسلمين فقال ﷺ : « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا
 إلا وهبه » (٣) وقال عيسى . عليه السلام . من الذى يبنى على موج البحر طارا تلتكم الدنيا فلا
 تتخذوها قرارا . وقيل لعيسى . عليه السلام . علمنا واحدا يحينا الله عليه قال أبعثوا الدنيا
 بحبكم الله تعالى .

وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبنكم كثيرا ولهانتم
 عليكم الدنيا ولأترتم الآخرة » (٤) ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى
 المعصاة فجارون وتكون على أنفسكم ولتركتكم أموركم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد
 لكم منه ولكن فريب عن قلوبكم ذكر الآخرة الأمل فصارت الدنيا أملاك بأهكم وصرم كاللبن لا
 يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواما مخافة مما فى عاقبتها ما لكم لا تحابون ولا
 تناصون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبت مرائركم ولو اجتمعتم على
 الجور لحابستم وأنكم تناصون فى أمر الدنيا ولا تناصون فى أمر الآخرة ولا يملك أحدكم
 النسيئة لمن يحبه ويعتبه كل أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان فى قلوبكم لو كنتم توفنون بخير
 الآخرة وشرها كما توفون بالدنيا لأكثرتم طلب الآخرة لأنها أملاك لأموالكم فإن قلتم حب العاجلة

(١) (صحيح) البخاري (٦٤٢٧)

(٢) (صحيح) الجامع السبعة المتفقين ٨ / ٨٧ ، وصحيف الجامع (٦٣٤) .

(٣) الدرر قطبي ٤ / ٣٠٧

(٤) سبق تحريجه

عن يد مراكم تدعون العاجل من الدنيا للأجل منها تكون أنفسكم بالشقة والاحتراف في حبكم لا تكونون فيس القوم أنتم ما حقت إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم بدركت في شك عما جاء به محمد ﷺ فأنونا فنبين لكم ولنرىكم من النور ما تلمس إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمتوخة عقولكم فنعذبكم أنكم تشيرون صواب الرأي في دنياكم وتدخلون بالحزم من غيركم ما لكم فترجون باليسير من الدنيا تصيبون وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يشر فتش في وجوهكم ويظهر على السكتم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآثم وها منكم قد تفرق من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إلى لاري الله قد تبرا منكم يلقي بعضكم بعضا بالسروور وكلهم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراحمكم على الأمل وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم والحقني بمن أحب وزيه ولو كان حبا لم يصبركم فإن كان فيكم غير فقد أسعيتكم وأن تطلبوا ما عند الله تحذوه يسيرا وبالله أستمعن على نفسي وعليكم .

وقال عيسى - عليه السلام - يا معشر الخواريين أرضوا بدينه الدنيا مع سلامة الدين كما وهى أهل الدنيا بدينه الدين مع سلامة الدنيا ولي معناه قيل :

أرى رجلا بأذى الخين قد فعلوا • • • وما آراهم رهوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كمال • • • تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر ، تركك الدنيا أبر .

وقال نبينا ﷺ : لتأتينكم بمعنى دنيا تأكل كل إيمانكم كما تأكل النار الحطب • (١)

وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتي بكيرة هي أشد منها . ومرت موسى - عليه السلام - برجل وهو يكي ويرجع وهو يكي فقال موسى يا رب عبدك يكي من محافتك فقال يا ابن عمران لو سال دعاؤه مع حيون عينيه ورلح يده حتى يسهل ثم أعفر له وهو يحب الدنيا .

لأنار : قال علي - رضي الله عنه - من جمع فيه ست حصال لم يدع للجنة مطلبيا ولا عن من ميرا ، أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فمضاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فامناه وعرف الذب فرفضها وعرف الآخرة فطلبها .

(١) لمي عن حمير (٢٠٢ / ٣)

وقال الحسن وحسن الله أقواما كانت الدنيا حلالهم ودبعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم واحوا محاد ، وقد أيضا - رحمه الله - من دسست في ديك قفاقه ومن نالسك في ذبيك فآلقها في محره .

وقال لقمان - عليه السلام - لابنه يا بني أن الدنيا يحبو جميع وقد غرق فيه ناس كثير فلنكن سفيتك فيها نفوى الله عز وجل وحشوها الإيمان بالله تعالى وشراها بالتوكل على الله عز وجل لعلك تسحر وما أراك حيا . وقال الفصيل طلت بكرتي في هذه الآية : ﴿ إِنَّا جَسَدًا مَّا عَلَى الْأَرْضِ ذِيئًا لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَهْمَ أَحْسَنَ فَعَلًا ﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا • (١)

وقال بعض الحكماء إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وميكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وريحها البار . وقيل لبعض الزهبا كيف ترى للهر قال يخلق الأبدان ويحدد الأمال ويقرب المية ويعد الأمانة قبل فسا حال أهله قال من ظم به تعب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

زمن يحدد الدنيا لعيش مره • • • فسوف لعمري من قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة • • • وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وحفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو مية قاضية . وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص .

وقال سفيان أما ترى العم كأنها مقضوب عيبها قد وضعت في غير أهلها وقد أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لي مدار فقال انظر ما أتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذ إلا من حله ولا تصعه إلا في حقه ولا يصرك حب النبي وإنما قال هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لاتبه حتى يترجم بالدنيا ويطلب الخروج منها .

وقال يحيى بن صفاد الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في طلبه فيأخذك . وقال لفصيل لو كانت لدي من ذهب يعنى والآخرة من خرف ييتى لكأن يسمى لدا أن نختار خرفا ييتى على ذهب يعنى فكيف وقد اخترنا خرفا ييتى على ذهب يعنى .

وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه يلغى أنه يوقف العيد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال

(١) آية (٧ - ٨) سورة الكهف

هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية
بالضيف مرغل والعارية مردودة . وفي ذلك قيل :

وما المال والأثوث إلا وقتهما * * ولا بد يوماً أن يرد الودائع

ورأى راسه أخصبها فذكرها الدنيا فأقبوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلو لا موقعها
من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره . وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف
أنت فقال :

ترقع ديبانا يتمزق ديتنا * * فلا ديتنا يبقى ولا ما ترقع

نعومي لمجد أكر الله ربه * * وجناد بديناه لما يتوقع

وقيل أيضاً في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره * * ونال من الدنيا مروراً وأنعماً

كبان بنى بنيانه فأقامه * * فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضاً في ذلك :

هب الدنيا ساق إليك صعباً * * أليس مصير ذلك إلى انفعال

ومد ديباك إلا مثل مـ * * أظنك ثم أذن بالسروان

وقال لعمرك لا بد يا بني مع دنياك بأخرتك تريعهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما
جميعاً

وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء . . جزء للمؤمن وجزء للكافر وجزء
للكافر المؤمن يروى والمؤمن يبيع والكافر يبيع ، وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً
فليصير على معاينة الكلاب وفي ذلك قيل

يا مخاطب الدنيا إلى نفسها * * تح عن خطبتها تسلم

إن التي تحطت غداً * * قسريه العبرس من الماتم

وقال أبو الدرداء من هوأ الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا يبال ما عنده إلا بشرها
وفي ذلك قيل

إذا استمعن الدجال بكشفت * * له عدو في لب صديق

وقيل أيضاً :

يا راقداً الليل مسروراً بأوله * * إن الحوادث قد يطرئن أسعاباً

أسى القرون التي كانت معصية * * كسر الجديدين إقبالا وإدباراً

كم قد أبادت صروب الدهر من ملك * * قد كان في الدهر نقاباً وخبراً

يا من يحاقد ذنباً لا نقاء لها * * يعسى ويصبح في ديباه سفاراً

هملنا تركت من الدنيا معانقة * * حتى تعانق في العردوس أنكاراً

إن كنت تبعي جناناً فخلد تسكنها * * فبشقي لك أن لا تأمن الناراً

وقال أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - لما بعث محمد ﷺ أنت إليهم جنوده فقالوا قد
بعث نبي وأخرجت أمة قال يصحبون النبي قلوباً نعم قال نعم كانوا يصحبون الدنيا ما أبالي أن لا
يصحبوا الأوثان وإنما أعبدوا عليهم وأرواح ثلاث : أخذ المال من غير حقه وأتلفه في غير حقه
وأمسكه عن حقه والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلي - كرم الله وجهه - يا أمير المؤمنين
صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صحت فيها صقم ومن آمن فيها ندم ومن افتقر فيها
حزن ومن استغنى فيها افتقر ، في حلالها الحسد وفي حرامها العقاب وفي متشايبها العتاب ،
وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب .
وقال مالك بن دينار اتقوا السحابة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان
الدارسي إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراجعت الدنيا تراجعت فإذا كانت الدنيا في القلب
لم ترحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا شيمة وهذا تشديد عظيم وبرحوا أن يكون ما ذكره
سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له .
وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي - كرم الله وجهه -
حيث قال : الدنيا والآخرة ضربان فقلد ما ترعى أحدهما تحط لاخرى .

وقال الحسن والله لقد أدرجت أقواماً كانت الدنيا أمرئ عليهم من التراب الذي تمشون عليه
ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذالو ذهبت إلى ذا ، وقال رجل للحسن ما تقول في
رجل أتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أبشس له أن يتعبد فيه يعسى يتنعم فقال لا لو كانت
له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فتره

وقال الفصيح لو أن الدنيا سحافيرها عرضت على حلال لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت
أقتنرها كما يتخذ أحدكم الخيعة إذا مر بها أن تصيب ثوبه

وقبـ لما قلم عمر - رضى الله عنه - الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على باقة مخطومة
حبيبـ وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورجله فقال له عمر - رضى الله عنه -
جائعين هاهنا فقال يا أمير المؤمنين ، إن هذا يملنا القمل . وقال سفيان غدا من الدنيا ليهلك
موجوده الأخيرة لفليك ، وقال الحسن والله لقد هبذ بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن
بجهنم نسيا . وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا خيمة الأكياس وخففة الجهال لم يهرطوها
حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا . وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدبرت الدنيا من
يوم نزلت . واستقبلت الأخيرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها .

وقال سعيد بن مسعود إذا رأيت العبد ترداد دينه وتقصي آخرته وهو به راض فذلك للقبول الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر . وقال عمرو بن العاص على المنبر والله عارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يهذه فيه منكم والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ﴿ فَلَا تَقْرَئُكُمْ فِيهَا النِّبَا ﴾ ^(١) من قال ذا ناله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الذنب فإن الدنيا كثيرة الإشتغال لا يفتح رجل على شيء يعب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مكي بن آدم رضي بنذر حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذ من حله حرام به وإن أعطه من حرام حطب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمعيته في دينه ويحزن من معيته في دينه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك يا عمر من كتب عليه الموت مات ، فأجابهم عمر سلام عليك كأنك بالدينيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل .

وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا مبن ولكن الخروج منها شديد ، وقال بعضهم عجباً من يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجباً من يعرف أن النار حق كيف يهملك وعجباً من رأى تمس الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجباً من يعلم أن القدر حق كيف يتعصب .

وقدم على معاوية -رضي الله عنه- رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدت فقال: سيات بلاء وسنيات رخاء يوم ميوم وليلة فليته يولد ويهلك هالك فلو لا المولود -حور رجولا الهالك لضاعت الدنيا عن فيها فقال له سئل ما شئت قال عمر مضى فترجى أو أجل حصر ثمعه قال لا أم لك ذلك قال لا حاجة لي اليك . وقال داود الطائي -رحمه الله- يا ابن آدم فرحت -سوع أم لك واغما بلغته بانتقضه أجلك ثم سوفت بعملك كان مصعته لغبرك . وقال بشر من -سنة الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافي الدنيا شيء يترك إلا وقد عسر -إليه ثبت يمولك

وقال الحسن لا تخرج نفس آدم من الدنيا إلا بحمرات ثلاث أنه لم يضع ما جمع ولم يترك ما أمل ولم يحسن الراد لم قدم عليه . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة . وقال ابن ديمار اصطالحنا على حب الدنيا فلا يأمر بمغضتا بعضها ولا يهين بعضها بعضها ولا يهنا الله على هنا فليت شمري أي عذاب الله يهزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أمينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك قاذبا نقذ أعاده عليه وأما هان عليه عبد يسط الدنيا بسطا . وقال محمد بن سنانكدر أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يطر وقام الليل لا يتام وتصدق بماله ويجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله خير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هنا عظم في حبه ما صغره الله وصغر في حبه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عندنا مع اقتراننا من الذنوب . والحطايها . وقال أبو حازم اثبتت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنيك لا تجد عليها أهواتها وأما مؤنة الدنيا فإنيك لا تضرب بيك إلى شيء منها إلا وجدت عاجزا قد سبقك إليه . وقال أبو هريرة : الدنيا وقوفة بين السماء والأرض كأنش البالي نادى ربهنا منذ خلقها إلى يوم يعيها يارب يارب لم تبغض فيقول لها امسكي بما لأشئ . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القتب قد احتوشته فمضى يصل الخير إليه . وقال وهب بن منبه فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغلب . وقيل لبشر : مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة وضيع نفسه قبل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما يتبع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا نعيمنا إلينا أنفسنا ونحن نحبيها فكيف لو تحببت الدنيا . وقيل للحكيم : الدنيا لمن تركها قليل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها . وقال حكيم الدنيا دار غروب وأخرت منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران أعمار منها قلب من يطلبها .

وقال الجريد : كان الشافعي - رحمه الله - من المريدين للناطقةين بكأن الحق في الدنيا وعظ
أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخاه إن الدنيا دحمى مزلّة وجار ملذّة صرنا بها إلى غراب صائر
وساكنها إلى القبور زائر شعلها على الفرقة موقوف ونشأها إلى العفر مصروف الإكثار فيها إحصار
فيها يسار فافزع إلى الله وألوه برزقك لا تتسلم من دار فتلك فإن هيبك فيء رائل وجنار
سائل أكثر من عملك وأقصر من أمالك .

وقال إبراهيم بن آدمهم أنهم في المنام أحب إليكم أم دينار في اليقظة ؟ فقال دينار في اليقظة ، بعد كدته لأن الذي تحبه في الدنيا كانت تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانت لا تحبه في اليقظة ، وعن أساميل بن هياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا بخزيرة فيقولون ليت عبد يا خزيرة فدر وجدوا لها اسما أفصح من هذا لسموها به ، وقال كعب لتحبني إليكم الدنيا حتى

معدونها وأهملها . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العظيمة ثلاثة من ترك الدين قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأوصى خالفه قبل أن يلقاه ، وقال أيضا في الدنيا : بلغ من شؤمها أن نبيك لها يلهيك من طاعة الله فكيف الوقوع فيها . وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطعم النار بالنار .

وقال ينداد إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في مخرقة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها حتى يصير رماداً ومن أدير عن الدين صفته بغيرائها فصار سيكة ذهب يتصع به ومن أقبل على الله أحرقت نيران التوحيد فصار جوهراً لا أحد لقيمه . وقال علي - كرم الله وجهه - إنما الدنيا ستة أشياء مطموم ومشروب وملبوس ومركوب ومتكوح ومشوم فأشرف للمطمومات العسل وهو مذقة ذهاب وأشرف للمشروبات الماء ويستوى فيه البر والماجر وأشرف للملبوسات الحرير وهو نسج دردة وأشرف للمركوبات القرس وعليه يقتل الرجل وأشرف المكوحات المرأة وهي مبالى في مهال وأن المرأة لترين أحسن شيء منها ورواه أبي حنيفة .

الباب الثاني والثلاثون في ذم الدنيا أيضا

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغشوا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركوا إلى الدنيا لذة قد ترغبت لكم بفرورها ولتنتكم بأمتيها وترغبت لحاطبها فأصبحت كالعروس للجلية ، اعميون إليها ناظرة والقلوب عليها حاكفة والنفوس لها حاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خلدت فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها كثير بوائقها ودمها خالفها جديدها يلى وملكها يفسد وحريرها يذل وكثيرها يفل ودها يموت وخيرها يموت . فاستيقظوا ورحمكم الله من غمعتكم وانتهوا من قدنكم قبل أن يقال فلان خليل أو مدبغ ثقيل على النواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدهى لك الأعباء ولا يرجى لك الشفاء . ثم يعال فلان أوصى ولما له أحصى ثم يذل ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف حسرته وعرق صد ذلك جيبك وتتابع أنيك وثبت بريقك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلحج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانت رحت نفسك من الأعضاء ثم صرح بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أئمتها : فمسلوك وكفتوك فتنقطع عرارك واستراح

حسادك وانصرف أميك إلى مالك وميت مرثته بأعمالك .

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بدم الدنيا وقلها من يسد له فيها وأعطى حاجته عنها لأنه يتوقع أفة تعدو على ماله فتحتاجه "و على جسمه فتعرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تعجبه بشيء هو حسين به بين أحيائه بالدنيا أحق بالدم وهي الأحدة ما تعطى الراجعة فيما تهيب ، بيتا هي تصحك صاحبها إذا أضحكته منه غيره وبها هي تبكى له إذا أبكت عليه

وبها هي تبسط كعها بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتغفره في التراب غدا سواء حبها ذهاب ما ذهب ويقاء ما بقى تجد في الباقي من الداهب خفا وتغضى لكل من كل بدلا .

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الدنيا دار ظن ليست دار إقامة وإنما أنزل آدم - عليه السلام - من الجنة إليها عقوبة فاحذر لها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والفسى منها فقرها لها في كل حين قتل تلذ من أجزها وتمقر من جمعتها هي كالم يأكله من لا يعرفه وفيه حصه فكن فيها كالمدأوى جراحه كحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا وصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الفلانة لفتنة الحفاضة التي تزيت بخدشها وفتت بفرورها وحلت بأملها ، وسوقت بخوابها فأصبحت كالعروس للجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها حاشقة وهي لأراجيحها كلهم قذية لا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا المعارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر فعاثق لها قد ظفر منها بعاجته فاغتر وطغى وسى المعاد فشغل فيها قلبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وناله وحسرات الموت بفصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذر لها يا أمير المؤمنين ، وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه الضار في أهلها غار والنازع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسورورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدير ولا يفرى ما هوأت فيتنظر أمانها كادمة وأملها باحلة وصغرها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر أن عقل وبظر فهو من السماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكائن الدنيا قد أيقنت اناسم وسبت العائل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها راجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل شأوه قدر وما نظر إليها مد خلقها ولقد عرغست على نبيك ﷺ بمعاتبها وخراقتها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى أن يقبلها إذ ذكره بخالف على أمره أو يحب ما أبغضه خالفه أو يرفع ما وضعه مليكه ، فرواه عن الصالحين اختاروا وسطها لأعدائه

المحرى حتى يتسنى إلى الغيبة وكفى عسى أن يبقى من له يوم الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يمارقها فلا يجرعوا لئلا يسها وضرائها فإنه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمناجعتها ونعماته فإنه إلى زوال ، هجيت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمفول عنه ، وقال محمد بن الحسين لما علم أهل المعقل ببلد من المعرفة والآداب أن الله عز وجل قد أمان الدنيا وأنه لم يرخصها لأولياتها وأنها عنده صغيرة ذليلة ، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحلوا أصحابه لنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة بأنها باقية فتزودوا من الدنيا كراو الركاب فحربوا الدنيا وصمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بتدبيرهم فعملوا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تعبوا قليلا ونعموا طويلا كل تلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم .

الباب الثالث والثلاثون

في فضل القناعة

اعلم أنه يبقى أن يكون الفقير قائما منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يفتح بقلوبهم الضرورة من المطعم والملبس والسكن ، ويقتصر على أقله قدره وأغصه نرجا ويرد أمله إلى يومه أو سهره ولا شغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمله فإنه عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات المخرقة للبركات ، وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يفتى بهما ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » (١) . وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه آتياه يعلم ما أوحى إليه ، فحينئذ تات يوم فقال إن الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لإتقان الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ، وإن كان له الثمان لأحب أن يكون له مائة ثمان ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة بحوراء ثم رجعت وحفظ منها وإن الله يزيد هذه الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديان من مال لثمن واديان ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب وقال ﷺ : « من هو من لا يشبعان فهو العلم ومنهم المال » ، وقال ﷺ : « يهرم ابن آدم

(١) (صحيح أحمد ٤ / ٣٦٨ ، والنووي ٢٣٣٧)

ويشيب معه اتئان الأمل وحب المال أو كما قال » (٢) ولما كانت هذه جملة للناس مضلة وخرقة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة ، فقال ﷺ : « ما من أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أولي قوتا في الدنيا » ، وقال ﷺ : « ليس الغنى من كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس » (٣) . ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ﷺ : « أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعب إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة »

وروى أن موسى - عليه السلام - سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أغنيهم عما أعطيتهم قال فأبهم أحد قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « يا أيها هرة إذا أشد بك الجوع فمليك برغيف وكواز من ماء وعلى الدنيا الدمار » . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « كن ورعا تكن أعبد الناس . وكن قنعا تكن أشكر الناس » ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع ، فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هظني وأرجز فقال : إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه خدا واجمع اليأس عما في أيدي الناس . وقال خوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال ألا تبايعون رسول الله ليسطنا أيلينا فبايعناه فقال قاتل منا قد بايعتك فعلى ماذا تبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فقد كان بعض أولئك التفريق سقط موطه فلا يسأل أحدا أن يتأوله إياه . وقال عمر - رضي الله عنه - إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وأنه من يأس عمالي أهد للناس استغنى عنهم ، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء قال فلة تميك وروحك بما يكفيك وفي ذلك قيل :

العيش ساعيات تمر ••• وغطوب أيام تكرر
افرح بعيشك ترخصه ••• واترك هواك تعيش حمر
ملرب حنن مفرقه ••• ذهب وما قصوت ودر

وكان محمد بن واسع يمل الحيز الياس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتاج إلى أحد ، وقال سفيان خیر فتياكم ما لم تتلوا به وخیر ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم ، وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك يتأذى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطعك ، وقال سميط بن جعلان

(١) (صحيح أحمد ٣ / ١٩٢ ، والنووي ٢٣٣٩)

(٢) (صحيح البخاري ٦٤٤٦ ، ومسلم ١٠٥١)

١٠٨ هـ يا ابن آدم شير في شير فلم يدخلك النار ، وقيل لحكيم ما مالك قال انتجمل في الظاهر
١٠٩ هـ في الباطن واليأس عما في أيدي الناس .

١١٠ هـ أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها إلا القوت
١١١ هـ منك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن ، وقال ابن مسعود إذا
١١٢ هـ حرك الحاجة فليطلبها طلبا يسرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فإذا يأتيه
١١٣ هـ من الرزق أو ما رزق .

١١٤ هـ ذهب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه فدرفعت
١١٥ هـ انتهى إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عنى قنعت ، وقيل لبعض الحكماء أي
١١٦ هـ أسروا للعامل وأيما شيء أصون على دفع الحزن ، فقال أسرها ما قدم من صالح العمل
١١٧ هـ لها له على دفع الحزن الرضا بمحترم القضاء ، وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس عما
١١٨ هـ دواهم عيشا الفئوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفهم عيشا أنفسهم
١١٩ هـ وأعطهم تنمة العالم المفرط وفي ذلك قيل :

أرقه ببال فتى أمسى على ثقة ••• إن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا ينفسه ••• والوجه منه جليل ليس يخلقه
إن القناعة من يحل بساحتها ••• ثم يلقي في دهره شيئا يورقه
ولذلك قيل أيضا :

١٢٠ هـ حتى متى أتأ في حل وترحال ••• وطول سعي وإدبار وأقبال
١٢١ هـ لا زح البذر لا تنفك مغتريا ••• من الأحبة لا يدرون ما حالي
١٢٢ هـ في الأرض طيرا ثم مضربها ••• لا يخطر الموت من حرمي على يالي
١٢٣ هـ فتعت أناني الرزق في دهة ••• إن القنوع الغنى لا كثرة المال

١٢٤ هـ قال عمر - رضي الله عنه - ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى ، حلتان لشعائي
١٢٥ هـ وب يسعني من الظاهر لحبي وعمرتي وفوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست
١٢٦ هـ هم ولا بأرضهم هو الله ما يرى أبجل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة
١٢٧ هـ الحمية التي تحب القناعة بها . وعاتب أعرابي أخاه على الخرص ، فقال يا أخي أنت طالب
١٢٨ هـ بهيبك من لا تموته وتطلب أنت ما قد كفى وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت
١٢٩ هـ فأتت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وراهدا مرزوقا وفي ذلك قيل :

١٣٠ هـ أراك مزبدك الإثراء حرصا ••• على الدنيا كذلك لا تحسوت
١٣١ هـ فهل لك ضاية إن صرت يوما ••• إليها قلت حسبي قد وضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قشرة فذلت ما تريد أن تصنع بي قال اذهبك وأكلك قالت
وابله ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ونكر أعلمك ثلاث حصال من خير لك من أكلتي ، أما
وحدة وأعلمك وأنا في يدك ، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فإذا صرت على
الجبل من هات الأولي قالت لا تلهي على ما ماتت محلها فلما صارت على الشجرة قال هات
الثانية ، قالت لا تصدق بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقي لو
ذهبتى لأخرجت من حوصلتى درتين زنة كل حبة عشرون مثقالا قال فعض على شغيفه ونهف ،
وقال هات الثالثة قالت أنت قد سبت انتسى فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهي على ما
فاتك ولا تصدق بما لا يكون أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون مثقالا فكيف يكون في حوصلتى
درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت ذهبت . وهذا مثال لفرط طمع الأحمى فإنه يعميه
من ذك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون .

وقال ابن السماك أن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك ويخرج
القيد من رجلك ، وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوبة فيها
بالدعبل فلب راني تسم قلت مائة أصلح الله أمير المؤمنين ، قال نعم وجدت هذين البيتين في
بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشئتني :

إذا سد باب هك من دون حاجة ••• فدعه لأخسرى يغتص لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ••• ويكفيك سوات الأمور اجتنابها
ولا تك مبالا لعرضك واجتنب ••• ركوب المعاصي يجتنب عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يلعب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ عوها وعقلوها ،
قال الطمع وشراء النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للمقبل مصر لي قول كعب ، وقال يطمع
الرحل في الشيء يطمع فيذهب عليه دبه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا ، حتى لا تحب
أن يعرف شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قصاها لك حرم أنعت وقدك حيث
شاء وأستمكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعذته إذا مرض لم
تسلم عليه الله عز وجل ولم تعده الله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك .

الباب الرابع والثلاثون

فصل العقراء

قال ﷺ : « خير هذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها تسجعا في الجنة ضعفاءها » (١) وقال ﷺ : « إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني العقر والعجفاء » (٢) . وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويعبر أنك أن أحسن هذه الحبال دعبا وتكون معك أيما كنت ؟ فاطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ودار من لا مال له والمال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت .

وروى أن المسيح - عليه السلام - مر في سمعته برجل نائم ملتصق في حيازة فأيقظه ، وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد متى إنى قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم اذا ما حبيبى ، ومر موسى - عليه السلام - برجل نائم على التراب ولحم رأسه لينة ووجهه ولحمته في التراب وهو متزور بمعاينة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أنى إذا نظرت إلى عبد بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها .

وقال ﷺ : « القفر أربعين بالمؤمن من الملوك الحسن على عهد الفرس » (٣) وقال ﷺ : « من أصبح مكتم معافى في جسمه أما في سره عده فوت يومه فكأن حيزت له الدنيا بحد مبرها » وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى - عليه السلام - اذا رأيت القفر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين . وقال عطاء الخراساني مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا برجل بصطاد حينئذ ، فقال باسم الله والتقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان والتقى الشبكة فخرج فيها من الحيتان ما كان يتفاحس من كثرتها ، فقال النبي ﷺ يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى لملأكة اكشعوا لعبدى عن منزليهم ، فلما ولى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهرق قال وضيت يارب . وقال نبينا ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها العقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء » . وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار قتل ما شأنهم قبل شملهن الأحمران الذهب والزهرمان (٤) .

وقال ﷺ : « لحمة المؤمن في الدنيا العقر » (٥) . وفي الخبر : « آخر الأغنياء دخول الجنة سليمان

بن داود - عليهما السلام - لمكان ملكه وآخر أصحابه دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل عاه ، وفي حديث آخر رأيت دخل الجنة زحفا . وقال المسيح - عليه السلام - بشدة يدخل النسي الحنة . وفي خبر آخر عن أهل البيت - رضى الله عنهم - أنه ﷺ قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا . وفي الخبر اذا رأيت فقرا مثيلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت العنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته . وقال موسى - عليه السلام - يارب من أحبائك من عذبتك حتى أحبهم لأجلك فقل كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الفقر . وقال المسيح عليه السلام أنى لأحب للسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسماء إليه - صلوات الله عليه - أن يقال له يا مسكين ، ولما قالت سادات العرب وأغياؤهم للنبي ﷺ اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجى ولا يجى إليك ولا يجيئون يحون بذلك العقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وغيايب بن الأرت وهمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصمة من الفقراء - رضى الله عنهم - أجمعين ، أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك ، وذلك لأنهم شكوا إليه النادى براتعتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرتوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الأغنياء ، منهم الأقربح من حابس التميمي وعيينة بن حصن الفراري وهباص بن مرداس السلم وغيرهم فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وليأمرهم مجيب واحد فنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَمِيرُ فُسْكَ نِعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمَا ﴾ يعنى الفقراء ﴿ قُرْبُ دُرَّةٍ الْحَيَةِ الدُّنْيَى ﴾ يعنى الأغنياء ﴿ وَلَا تَطْعَمُ مِنْ أَغْفَقَاتِهِ عَنْ دَعْوَانَا ﴾ (١) يعنى الأغنياء ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَعَنَ شَقِيقُكُمْ ﴾ (٢) الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجز من أشراط فريش منى ذلك على النبي ﷺ فأمر الله تعالى ﴿ عَسَى وَفَوَيْلَ أَنْ جَاءَ الْأَعْمَى ﴾ وما يُدْرِكُ لَهُ يَرْكَبُ أَوْ يَذْكُرُ فَصْلَهُ الذِّكْرَى (٣) أما من استغنى (٤) فأنت له تصدى (٥) (٦) يدعى عد الشريف

وقال - عليه السلام - « أكثروا معرفة الفقراء واتحدوا عنهم الأيادي فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة » . وقال ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى فنظرت فإذا بلال ومطرت من أعلاه فإذا فقراء أمى وأولادهم ومطرت من أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأخبر بهن الأحمران الذهب والحريير وأما الأغنياء فاشتعلوا بطول الحساب وتنفدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم

(١) الجامع السادة ٩ / ٢٧٥ . وضميمة (٥٦٧) . (٢) (موضح) تنزيه الشريعة ٢ / ١٨٢ .

(٣) (ضميم) الطبراني ٧ / ٣٥٣ . وضميم الجامع (١٠٢٩) .

(٤) (صحيح) البخاري (٣٢١١) .

(٥) ميس تمر يجه

(٦) آية (٢٩) سورة الكهف .

(١) آية (٢٨) سورة الكهف

(٢) آية (٦٠) سورة هود

جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلعتك حتى ، قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لميب المشيب وطمعت أمي لا آرت عقلت ولم قال كنت أحاسب عمالي ، فأنظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل بيته وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استصغر بالغنى ، إلى هذا الحد ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم يزل يلهو شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم . وقال ﷺ : ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أعير أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره . (١) وقال عمران بن حصيص كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاء فقال عمران إن لك عهدنا سرلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف باب فاطمة ففرق الباب وقال السلام عليكم التحل فقلت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله ؟ قال عمران فقلت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على إلا عيادة قال اصنعى بها هكذا وأشرب بيده فقلت هذا جسدي قد وارته فكيف يرأسى فالتفت إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا ابتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجمة وزاخرى وجعا على ما بي أنى لست أقدر على طعام أكله فقد أخبرني أخويع فكي رسول الله وقال لا تجزعى يا ابتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن أثرت الآخرة على الدنيا ، ثم هرب بيده على متكبها وقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة ، قالت فأبى أمية امرأة مروعون ومريم بنت عمران قال أمية نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من نصب لا أذى فيها ولا مصعب ولا نصب ، ثم قال لها اتبعي بأين همك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة .

وروي عن علي - كرم الله وجهه - أن رسول الله ﷺ قال إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم وماهم الله بأربع خصال ، بالقحط من الزمان ، والجنود من السلطان ، والحفاة من ولادة الأحكام ، والشركة من الأعداء . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ذو الدرهمين أشد حبا أو قال حسابا من ذى الدرهم . وأرسل عمر - رضي الله عنه - إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيب فقالت امرأتك أحدث لمر قال أشد من ذلك ثم قال أربى درعك الخلق فشقه وجعله صررا ومرقه ثم قام بهلى إلى الفتنة ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في خمارهم فيؤخذ بيده فيسترح .

وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري - رحمه الله - فدل له تحيط لو كنت غنيا لما قربتك وكان لأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تفرقه للمعراء وهراسه من الأغنياء ، وقال المؤمن ما رأيت العس أدن منه في مجلس الثوري ولا رأيت افقر أخص منه في مجلس الثوري - رحمه الله - . وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من الدركما يحلف من الفقر لتجاسها جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الدنيا لمد يدها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسمد في النورين جميعا . وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالعتى وأهان بالمعتر . وقال لقمان - عليه السلام - لا ته لا تحقرن أحدا تحقن ثيابه فإن ريك وربك واحد . وقال يحيى ابن معاذ حيك للمعراء من أخلاق المرسلين وإيتارك مجالستهم من علامة المنافقين . وفي الأخبار عن الكتب السالفة ، أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه - عليهم السلام - أحذر أن أمك تقسط من عيني فأصعب عليك الدنيا عيا . ولقد كانت عائشة - رضي الله عنها - تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وأن درعها المرفوع ، وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تطعنين عليه وكانت صائمة ، فقالت لو ذكرتني لمعت وكان قد أوصاه رسول الله ﷺ وقال : إن أردت اللعوق بي فعليك بعيش الفقراء وإليك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه . وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ، لا أفعل فذلك أبذ - رضي الله عنه - . وقال رسول الله ﷺ : طوبى لمن هلى إلى الإسلام وكان عيشه كعاشا وقع به . (١) وقال ﷺ : يا معشر الفقراء أخطوا الله الرضا من قلوبكم تظهروا بثواب فقركم . (٢) . والإسلام فالأول الفاتح وهذا الراضى ويكاد يشمر هذا بمنهومة أن الخريص لا ثواب له على فقره ، ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد الرضا هو الكرامة لفعل الله في حبس الدنيا عنه وروى راضى في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحيط ثواب المعتر .

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة للمسكين والفقراء لعبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » (٣) الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى . وقال ﷺ : اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا ، وقال « ما من أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا » . وأوحى الله تعالى إلى اسماعيل - عليه السلام - اطلبى عند المكسرة قلوبهم ، قال ومن هم قال الفقراء الصادقون . وقال ﷺ : « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا » (٤) وقال ﷺ : يقول الله تعالى يوم القيامة أين صغوتي من غنى

(١) صحيح أحمد ٦ / ١٩ ، وفتح جدي (٢٣٤٩) . (٢) انجاف السادسة / ٢٨٣

(٣) موضوع انجاف السادسة / ٢٨٣ ، وصحيح الجامع (٤٧٣١)

(٤) انجاف السادسة / ٢٨٣

منه ، الملائكة ومن هم ياربنا فيقول قراء المسلمين القائلون لصدي الراسون بقدرى أذيعهم
الحمد ، فيدحلوها ويأكلون ويشربون والناس في أحساب يترددون . فهذا في القانع والراضي
وأما الراهد فيستذكر فضله إن شاء الله تعالى .

وأما الآثار في الرضا والرضا فكثير ، ولا يخفى أن القباة يضادها الطمع ، وقد قال عمر -
رضي الله عنه - أن الطمع غفر والياس غنى وأنه من يتمسح بما في أيدي الناس وقنع استمى
عنهم ، وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - ما من يوم إلا ومالك يتأذى من تحت العرش بما
ابن آدم غلب يكفك خبير من كثير يطعك . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ما من أحد وفي
عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار دأبان في خدم حمرة
ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما يتبع مال يريد وعمر ينقص . وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال
قله فميك ورفك بما يكفك . وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل النعم بخراسان فبينما هو
يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل قام
فقال لبعض علمائه إذا قام فجتى به ، فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم لها الرجل أكلت الرغيف
وأنت جائع قال نعم قال فشبهت قال نعم قال ثم تمت طيباً قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما
أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر . ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً ويقلا
فقال له يا عبد الله أرخصت من الدنيا بهذا فقال لا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال
من رضى بالدنيا هو ما من الأخرة . وكان محمد بن واسع - رحمه الله عليه - يخرج خبزاً باباً
فبيعه بلكاء ويأكله بالملح ويقوم من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال الحسن رحمه
الله لعن الله أقوام أقسم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ . ﴿ وَلِي السَّعَاءُ بِرُكْمٍ وَمَا تُوَعِّدُونَ ﴾^(١)
فَوَدَّ السَّعَاءُ وَالْأَرْضُ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴿ ١٦ 〉 الآية . . . وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يوماً بجالساً في الناس
فأتته امرأته فقالت له أجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة ، فقال يا هذه إن بين أيدينا
عقبة كذا لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راضية . وقال فوالنون - رحمه الله - أقرب
الناس إلى الكفر ذو قافة لا صبر له . وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجل في الظاهر
والفصد في الباطن والياس عما في أيدي الناس .

ومروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالمة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها
لث لم يكن منها إلا القوت فإذا أنا أعطيت منها القوت وجعلت حسابها على خيرك فأنا محسن
إليك وقد قيل في القباة

إصرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ••• وافتنح بياس فإن العز في اليأس

واستغن عن ذي قريب وذي رحم ••• إذ اعنى من استعنى عن الناس
وقد قيل في هذا المعنى أيضاً :

يا جامعاً مائعاً والدرهم يرفقه ••• مقبداً أي باب منه يملقه
مكسراً كهمب تأتيه منيته ••• اتقياً أم بها يسهر فتطرقه
جمعت ما لا يقل لي هل جمعت له ••• يا جامع المال أياها تفرقه
المال عيسلك مخزون لوارثه ••• ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه يلك فتى يخذو على ثقة ••• إن للذي قسم الأرزاق برزقه
فالعرش منه مصون ما يئنه ••• والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القضاة من يحل يساحتها ••• لم يلق في ظلها هما يؤرقه

الباب الخامس والثلاثون

في اتخاذ ولي من دون الله سبحانه وتعالى

وفي بيان العرصات

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الْبَيْنِ ظَنُّوا فَتُكْمُ النَّارِ ﴾^(١) الآية . . . قال بعض المفسرين
أجمع أهل السنة على أن الركوب مطلق الميل والسكون يسراً أو كسراً . وعن عكرمة لا تصطنعوهم
، والظاهر من الآية عموم النهي عن الركوب إلى المشركين وفئة المسلمين . وقال النيسابوري في
تفسيره قال المحققون الركوب المهي عنه هو لرضا بما عليه الفلانة أو تزيين طريقتهم ولحسينها عد
غيرهم ومشاركتهم في شيء من أبواب المظالم فأما مداخلتهم لدفع شيء من الضرر أو اجتلاب
منفعة عاجلة بغير دأخل في الكون . قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى
هو الاحتباب عنهم بالكلمة ﴿ أَلَسَ اسْأَلُهُ بِكَالِ عَيْدِهِ ﴾^(٢) قلت ولقد صدق فحسم مادة الركوب
إليهم أولى سيما في هذه الأزمات التي لا يمكن فيها إنكار المنكر والأمر بالمعروف مع ما في الركوب
إليهم من العرو والعرور وإذا كان حال الميل في الجملة لم وجد منه ظلم ما في الإفضاء إلى مسلم
البار هكذا عما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيماً ويتهاونك على
صحبته ، ويلقى شراً شراً على مؤسستهم ومعاشرتهم ويتنهج بالتزهن بزيهم ويعد عيبه إلى

زهرتهم المانية ويعطيهم بما أوتوا من القنطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طعيف ومن جناح العوضة يعمر من أن يميل اليه القلوب وضعب الطالب والمطلوب . قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » . (١)

وروى : مثل الجليس للمختلج مثل جانيب التمسك إن لم يملك أصابعك من ربحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكبر إن لم يحسرك أصابعك من دفعته قال الله تعالى : ﴿ مثل الذين اتبعوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتحدت بيتا ﴾ (٢) الآية . وقال ﷺ : من عظم غيب لعنه فقد ذهب ثلثا دينه . وقال ﷺ : إذا مدح العاصي غضب الرب واهتز لذلك العرش ، وقال الله تعالى : ﴿ يوم نذهق كل أناس بإمامهم ﴾ (٣) يمس من حرصات القيامة ، وقد اختلف المفسرون في تمييز الإمام الذي يدعى كل أناس به فقال أبو عباس وغيره أنه كتاب كل إنسان الذي فيه عمله أي يدعى كل إنسان بكتابات عمله ويؤدي هذا قوله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ (٤) الآية . . وقال ابن زيد : الإمام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة إمامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد ﷺ وعليهم . وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المراد بالإمام إمام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بإمامهم الذي كانوا يأخرون بأمره ويتبعون بنيه . وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل خادع لواء فيقال هذ خذرة فلان ابن فلان .

وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ في تضييره هذه الآية يدهي أحدهم فيعطى كتابه يمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعا ويبسط وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فيطلق إلى أصحابه فيروثه من بعيد فيقولون اللهم اكنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل وجل منكم مثل هذه . وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم وليس تاجا من شوك قيراه أصحابه فيقولون هو ذا بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا ، قال فيأتيهم فيقولون انهم آخره فيقول أعدكم لله بدن لكل رحى منكم مثل هذا . وقال الله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ۖ وأخرجت الأرض أنفاسها ﴾ (٥) إلى آخر السورة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي تحركت من أسفلها وأخرجت ما في جوفها من الأموات والدفائن . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ۖ أنتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل

عبد وأمه بكل عمل عمل على ظهرها . وعن رسول الله ﷺ أنه قال تحفظوا من الأرض فإنها أمكم وأنه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا إلا وهي صغيرة . . أخرجه الطبراني .

الباب السادس والثلاثون

في النخع والفزع والخشر من العقاب

قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد انقضى القرن وحتى الجبهة واصفى بالادن ينتظر متى يؤمر فينخع » (١) فان مقابله الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل - عليه السلام - واضع فاه على القرن كهية البوق وفاترة وأمس القرن كعرش السموات والأرض وهي شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينخع النخعة الأولى فإذا نفع صقع من في السموات ومن في الأرض . أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسراييل وملك الموت . ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يبيت الخلق بعد النخعة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله إسرائيل فأمره أن ينخع الثانية فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم نفيخ فيه نفخا آخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٢) على أن جعلهم ينظرون إلى البعث ، وقال ﷺ : حين يبعث أئني صاحب الصور فأهوى به إلى فيه ، وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر والنخع ألا فاتوا النخعة ففكروا الخلائق فذلهم وانسكارهم واستكانتهم عند الابتداء خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم مكسر كانكسارهم فتعير كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من الخرفين والأغنياء المنتعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم أدل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقهم يطؤون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش في البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها فليلا ليوم النشور من غير خطيئة تلنس بها ، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهو النخعة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا النوحون فحرت ﴾ (٣) ثم أنبلت الشياطين والمردة بعد فمرددها وعتوها وأدعت حاشعها من هيئة العرعر على الله تعالى تصديقا لقوله : ﴿ فوذلك قحسرتهم والشياطين ثم نخصرهم حول جهنم جبا ۖ ﴾ (٤) فنمكر في حالك وحال قلبك هنالك .

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراء عرا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صصاف لا ترى فيها عوجا ، ولا ترى عليها ريوحة يحتمى الإنسان ورامها ولا وهذه ينحفض عن

(١) (حسن) - رمزي (٢٥٣١) ، وأحمد (٣٦٦) ، (٢٥) ، (٦٨) سورة بقره

(٣) (٥) سورة التكاوير (٤) الآية (٦٨) سورة ص

(١) (حسن) الترمذي (٢٣٧٨) .

(٢) (٣) الآية (٧٩) سورة الإسراء .

(٥) الآية (١-٢) سورة الزلزلة .

(٢) الآية (٤١) سورة العنكبوت

(٤) الآية (١٩) سورة الحاقة

(٦) الآية (٤) سورة الزلزلة

الآعين فيها به هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون عليه زمرا زمرا ، فسبحان من جمع الخلاق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذا سافهم بالراجلة تنبها الرادفة والراجعة هي النعمة الأولى والبرادفة هي الثانية . وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجبة وتلك الأبصار أن تكون حاشية . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ (١) قال ابن عباس يراد فيها ريعص ونذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وعند مد الأديم العكاظي أرض بيضاء مثل العصاة لم يمسك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها . فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدة فزائه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تأثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلت الأرض لجمود سراجها فينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظتها وشدتها بحمصاة عام وللاذقة قيام على حافاتها وأرجائها ، فياهول صوت انشقاقها في سمعك وبها هبة يوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كاللغضة المذابة تغلظها صفرة فصار وتودة كالدخان وصارت السماء كالمهل وصارت اجيال كالعن ، وانتشرت الناس كالفرش الميثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله ﷺ : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان » (٢) . قالت سورة زوج النبي ﷺ رواية الحديث قلت يا رسول الله واسرائاته ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم : ﴿ لَكُلٍّ أَمْرٌ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ خَافٌ مِنْهُ ﴾ (٣) فأعظم بيوم تكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والإلتفات ، كيف وبعضهم يمشون على بطونهم وجوههم فلا قدرة لهم على الإلتفات إلى غيرهم ، قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف وكيانا ومثاة وعلى وجوههم ، فقال رجل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال النبي أمشاهم على أفئدتهم قلوعهم على أن يمشيهم على وجوههم » (٤) .

في طبع الأدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق لحاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل ، والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فذلك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قيس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة ، لكنت أشد إنكارا لها فاحضر في قنوت صورتك وأنت واقف عاريا مكسوبا ذليلا مسحورا متحررا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من

القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة . ثم تعكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشتد عليهم الشمس وقد تصاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدبت من رؤوس المالمين كغلاب قوسين ، فلم يبق على الأرض ظل إلا هل عرش رب الملمين ولم يمكن من الاستقلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضجى لحر الشمس قد صهرته بحرهم وأشدت كبريه وغمه من وهجه ثم تذاقت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الحيلة والحياة من الافتضاح والاحتراء عند العرض على جبار السماء ، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياة والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سأل على صعيد القيامة ، ثم أرتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه ، وبعضهم كاد يقرب فيه .

قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ يوم يقوم الناس لرب المالمين حتى يقرب أحدهم في رشفه إلى أنصاف أذنيه . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : يمرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم من الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويلغ أذانهم . . كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح . وفي حديث آخر قياما شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب . وقال عفة بن عامر قال رسول الله ﷺ تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيحرق الناس من الناس من يبلغ عرقه حقه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه ، وأشار بيده فألجمها فاه ، ومنهم من يعطيه العرق ويحرب بيده على رأسه هكذا . فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كبريهم وقبيهم من ينادي فيقول رب ارحمني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . وأعلم أن كل حرق لم يخرج العناب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف وبهي عن مكر ، فسبحرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة يطول فيه الكرب ولو سدم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمنا من حرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيمة شدته مبرلة مدته .

(١) آية (٤٨) سورة إبراهيم

(٢) صحيح البخاري ٥٦٤ / ٤ ، والنسائي ١١٤ / ٤

(٣) آية (٣٧) سورة هود ،

(٤) (حسن) الترمذي (٣١٤٢) ، وأحمد ٣٥٤ / ٢

باب السابع والثلاثون

فصل بيان القضاء بين الخلائق

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون من المفلس فلما المفلس فلتا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة به صلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا - فيحطى هذا من حساته وهذا من حساته فإن فثيت حساته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » (١) ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من أهبات الرباء ومكائد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدأها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا يقضى منك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك ، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات ، وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتصر فيه للجماة من القرناء .

فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ رأى إنسانين يتطهعان فقال يا أبا ذر أنت ترى قيم يتطهعان قلت لا قال ولكن الله يسرى وسيقضى بينهما يوم القيامة - وقال أبو هريرة في قوله عز وجل : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ (٢) أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ، اليهاثم والعباب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر ﴿ يا ليتني كنت ترابا ﴾ (٣) فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك ، فتقول أين حسناتي : فيقال نقلت إلى صحيفة حصانك وترى صحيفتك مشحونة سيئات طال في الصبر عنها نصيبك وأشدت بسبب الكف عنها عاؤك ، فتقول يا رب هذه سيئات ما فارقتها قط ، فيقال هذه سيئات القوم الذين غتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبدعة والمجاورة وللخاطبة والمناظرة والمداكرة والممارسة وسائر أصناف المعاملة .

قال ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد يش أن تعبد الأصنام بأرض العرب ويكر سببهم مكم بما هو دون ذلك بالبحقرات ، وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن يوم القيامة بأشكال الجبال من الطاعات فبرى أنهم سينجيهم فما يزال عبيد يجرى فيقول رب - فلان ضمني بمظلمة فيقول أمع من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته

(٢) آية (٣٨) سورة الأنعام

حج ١٤٠٣

١٤٠٤ سورة البقرة

شيء ، وأن مثل ذلك مثل سمير بر لود ملاءة من الأرض ليس معهم حطاب تفرق القوم فحطروا فلم يلبثوا أن أعظموا ما بهم وصموا ما أرادوا ، وكذلك الذنوب وما نزل قوله تعالى ﴿ وإلهم ميتون ﴾ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تحصون ﴿ ١٠ ﴾ ، فإن الربير يا رسول الله أيكرو عليك ما كان بيتا في الدنيا مع خواص الذنوب ، قال نعم ليكررو عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه . قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخبرة ولا يتجاوز فيه عن لطفة ولا عن كلمة حتى يتقم للمظلوم من الظالم .

قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد حرة فبرأ بهما قال فلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يتناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا لللك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة علة مظلمة حتى أقتصه منه . حتى المظلمة فلنا وكيف تأتي الله عز وجل عراة فبرأ بهما ، فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في مباشرتها ، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمعرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أبواب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص ، وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي لا يخفى لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم . كما روى عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال « بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأته يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال : رجلان من أمتي جثيا بين يدي وب العزة فقال أحدهما يارب خط لي مظلمتي من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حساني شيء فقال الله تعالى لطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء ، قال يارب وتحمل عني من أوزاري ، قال وقاضيت عيا رسول الله ﷺ باليكاء ، ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج لئس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال فقال الله لطالب أرفع رأسك واسطر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مربعة وقصورا من ذهب مكللة بالؤلؤل لاى نبي هذا أو لأى صديق هذا أو لأى شهيد ، قال لئن أعطاني الثمن ، قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت فمليكك ، قال وما هو قال هموك عن أحبك قال يارب إني قد دعوت عنه ، قال الله تعالى خط بيد أخيك فأدخله الجنة » . ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « اتقوا الله وأصلحوا فلت بينكم فإن له يصحح بين المؤمنين » . وهذا تنبيه على أن ذلك لم يبال بالخلق بأحلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تطف لك

(١) به (٣٠-٣٩) سورة البر

وغير غيره وكثير ماله ، فانظر كيف رأى كثرة المال غاية لبلاء مع صحة الجسم وطول العمر ، لأنه لا بد من بعضى لى الطغيان ووضوح عى كرم الله وجهه درهم عى كفه ثم قال أما أنت ما لم تخرج عى لا تنفعنى .

وروى أن عمر - رضى الله عنه - أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسله إليك صبر من الخطاب قالت غفر الله له ثم - حلت سترا كان لها فقطعت وجعلته صررا وقسمته فى أهل بيتها ورحمتها وأتاهما ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يتركنى عطاء عمر بعد عامى هذا ، فكانت أول ساء رسول الله ﷺ لحوقا به . وقال الحسن والله ما أعر الدرهم أحدا إلا أدله الله ، وقيل أن أول ما ضرب الديار والدرهم ونعمهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا . وقال سميط بن صجلان إن الدرهم والدينار أزمة الماطفين يقادون بها إلى النار ، وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقوب فإن لم تحسن رقيقه فلا تأخذه فإنه إن لدخلك قتلك سمه قيل وما رقيقه قال أخذه من حله ووضعته فى حقه . وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل رينة فقلت أهو ذباله من شرك فقالت إن شرك أن يعينك الله منى فأبعض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذا يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وبى ذلك قيل :

إنى وجعلت فلا تظنوا غيرى ••• أن التصور عند هذا الدرهم
فإذا فدت عليه ثم تركته ••• فاعلم إن تفكك تقوى المسلم
وفى ذلك قيل أيضا :

لا يعرفك من المرء قميص رقعته ••• أو إزار فوق عظم الساق منه رقعته
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه ••• أره الدرهم تعرف حبه أو ووجه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عند موته ، فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنعا لم يهنه أحد قبلك تركت أولادك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما وليس لم أصنعهم حقا لهم ولم أعطهم حبل لغيرهم إنما ولدتى أحد رجلين إما مطيع لله فإله كافي به والله يتولى الصالحين وإما عاصى لله فلا أنالى على ما وقع .

وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقبل له لو ادخرته لولئك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخره لولدى .

ويروى أن رجلا قال لأبى عبدربه يا أحنى لا تلعب بشر وترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد

ربه من ماله مائة ألف درهم ، وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون ولا أحد من بعدهم للعبد فى ماله عيب موته قبل وما هما قال يؤخذ منه كنه ويسأل عنه كنه .

الباب التاسع والثلاثون

فى الأعمال والميزان وعذاب النار

يا أحنى لا تنغل من المعكر فى الميزان وتطير الكتب إلى الأيمان والشمال غير - - - من - - - السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة ، فيخرج من النار حتى أسود فيلقطهم لقطع التغير الخب ويتطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتلتهم النار ويتدى عليهم شقاوة لا سعادة بملأها وقس آخر لا سينة لهم ، فيتأدى متأدى ليقم الحمدون لله على كل حال فيقومون ويرحون إلى الجنة ثم يتغير ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا يبعها عن ذكر الله تعالى . ويتأدى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ، إن العالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن بأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فصله عند العفو وعذله عند العقاب فتطير الصحف والكتب منظورة على الحسنات والسيئات ، وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ثم إلى لسان الميزان أهمل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلاق .

روى الحسن - أن رسول الله ﷺ كان رأسه فى حجر عائشة - رضى الله عنها - فنصر فلذكرت الآخرة فبكى حتى سال فعمدا فنقط على صدر رسول الله ﷺ فأنشبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ، قال والذي نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر بى أنه أيعجب ميزانه أم يقل وعبد الصالح حتى ينظر لمييمته يأخذ كتابه أو بشماله وعند انصرحه

وعن أنس قال يؤتى بابى آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويؤكل به صحت من تقى ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلاق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها - - - وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلاق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا . وبعد دعة كفة الحسنات تقبل الزبانية ويأيدهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون عيب الدار إلى النار ، وقال رسول الله ﷺ فى يوم القيامة : « أنه يوم يتأدى الله تعالى فيه - - - حجة الإسلام - - - يقول له قم يا آدم فأبعث بعث الدار ، فيقول وكم بعث النار فيقول من كل - - - سمعته وسمعه وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أجلسوا حتى ما أوضحوها حكمة ، فلم رأى رسول الله ﷺ

عند أحد ، قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن فيكم خنيتين ما كانتا مع أحد قط إلا : مع من هلك من بني آدم وبني نبيس ، قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال من عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشاة في جنب البعير أو كالرقعة في فراخ الدابة . يا أيها العاقل عن نفسه المبرور بما هو فيه من شاة هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والروال ، دع التعمق فيمت أنت مرئيل عنه وأصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لُاِ وَاقِعًا كَانَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ حَصْحَا مَغْتَبًا ۖ ﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَشَرَ الْغَائِبِينَ فِيهَا جَنَّاتٌ ۖ فَاذْهَبْ مِنَ الْوُرُودِ عَلَىٰ بَقِيَّةٍ مِنَ السَّعَةِ فِي شَيْءٍ فَاسْتَشِعِرْ فِي قَبْرِكَ هَؤُلَاءِ ذَٰلِكَ الْمُرُودُ فَسَاكِ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ ، وَتَأْسِ فِي حَالِ الْخَلَائِقِ وَقَدْ قَاصَرَا مِنْ دَوَاهِي الْقِيَامَةِ مَا قَاصَوْا فِيهَا مِنْ كَرْبِهَا وَأَهْوَالِهَا وَقَوْلَا يَتَطَرَّوْنَ حَقِيقَةَ أَنْبَاءِهَا وَتَضَعُ شَفَعَاتُهَا إِذَا أَحَاطَتْ بِالْمُجْرِمِينَ ظَلَمَاتِ ذَاتِ شَعْبٍ وَأُظْلِمَتْ عَلَيْهِمْ نَارُ قَاتِ لَهَبٍ وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَجَرَجَ جَرَّةُ تَصْصَحُ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَالْغَضَبِ . فَعِنْدَ ذَٰلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَمْرُقُونَ بِالْمُطَفِّ وَجَثَّ الْأَمُّ عَلَى الرِّكَبِ حَتَّى أَشْفَقَ الْبَرَاءُ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ وَخَرَجَ الْمُنَادِي مِنَ الرِّيَابَةِ قَائِلًا أَيْ فُلَانُ ابْنِ فُلَانٍ الْمُسَوِّفُ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا يَطُولُ الْأَمَلُ الْمَضِيْعُ حَمْرُهُ فِي سُوءِ الْعَمَلِ فَيُضَادُّونَهُ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ وَيَسْتَقْبِلُونَهُ بِظُلُمَاتِ التَّهْدِيدِ وَيُسَوِّفُونَهُ إِلَى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَيَتَكَسَّرُونَ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ وَيَقُولُونَ لَهُ دِقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ، فَأَسْكَنُوا دَارًا حَقِيقَةَ الْأَرْجَاءِ مَظْلَمَةَ الْمَسَالِكِ بِمَهْمَةِ الْمَهَالِكِ يَحْلِدُ فِيهَا الْأَسِيرُ وَيُوقَدُ فِيهَا السَّيْرُ ، شَرَابُهُمْ فِيهَا الْحَمِيمُ وَمَسْتَقَرُّهُمْ الْحَمِيمُ الزَّبَانِيَّةُ تَقْمَعُهُمْ وَالْهَائِيَّةُ تَجْمَعُهُمْ أَمَانِيَّتُهُمْ فِيهَا الْهَلَاكُ وَمَا لَهُمْ فِيهَا فَكْكَ قَدْ شَدَّتْ أَثْمَانُهُمْ إِلَى السَّوَاعِي وَاسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَامِي يَنَادُونَ مِنْ أَكْثَانِهَا وَيَصِيحُونَ فِي نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافِهَا يَا مَالِكَ قَدْ حَقَّ عَلَيْنَا الْوَحِيدُ يَا مَالِكَ قَدْ أَثْقَلْنَا الْحَمِيدُ يَا مَالِكَ قَدْ تَضَجَّتْ مَنَا الْجُلُودُ يَا مَالِكَ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فِيمَا لَا نَعُودُ فَنَقُولُ الرِّيَابِيَّةُ هِيَهَاتُ لَا تَحِينَ أَمَانٌ وَلَا خُرُوجٌ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ فَاخْشَاؤُهَا فِيهَا وَلَا تَكَلُّمُونَ وَلَوْ أَخْرِجْتُمْ مِنْهَا لَكُنْتُمْ إِلَى مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ تَعُودُونَ فَعِنْدَ ذَٰلِكَ يَقْطَعُونَ وَهْلَى مَا قَرُّوا إِلَى جَنَابِ اللَّهِ خَائِفُونَ وَلَا يَنْجِيهِمُ التَّوَكُّلُ وَلَا يَغِيثُهُمُ الْأَسْفَى بَلْ يَكُونُ عَلَى وَجُوهِهِمْ مَعْلُولِينَ ، النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ إِيْمَانِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ شَمَائِلِهِمْ فُتِمَ غَرَقَى فِي النَّارِ ، طَعَامُهُمْ نَارٌ وَشَرَابُهُمْ نَارٌ وَلِبَاسُهُمْ نَارٌ وَمِهَادُهُمْ نَارٌ فَهُمْ بَيْنَ مَقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ وَصَرَائِلِ الْمَطَرَانِ وَصَرَبَ لِقَامُ وَثَقُلَ السَّلَاسُ ، فَهُمْ يَتَجَلَّجَلُونَ فِي مَصَافِقِهَا وَيَتَحَطَّمُونَ فِي فُرْكَانِهَا وَيَصْطَرِبُونَ بَيْنَ خَرَائِصِهَا تَغْلَى بِهِمُ النَّارُ كَغْلَى الْفَقُورُ وَيَهْتَفُونَ بِالرَّيْلِ وَالْعَرِيْلِ وَهَمَّاهُمَا دَعَا بِالْثَبْوِ وَحَبَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ تَهْتَمُّ بِهَا جِبَاهُهُمْ فَيَتَمَجَّرُ الصَّدِيدُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَتَقْطَعُ مِنَ السَّطْلِ أَكْبَادُهُمْ وَتَسِيلُ عَلَى

الجلود حذاقهم ويسقط من الوجات خومها ، ويتناقص من الأطراف شعور ، أبلى جلودهم وكلب بضجت جنودهم بدلوا جلودها خيرها ، وقد حرمت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح موطاة بالمروق وعلاق المصعب وهي تنش في لبح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يصرون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأحميت أجسادهم ، وأيكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجذعت أذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأفئدتهم وهم يشنون على النار برجوعهم ويعطون حنك الحديد بأحذاقهم فلهيب النار سار في يواطن أحرانهم وحيات الهاوية وعفانها متشعبة بظواهر أعصابهم ، هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن من تفصيل أحوالهم وتذكر أيضا من أودية جهنم وشبابها . فقد قال النبي ﷺ : إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب وفي كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا يتبى الكافر والمديق حتى يوافي ذلك كله . وقال - كرم الله وجهه - قال رسول الله ﷺ تعودو بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قبل يا رسول الله وما وادي أو جب الحزن قال واد في جهنم تعودو منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المراتين ، مهله سعة جهنم وانشعبت لوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يحصى العبد ، بعضها فوق بعض ، الأعلى جهنم ثم سقر ثم نظى الخطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن من عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا يتبى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريرة : كما مع رسول الله ﷺ قسما رجة فقال رسول الله ﷺ أنزروا ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها ، ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الأخيرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، فكما أن انكسار الناس على الدنيا يتفاوت فمن مهك مستكثر كالعريق فيها ومن خائن فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت . فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تتراخف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان به لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وقبته ، ألا إن أقلهم عذابا لو عرقت عليه الدنيا بعد ما يرها لا تندي بها من شدة ما هو فيه . قال رسول الله ﷺ : أن أدنى أهل النار علانا يوم القيامة يتلعل سبعين من نار يعنى دماغه من حرارة عليه . فانظر الآن إلى من عذب عليه ، وأعير من شدد عليه ، ومهما تشككت في شدة عذاب النار فاقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أحطت من القربى فإن نار الدنيا لا تسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذابا في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها ، وهيئات لو وحد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاصروها طافقين هربا مما هم فيه وهي هذا ورد في بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت

بشبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطافها أهل الدنيا . بل صرح رسول الله ﷺ بصمة نار جهنم . فقال : « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت ، فهي سواداء مظلمة » . وقال ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين في الشتاء ونفسين في الصيف فما شد ما تحبوه في الصيف من حرها ، وأشد ما تحبونه في الشتاء من زهرها » .

وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار . فيقال لهم في النار خمسة : ثم يقال له هل رأيت نعمياً قط فيقول لا ، ويؤتى بأشد الناس حرماً في الدنيا فيقال لهم خمسة في الجنة خمسة ، ثم يقال له هل رأيت حرماً قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أريز يكون ثم تنفس رجل من أهل النار ماتوا ، وقد قال بعض العلماء في قوله « تلفح وجوههم النار » أنها لفحتهم لفحة واحدة فما لبثت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ، ثم انظر بعد هذا في تن الصدود الذي يسيل من أبدانهم حتى يترقون فيه وهو الغساق . قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « لو أن دلوا من خفاق جهنم التي في الدنيا لانت أهل الأرض » فهذا شرابهم إن استمتعوا من العطش فسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسقيه ويأتي الموت من كل مكان وما هو بيت « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فبئس الشراب وساءت مرتفعاً » (١) ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى : « ثم إنكم أنها السائلون المكذبون » (٢) لا يكون من شجر من زقوم (٣) فما شقونها البظون (٤) فخلبون عليه من الحميم (٥) فخلبون شرب أنهم (٦) . وقال تعالى : « فيها فجرة تخرج في أصل الجحيم » (٧) طعمها كأنه رؤس الشياطين (٨) فإنهم لا يكون منها فاعلون منها البظون (٩) ثم إن لهم عليها نسياً من حميم (١٠) ثم إن مرجعهم إلى الجحيم (١١) . وقال تعالى : « فصلن ناراً حامية » (١٢) تسقى من هناء نية (١٣) وقال تعالى : « إن لدينا أنكلاً وجحيماً » (١٤) وطعاماً ذا هضرة وعذاباً أليماً (١٥) وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك » (١٦) وقال أنس : قال رسول الله ﷺ : « ارجعوا فيما وعبك الله واحذروا أو حافوا ما عوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم » فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها عتيتها عليكم . وقال أبو السدراء : قال رسول الله ﷺ : « يلقى على أهل النار الحوق حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام من شريع لا

(١) آية (٢٩) سورة نكهف
(٢) آية (٦٤-٦٨) سورة الصافات
(٣) آية (١٢-١٣) سورة الزمل

(٤) آية (٥١-٥٢) سورة الواقعة
(٥) آية (٤-٥) سورة المائدة
(٦) صحيح (الترمذي) (٢٥٨٥)

بسم ولا يفتنى من جوع . ويستغيثون بالطعام فيخافون بطعام ذي عصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون العصص في الدنيا يشرب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الجحيم بكلاليب الحديد ، وقد دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخل الشراب يطوبهم قطع ما في بطونهم ، فيقولون ادعوا حرمة جهنم ، قال فيدعون حرمة جهنم أن ادعوا ريكهم يحفف بها يوماً من العذاب ، فيقولون أو لم تلك تأنيكم رسكم بالبيات ؟ قالوا بلى قالوا مدعوا ومدعوا الكافرين إلا في خلل ، قال فيقولون ادعوا مالكا فيدهون فيقولون يا مالكا ليقتض علينا ريك ، قال فيجيبهم أنكم ماكشون . قال الأعمش أنبت أن بين دعائهم وبين إجابة مالكا إليهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا ريكهم فلا أحد خير من ريكهم فيقولون ربنا غيب علينا شقوتنا وكنما قوما ضالين ربنا أخرج منها من حسنت فلنا ظالمون . قال فيجيبهم « احسبوا فيها ولا تكلمون » قال فعند ذلك يسوا من كل خير وعند ذلك أحلوا في الرزق والحسرة والويل .

وقال أبو أمامة : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : « ويقتن من ماء حديد » (١) يتجرعه ولا يكلأ بسيفه . قال يقرب إليه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه فوفعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاء حتى يخرج من دبره . يقول الله تعالى : « وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » وقال تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه » فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وعقاربها وإلى شدة سؤمها وعظم أشخاصها وعظامة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفر عن الهش واللذغ ساعة واحدة . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له ريشتان يطرقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بهناريه يمس أشداه فيقول أنا مالكا أنا كركك ، ثم تلا قوله تعالى : « ولا يحسن الذين يخفون بها آثامهم الله من فضله » الآية . . وقال رسول الله ﷺ إن في النار لحيات مثل أصاق البخت يلسن اللسعة فيجعد حموتها أربعين خمرها وإن فيها العقارب كاليفال الموكمة يلسن اللسعة فيجعد حموتها أربعين خمرها وهذه الحيات والعقارب إلى تسعد على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمث له .

ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار ، فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وحرماً حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسبون بلتع النار ولذخ العقارب والحيات من جميع أجزائها دعة وحده على السوا . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : خرس لكافر في النار مثل أحد وغلط جلده مسيرة ثلاث . وقال رسول الله ﷺ : شقته السفلى مائة على صدره والعليا قاصمة قد عذب رجه ، وقال - عبه اسلام - إن الكافر ليحرق لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجعد جلودهم ولحومهم . قال الحسن في

قوله تعالى ﴿ كَمَا نَضَعُ الْجُودَافَ بِدَلْبِهَا جُودًا غَيْرَهَا ﴾ قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قبل لهم عودوا كما كانوا ، ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والنبور ، فإن ذلك يسلط عليهم في أول القائلهم في النار . قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بهم يومئذ لهم سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » وقال أنس قال رسول الله ﷺ « يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبيكون الدم حتى يرى في وجوههم كهية الأعدود أو أرسلت فيها السفن بمرت » (١) وما دام يؤذون لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة والويل والنبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك .

قال محمد بن كعب لأهل النار خمس دهرات يجيبهم الله هر وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا فيقولون . ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِالْغَيْبِ وَأَحْبَبْنَا الْقَبْرَ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ . فيقول الله تعالى مجيبا بهم : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ يُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ ثم يقولون ربنا أبعرنا وسعنا فارجمنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ نَكُونُوا لَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل . فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا تَدَّكُرُ لِيهِ مِنْ تَدَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ الْفِتْرُ فَذُوقُوا قَسَا لِنَظَائِمِنَ مِنْ نَعْمٍ ﴾ ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما غاليين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . فيجيبهم الله تعالى ﴿ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس - رضي الله عنه - قال زيد بن أسلم في قوله تعالى ﴿ سِرًّا عَلَيْهَا أَعْزَمًا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِنٍ ﴾ قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا . وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كشي أملح يذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » (٢) وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتى كنت ذلك الرجل وروى الحسن - رضي الله عنه - جالسا في زاوية وهو يكي فقبل له لم يكي فقال أحسنى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل مجموعها أحزانها ومصها وحسراتها لا نهاية له فاعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم بأعوار كل ذلك بشمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكذبة منعصة ، فيقولون في أنفسهم وأحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا العسر أياما قلائل ولو صبرنا لكأننا قد انتقضت هنا أيامه وبقيت الآن في جوار رب العالمين مشغوبين بالرضا والرضوان ، بل الحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم ويلوا ما بلوا به ولم يبق معهم

(١) (ضعف) ابن ماجه (٢٣٦٤) .

(٢) (صحيح) البخاري (٤٧٣٠) .

شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم . فقد قال رسول الله ﷺ : يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشقوا رائحتها ويطروا إلى فصولها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها تودوا أن يصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها . فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أربتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأولياك كن أهون علينا . فيقول الله تعالى ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم بارزوني بالعظام وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مسخطين تراءون الناس بحلاف ما تعطون من قلوبكم هيتم الناس ولم تهابوني وأجلتكم الناس ولم تهلوني وتركتم الناس ولم تتركوا إلي فالיום أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم . قال أحمد بن حنبل إن أهدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى - عليه السلام - كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح فنادى بين أطباق النار يصيح . وقال داود إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ، فانظر يا مسكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار وأهلها وخلق لها أهلا لا يزدلون ولا يتقصون وأن ملا أمر قد قضى وفرغ منه . قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي حَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فاعجب منك حيث تصحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تفكر أن القضاء بماذا سبق في حقل فإن قلت فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مالي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء لي حتى فلك علامة تستأنس بها وتصديق وجاهاك يسيبها وهو أن تنظر إلى أعمالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له فإن كان قد يسر لك الخير فأبشر فإنك مبعود عن النار وإن كنت لا تقصد غيراً إلا وتحيط بك العواقب لتعصمه ولا تقصد شرأ ولا ويسر لك أسبابه فاعلم أنك مقصي عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على البسات ودلالة الدخان على النار . فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ وإن الفجار ففي جهنم فاعرض نفسك على الآتين وقد عرفت مستقر من الدارين والله أعلم .

باب الأبرار

في فضل الطاعة

أعلم أن طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس إلى أنوار معرفة القديس ، ويتمتعون في دار النعيم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أدب سمعت ولا خطر على قلب

بشر ، فداهم لم يحدقوا ، عشايل لم يجرى اللبن أساورا بما عملوا ويجري اللبن أحسنوا بالحسن وهو النسي عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من كمالاته شيئا ، فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ، من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغنى وأنتم الفقراء ، يا عبادا أهدنا الصراط المستقيم والحق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة ما صحت فيها منقادا لولاء الذي استولى عليه بالمركن المصير الفاني ويمتته بركة واحدة ويغضب عليه وربما منعه مرتبه أو طرده أو باعاه ، فما لنا لا نطيع مولانا الحقيق الذي خلقنا وسوانا ونفع في زلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه عن وإمداداته التي أولاه لهلكا وهو قادر على البطش بنا بمجرد أو تكاب زلة واحدة لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا ويغفر زلتنا ويسترحمنا ، فالعاقل يعرف من هو الأحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكلته إليه ، وكلما أذنب تاب وإلى خلقه أناب ولا يأس من رحمة ويتحجب إليه بشكر نعمه ويواظب على ذلك حتى أن يكتب من المحبين ليأتيه الموت وهو مشتاق إلى مولاه ومولاه أشد شوقا إلى لقائه .

قال أبو الدرداء لكعب - رضي الله عنهما - أخبرنا عن شخص آية معنى في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقا ، قال ومكتوب إلى جاتيها من طليبي وجنتي ومن طلب غيري لم يجنني ، فقال أبو الدرداء أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ، وفي أخبار داود - عليه السلام - أن الله تعالى قال يا داود ألمع أهل أرضي أنني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبتني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني هب أعلم ذلك بقينا من قلبه إلا قلبه لنفسه وأحبته حبا لا يتقدمه أحد من خلقه ، من طليبي بالحق وجنتي ومن طلب غيري لم يجنني فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وأنصروني أو أنكم وأسارع إلى محبتكم فإني خلقت طيبة أحوالي من طيبة إبراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي .

وروي عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين أن لي عبيدا من عبادي يحيونني وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم ، ويظفرون إلي وأنظر إليهم ، فإن حدثت طريقهم أحببتك وإن حدثت عنهم مقتك . قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي النخيل شمه ، ويحترون إلى غروب الشمس كما يحس الظائر إلى وكرة عند الغروب فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وغلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافتشوا إلى وجوههم ونجسوا بكلامهم وتلقوا إلى بأعناق ، فبين صاوخ وبك وبين متأوه شاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي ويسمى ما يشكون من حبي ، أول ما أعطيتهم ثلاثا ، أول ما ألفت من نوري في

فدونه محزون عن كبر حرمه ولثابه بركات السموات والأرض وما فيها من موازينهم لا تستعملها بهمة ولا ثباته قبل بوجهي فري من أفلت بوجهي بحبه يعلم أحدا ما أريد أن أعطيه .

وهي أخبار داود - عليه السلام - قبل لعبادي المتوجهين إلى محبتني ما غيركم إذا احتجبت عن حنني ورمعت الحجاب فيها ليس ويبكم حتى تنظروا إلى يميني فويكم وما ضرركم ما رويت حكم من الدنيا ، فاسطت ديني لكم وما ضرركم مسطرة الخلق إذا انقسمت وضالي .

الصاب الجاد والاربعون

في الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وقال تعالى ﴿ هَذَا ذِكْرُ مِمَّا أَدَّيْتُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ وقال هو وجل اختيارا عن إيليس اللعين لأنعدن لهم صراطك المستقيم ، قبل هو طريق الشكر طعن اللعين في الخلق ، فقال : ﴿ وَلَا تَعْدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وقد قطع الله تعالى بالمرية مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى : ﴿ قُلْ شُكْرُكُمْ لَا يَلْزِمُكُمْ ﴾ فقال تعالى : ﴿ فَيَسْأَلُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَطْنِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ وقال ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقال : ﴿ وَيَفْزَعُ مَا دُونَ ذَلِكَ نَسْأَلُ ﴾ وقال : ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهو خلق من أخلق الربوبية إذ قال تعالى : ﴿ وَهُوَ شَكُورٌ عَلِيمٌ ﴾ وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَنُفَعْنَا ﴾ وقال : ﴿ وَأَخْبَرُوا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وأما الأخيار فقد قال رسول الله ﷺ : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » (١) ، وروي عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة - رضي الله عنها - فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت وأي شاة لم يكن عجباً أتاني ليلة قد دخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جسدي جلده ثم قال ياليتني أبى بكر فزيتني أتعيد لربي ، قالت قلت إني أحب قربك لكنني أؤثر هوائك فحدثت له فقام إلى قربتي ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكي حتى سالت دموعه على صدره ثم رجع فبكي ثم سجد فبكي ثم رفع رأسه فبكي فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فأدبه بالصلاة ، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أملا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي : ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

(١) (حسن) خرمدني (٢٤٨٦) ، واحمد ٢ / ٣٤٣

والأرض» (١) الآية . . وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا يتقطع أبدا . وإلى هذا السر يشير ما روى أنه من بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأسطفه الله تعالى فقال مد سمعت قوله تعالى . « ولقد دعا الناس والعجالة » (٢) فإنا أنكى من حوجه فسال الله به أن يجيره من النار فأجابه . ثم أراه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذلك يكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالخجالة أو أشد فسوة ولا يزول فسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا . وروى عنه **عليه السلام** أنه قال : « ينادى يوم القيامة ليقيم الحمدادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » وفي لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على الرزق والضراء » وقال **عليه السلام** : « الحمد لله الرحمن » (٣) . وأوحى الله تعالى إلى أيوب . عليه السلام . إني رفيت بالشكر مكافأة من أوليائي . . في كلام طويل . . وأوحى الله تعالى إليه أيضا في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها أنهم هم الشكر وهو غير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر إلى أنزدهم . ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر . رضي الله عنه . أي المال تنشط . فقال . عليه السلام . « ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرة وقلبا شاكرا » (٤) فأمر . باقتناء القلب الشاكر بدلا عن اللسان » وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

واعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصده الخير وإخماده لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العنين أن تستر بكل عيب تراه لحلم وشكر الأختين أن تستر كل عيب تسمعه فيه ليدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به . فقد قال **عليه السلام** لرجل : « كيف أصبحت قال بحير فأعاد **عليه السلام** السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال **عليه السلام** هذا الذي أردت منك » .

واعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصده الخير وإخماده لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العنين أن تستر بكل عيب تراه لحلم وشكر الأختين أن تستر كل عيب تسمعه فيه ليدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به

(١) آية (١٦٤) سورة البقرة .

(٢) آية (٢٤) سورة البقرة .

(٣) بحار النور ٩ / ٤٨

(٤) صحيح (ابن ماجه ١٨٥٦) ، وصحيح (بخاري ٥٣٥٥)

فقد قال **عليه السلام** لرجل : « كيف أصبحت قال بخير فأعاد **عليه السلام** السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال **عليه السلام** هذا الذي أردت منك » .

وكان السلف يستملون وينتظمون مستحراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيع والمستطيق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار التسوق وكل عبد مثل من حال فهو بين أن يشكر أو يستكت . والشكر طاعة والشكرى معصية فيحة من أهل الدين وكيف لا تفتح الشكرى من ملك الملوك ويبدى كل شيء إلى عبد بمذوق لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأقصى به والصعق إلى الشكر أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو الملبى والقادر على إزالة البلاء ودل العبد لمولاه عز والشكرى إلى غيره ذل وإظهار اللبيل للبيد مع كونه عبد مثله من قبيح . قال الله تعالى : « إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابظروا عند الله فرزق وأعبدوه واشكروا له » وقال تعالى : « إن الذين تدعون من دون الله جعلوا صناديقكم » (١) فالشكر باللسان من جملة الشكر .

وقد روى أن وقدنا قدموا على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير ، فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسب لكان في المسلمين من أسمن منك فقال تكلم فقال لسا وقد الرقة ولا وقد الرقة أم الرقة فقد أوصلها إلينا فذلتك وأما الرقة فقد أمنتنا منها بذلك وإنما نحن وفد الشكر جئتكم بشركك بالنساء وتصرف .

باب الثاني والأربعون

في بيان ذم الكبر

قد ذم الله الكبر في موضعين من كتابه ودم كل جبار متكبر فقال تعالى : « ما صرف من أناني الذين يتكبرون في الأرض بخير الحق » وقال عمر وجعل « كذلك يفتح الله على كثر قلب متكبر جبار » وقال تعالى : « واستفتحوا وحاب كل جبار عبيد » وقال تعالى : « إنه لا يحب المتكبرين » وروى تعالى : « قد استكبروا في أنفسهم وغوا عما كبر » وقال تعالى : « إن الذي يتكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » ودم الكبر في القرآن كثير . وقد قال رسول الله **عليه السلام** : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله **عليه السلام** : يقول الله تعالى : « الكبرياء ذاتي والعظمة إزاري فمن نازحني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافقا

نمى ابن عمرو وأقام ابن عمر يركب فقالوا ما يركب يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من كان في قلبه مثقال حبة من غرير من كبر أكره الله في النار على وجهه . وقال رسول الله ﷺ : لا يزال الرجل يلعب بنفسه حتى يكتب في الجحيم فيصير من أصحابهم من العذاب . وقال سليمان بن داود - عليهما السلام - يوما لطيف بالأنس والجن واليهائم أخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع رجل الملائكة بالتيق في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسنت به أبعد مما رغبت ، وقال ﷺ يخرج من النار حتى له أديان تسمعون وحياتان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة يكمل جبار عتيد ، ويكمل من دها مع الله الها آخر ، ويلصقون . وقال ﷺ لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا مسء للملكة . وقال ﷺ تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار أوثرت بالتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسفاهلهم وحجزم ، فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي لأرحم بك من أنباء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذاب لك من أنباء ولكل واحدة منكما ملؤها . وقال ﷺ : ينس العبد عبد تجبر واعتدى ونس الجبار الأهل ، ينس العبد عبد تجبر واعتدى ونس الجبار المعتال ، ينس العبد عبد عني وبني ونس المبدأ والمتهى ، ومن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال : أليس بعدة موت .

وقال عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : (إن نوحا - عليه السلام - لما حضرته الوفاة دعا إليه بنوه ، وقال إني أمركما بالثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر ، وأمركما بالإسلام إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان وضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجع منها ، ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانت حلفة موضعت لا إله الله عليها لقسمتهما وأمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء . وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن حسنه الله كتابه ثم لم يمت جبارا .

وقال ﷺ : «أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء للفقول» . وقال ﷺ : «إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتصهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون مما المتصهقون قال المتكبرون» . وقال ﷺ : «يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر يطأهم الناس في مثل صور الرجال يملوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنهار يسقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنهار يسقون من طين الخليل عصارة أهل النار» . وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور تطأهم الناس لهنهم على الله تعالى» . ومن محمد بن واسع

قال حدثت علي بن ملا ، بن أبي بردة فثبت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال : إن في جهنم ناديا يقال له عيب حق على الله أن يسكنه كل جبار فليراك يا بلال أن تكون عمر يسكنه . وقال ﷺ : «إن في النار قصورا يجعل فيه المتكبرون ويطلق عليهم» . وقال ﷺ : «يأمر أهدوك من ثفة التكبر» . وقال «من عارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول» . وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لا يحفرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير . وقال وهب لما سئل الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر . وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب أمرى شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر ، وسئل سليمان عن السيدة لا تمنع معها حسنة فقال الكبر .

وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصائد وفخوخا وإن من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والعصر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله تسأل الله تعالى العفو والعالية في الدنيا والآخرة بته وكرمه . وقال رسول الله ﷺ : «لا ينظر الله إلى رجل يهر إزاره بطرا» . وقال ﷺ : «بينما رجل يتبختر في برديه إذا أصعبته نفسه فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (١) . وقال ﷺ : «من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة» . وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي شيء أرفع أزارك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء» (٢) .

وقال ﷺ : «إذا مشت أمي المظيئة وغسلتهم فارس والبروم سبط الله بعضهم على بعض» (٣) . وقال ابن الأعرابي هي مشية فيها لختيال ، وقال ﷺ : «من تعظم في نفسه واحتال في مشيته لقي الله وهو عليه غضاب» . ومن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن إدمر علينا ابن الأهم يريد المقصورة وعليه جباب خر قد ضد بعضهم فوق بعض على ساقه وهرج هه قبالة وهو يمشي يتحير إذ نظر إليه الحسن نظرة ، فقال ألب أف شامخ بأعنه ثاني عطفه مصر عده ينظر في عطفيه أي حميق ، أنت تنظر في عطفيك في نعم خير مشكورة ولا مذكرة خير مأجود يأمر الله فيها ولا مؤدى حق الله منها في كل عضو من أعضائه لله صفة وللشيطان به بقة والله لأن يمشي أحد طبيعته أو يتحلج تخليج للجون خير له من هذا . فسمع ابن الأهم مرجع يعتذر

(١) (صحيح) البخاري (٥٧٨٩)

(٢) (صحيح) البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥)

(٣) (صحيح) البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥) ، وصحيح الجامع (٨٠١)

ربه ، فقد لا تعذر إلى وتدبيري ربك ، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَأَنْتَ أَفْرَقَ الْأَرْضَ وَاتَّخَذَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (١) مر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدهاه ، فقال له ابن آدم معجب بشبهك معجب لشمائلك كأن القير قد وارى بدتك وكأنك قد لافيت حملك ، هيحدث داوودك مؤن حاجة لله إلى العباد صلاح قلوبهم ورأى محمد بن واسع ولده يحدث فدهاه ، وقال أندري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلاً يهرج إداره فقال إن للشيطان إحساناً ، يكررها مرتين أو ثلاثاً .

ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتجشتر في حبة عجز فقال يا عبد الله هذه مشية يفتنها الله ورسوله ، فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أهرلك أولئك نقطة ملرة وأخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العلوة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشوا في هذا المعنى .

عجبت من معجب بصورته •• وكان بالأمس نطفة ملره
وفي غد بعد حسن هيئته •• يصير في القبر جيفة ملره
وأشد خلف الأحمر :

لنا صاحب مولع بالخلاف •• كثير الخطأ قليل المصواب
أشد لجانجاس الخنفاء •• وأزهد إذا ما مشى من غراب
وقال آخر :

قلت للمعجب لما •• قال مثلي لا يراجع
بالتسريح العهد بالخير •• ج ليم لا تتواضع
ومثله لذا الرن المصري :

أبها الشايع الذي لا يرام •• نحن من طينة عليك السلام
إنما هذه الحمية مناع •• ومع الموت تستوى الأقدام
وقال مجاهد في قوله ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آثِهِ تَطَلَى ﴾ أي يتجشتر والله تعالى أعلم

الباب الثالث والأربعون

فمن التفكر في الإيمان ونيرها

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى فقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْآيَةَ ... ﴾ أي تماثلهما في الحجى والذعاب يختلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حِفْظًا ﴾ قال عطاء أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل :

ياراقد الليل مسروراً بأوله •• إن الحوادث قد تطرقن أسحاراً
لا تفسرجن بليل طاب أوله •• فسرب لمصر ليل أجمع النارا
وقول آخر :

إن الليالي للإنعام متاعل •• تطوى وتنشر انتهال الأهمال
ففسار من من الهموم طويلة •• وطوالهن مع السرور قصار

وأبى الله على المتفكرين فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُهُودِهِمْ يُفَكِّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا ﴾ وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - إن قوماً تفكروا في الله عز وجل ، وقال النبي ﷺ : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإني لئن لم تتفكروا في الله لم تتفكروا في خلقه . (١) وعن النبي ﷺ أنه عرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل ، قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإن بهذا القرب أرضا يضاء نورها يياضها ويياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل ثم يحضوا الله طرفه حين قالوا يا رسول الله فإين للشيطان منهم ، قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا . (٢) وعن عطاء قد انطقت يوم أنا وعبد بن عمير إلى عائشة - رضي الله عنها - فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد : ما يمنعك من ريلتنا ، قال قول رسول الله ﷺ « ررغباً تردد حبا » (٣) ، قال ابن عمير فأحسبنا ما عجب شيء رايته من رسول الله ﷺ ، قال : فيكيت وقالت كل من أمره كن عجباً أتاني مرة في بيلتي حتى من جلده جلدني ثم قال درسي أتعيد لربي عز وجل مصام إلى القرية فتوضأ بها ثم نام يصلى فيكي حتى من لحيتي ثم سجد حتى بل الأرض ثم

(١) (صحيح) إتحاف السادة ١ / ١٨٠ ، وضعيف الجامع (٢١٧٠)

(٢) (صحيح) المطهراني ٤ / ٢٠ ، وصحيح الجامع (٣٥٦٨)

(١١) به (٣٧) سورة الإسراء .

يمصر إلى النار . وهن معهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف يجهنون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجهده فقال كأن السموات مطيقة على الأرض وكان نفس يخرج من ثقب ابرة . وقال ﷺ : « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر » (١) .

وروى عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال : لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما تراءى الله تعالى لأن من كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات .

وروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها للهابت .

وروى أن إبراهيم - عليه السلام - لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا إسماعيل ؟ قال كسوف جميل في صوف وطيب ثم جذب فقال أما أنا قد هونا عليك .

وروى عن موسى - عليه السلام - أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له وبه يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسي كالصوفور حين يقلى على المقل لا يموت لموت ولا ينجو فيطير .

وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب .

وروى عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على نفسي مكرات الموت ، وفاطمة - رضي الله عنها - تقول واكرهاء لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أيك بعد اليوم . وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين أن الموت كعصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل وأحدث كل شوكة يعرق ثم جلده رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي ﷺ : « أن العبد ليعالج كرب الموت ومكراته وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأمرتك إلى يوم القيامة » (٢) . فهذه مكرات الموت على أولياء الله وأحبابه لما جازت ونحن للمهمكون في المعاصي وتولي علينا مع مكرات الموت بقية الدوامي فإن دواهي الموت ثلاث الأولى شدة التزع كما ذكرناه ، الذاهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته .

فقد روى عن إبراهيم الخليل - عليه السلام - أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن ترى صورتك التي تقبض عليها روح العاجر ، قال لا تطيق ذلك ، قال بلى قال فأعرض عنه ثم لفت

(١) (هميف) أحمد ٣ / ٤٢٤ ، وضعف الجامع (٥٨٩٦)

(٢) (موضوع) تزيه الشريعة ٢ / ٣٧٥

فإذا هو برجل أسود قائم الشعر مثق الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم - عليه السلام - ثم أمأق وقد هاد ملك الموت التي صورته الأولى . فقال يا ملك الموت لو لم يلق العاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه .

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أن داود - عليه السلام - كان رجلا غيورا وكان إذا خرج غلق الأبواب فعلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في النار ، فقلت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقي منه هناه فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتهم مني الحجاب ، فقال فأنت والله إذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه .

وروى أن عيسى - عليه السلام - مر بهجمة فضر بها برجله فقال تكلمي بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذا بدا لي ملك الموت قول مني كل عضو على حاله ثم خرجت نفسي إليه ، فبالت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وبالت ما كان من ذلك الإنس كان وحشة مهله داهية يلقاها المعصاة ويكفهاها المطيعون .

فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة التزع دون الروعة التي يذركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتفزع عليه بقية حموه فكيف برؤيته في مثل تلك الحال ، وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها . فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم - عليه السلام - كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فزاد خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها وبها ، فقال أنا وبها ، فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك ، فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت ، قال هل تستطيع أن ترى الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن ، قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورته كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترأى له ملكاه الكاتبان عمله فأن كان مطيعا قال لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وأن كان فاجرا قال لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخص بصر الميت اليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا .

لذاهية الناشئة مشاهدة المعصاة مواصمهم من النار وخوفهم تلك المشاهدة فإنهم في حال لسكرات قد تحادلت قواهم واستسلمت للخروج لأرواحهم ولما خرج أرواحهم ما لم يسمعوا نعمة ملك الموت بإحدى البشريين أما أبشر يا عبد الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالخنة ومن هذه

كأن خوف أرباب الأكباب وقد قال النبي ﷺ : « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار » (١).

الباب الخامس والأربعون

في بيان القبر وسؤاله

قال رسول الله ﷺ : « يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما هرك بي ألم تعلم أنني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الندود ما هرك بي أذ كنت لم يزل فلاناً ، فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب للقبر أرأيت أن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيقول القبر إني إذا تحول عليه خضرأ ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى والعاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر آخرى هكذا فسره الراوي ، ولأن عبيد بن عمير الأثبي « ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والافتراق فإن كنت في حياتك الله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة ، وأن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج ومن دخلني عاصيا خرج مشورا » (٢).

وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعليه أو أصاب بعض ما يكره ناداه جيرانه من المؤمنين أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبرا أما كان لك في متفردا إليك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك . وتناديه من الأراض أيها المتفتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في باطن لأرض بمن غرته الدنيا قبلت ثم سبق به أجله إلى القبر وأنت تراه محمولا لا تهاده أحبه إلى المنزل الذي لا بد له منه .

وقال يزيد الرقاشي بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم انطقها الله فقالت أيها العبد المنرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندي ، وقال كعب بن جعفر العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والركعة والجهاد والصدقة ، قال فتجي ملائكة المذاب من قبل وجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد احزن في القبر له عليهما ، فيأتونه من سر رأسه يقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطاب ظمأه لله في دار الدب فلا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أصعب نفسه وأثعب يديه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه فإن فأتوه من قبل يديه فتقول

(١) محمد بن عبد الله ١٠ / ٢٦٦

(٢) حبيه لأول ٦٠ / ٩٠

الصدقة كموا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له حيث طبت ميتا ، قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودفنوا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتي بقشيل من الجنة يستضي بنوره إلى يوم يبعث الله من قبره .

وقال عبيد الله بن سمي في جنازة بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « أن الميت يقعد وهو يسمع حطير مشيعه فلا يكلمه شيء إلا فبرة يقول ويحك يا ابن آدم قد حطرتني وحطرت هيبلي وتنتي وهرني ودودي فمادا أعددت لي : » (١).

قال الجراء بن عارب خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره متكسا وأسه ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا . ثم قال ان المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بحث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفته فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد روحه قيل أي رب عبيدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » (٢) الآية . وأنه ليسمع خفق بعالمهم إذا ولوا مدرين حتى يقال يا هلم من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ . قال فيتتهرته انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى ملائكة الله أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى : « يَحْيَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ » (٢) الآية . ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنت فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فيشرك الله بخبر من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله عملت أن كنت لسريعا إلى طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا . قال ثم ينادى ملائكة الله أن أفرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويمنح له باب الجنة ، فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة خلاط شداد معهم ثياب من نار وعرايل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء ، وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نيد وقيل أي رب عبيدك فلان لم تقبله سماه ولا أرضه ، فيقول عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » الآية .

(٢) آية (٥٥) سورة طه

(١) القناد السادة ١٠ / ٣٩٧

(٢) آية (٢٧) سورة إبراهيم

وأنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مديريه حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري ، فساقط له لا ذريت ثم يأتيهات فيبسط الوجه منق للريح فيبسط الثياب فيقول أنا عملك الخبيث والله أن كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فحراك الله شرا فيقول وأنت مجرأك الله شرا ثم يقبض له أصم أصم أيكم مخرج مرربة من حديد لو اجتمع عليها الشفلاخ على أن يعلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم تعود يبه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربه يسممها من على الأرضين . قال ثم ينادى متاد أن أفرشوا له لوحين من نار واقتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويقتح له باب إلى النار .

وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ ﴾ (١) قال أي شيء تريد وفي أي شيء ترجع أتريد أن ترجع لتجمع المال وتفرس وتبني البيوت وتشقق الأنهار ، قال لا لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الحبار كلا انها كلمة هو قائلها أي لبقولتها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضي حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيما أنزلت ؟ فإن له معيشة ضسكا قالوا الله ورسوله أعلم ، قال في عذاب الكافر في قبره تسلط عليه تسمة وتسمون تينا هل تدرون ما التين تسمة وتسمون حية لكل حية سبعة رؤوس يخلشونه ويخلصونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ، ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن عدد هذه الحيات والعقارب وعدد الأخلاق المضمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات ، فإن لها أصولا معدودة ثم تشتعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصفات بأعيانها هي للهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات هالقة منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي إهداء الحية وأرياب القلوب والبصائر يشاهدون بور البصيرة هذه الهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عندنا لا يوقف عليه إلا بتور النبوة ، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف أي حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم .

الباب السادس والأربعون

في بيان علم اليقين وعين اليقين-

والصّوال يوم العرض

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ يعني لو تعلمون أمر القيامة باليقين لألهاكم من ذلك أي من التكاثر والتعاصر والمعلم ما يتعمكم من الخير وترككم ما لا يفيكم ، ويقال حقا لو تعلمون عليم اليقين كما يعلمه الرسل أن المال والحساب في الفخر لا يفيكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجميع . أقسم الرب أنكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعني لترون الجميع ، الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة التي لا شك فيها ، فإن قيل ما الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للأنبياء بنوهم ، وعين اليقين للملائكة لأنهم يعاينون الجنة والنار والقلم والعرش والكرسي فتكون لهم عين اليقين . إن شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للأحياء لأنهم يعرفون بأن الأموات في القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للأموات لأنهم عاينوا القبور ، إما روضة من رياض الجنة وأما حصرة من حفر النار . وإن شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها وإن شئت قلت عليم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين السرية ﴿ ثُمَّ لَنَسَآئُرُ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمِ ﴾ يعني لتستلن يوم القيامة من نعيم الدنيا من صحة الأبدان والاسماع والأبصار والمكاسب وملاذ المأكول والمشروب وغير ذلك هل أدبتم شكرها لمولاهما وحرقتهم بها أم كفرتم بها .

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ يعني عن الطاعة ﴿ حَتَّى رَوَّيْتُمُ الْمُقَابِرَ ﴾ يقول حتى يأتيكم الموت ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني لو قد دخلتم قبوركم ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يقول لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ قال لو قد وقسم على أعمالكم بين يدي ربكم ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فاح مسلم ومحدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ﴿ ثُمَّ لَنَسَآئُرُ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمِ ﴾ (١) يعني شمع الطوب ويارد اشراب وطلال المساكن وعتدل الخلق ولذة لوم . وعن علي - رضي الله عنه - قد النعيم العافية . وعن أبي قلابة عن النبي ﷺ في الآية قال : ناس من أمي يعتقدون السمن والعسل النقي فيأكلونه . وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه وإنما يأكل في انصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله إلى نبيه ﷺ قل لهم ليس تحتلون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم . وروى الترمذي

وغيره أنه لما زيت ﴿ أَنهَاتُكُمْ الْكَافِرُ ﴾ فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله أي نعيم نسئل عنه وأنت هذا الأسودان الماء والنمر وسيفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم سأل . قال أما أن ذلك سيكون . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أن أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصبح لك جسدك وتروك من الماء البارد » ^(١) وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال خرج النبي ﷺ لمذا هو بأبي بكر وعمر فقال : ما أخرجكما من بيوتكما الساحة قالوا الجوع يا رسول الله ، قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوموا فقاما معه ، فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا فقال النبي ﷺ أين فلان فقالت انطلق يستعذب لك الماء إذ جاء الأنصاري فطر إلى رسول الله ﷺ وصحاحيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيفا مني ، فانطلق فجاء بمذق فيه بسر وتمر فقال كدوا من هذا وأخذ المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ ليك والحبوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العلق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - : والذي نفسي بيده لتسألن عن حق النعيم يوم القيامة .

كتاب السجود والاربعون

في فضل ذكر الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ^(٢) قال ثابت البناني - رحمه الله - إنني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل فزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا انْقَضَتْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ وقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَ مِنْكُمْ فُلُكُمُ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الَّذِي يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَ مِنْكُمْ صَلَاتُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ ^(٤) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - أي بالليل والنهار وبيد البحر والسر والحصار والعس والغمر والمرص والصحة والسر والعلانية . قال تعالى في دم المفاقي : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقد عز وجل : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه . ولا حرج أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وقال رسول الله ﷺ ذكر الله في

لغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم . وقال ﷺ : ذكركم الله في الغافلين كالمقاتل بين المارين . وقال ﷺ : يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي . وقال ﷺ : ما عمل ابن آدم من عمل أحسن له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل ، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بيمينك حتى يقطع ثم تضرب به حتى يقطع . وقال ﷺ : من أحب إن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل . ومثل رسول الله ﷺ أي الأهمال أفضل فقال : أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى عز وجل . وقال ﷺ : أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح ومسي وليس عليك خطيئة . وقال ﷺ : لذكر الله عز وجل بالمساء والعشى أفضل من حطم السير في سبيل الله ومن إعطاء المال سحبا وقال ﷺ : يقول الله تبارك وتعالى : « إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملا غير من مثله . وإذا تقرب مني شيئا تقربت منه فراهها وإذا تقرب مني فزعا تقربت منه بها وإذا مضى إلى هرولت إليه » يعني بالهرولة سرعة الإجابة . وقال ﷺ : سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلتهم رجل ذكر الله غالبا ففاجت عينا من خشية الله ^(١) ، وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : « لا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم . قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما . وقال ﷺ قال الله عز وجل : « من شغله ذكرى من مسغتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » ^(٢) والعفضل بفتح الهمزة أن الله عز وجل قال : « يا عبدي أذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما » . وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول : « أهما عبد أطلعت على قلبه لرأيت العال على التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جلبيه ومحاذاه وأتبعه » .

وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند حرم الله عز وجل .

ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل ، وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - ليس يتحضر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . وقال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكروهم الله تعالى فيمن عنده » ^(٣) . وقال ﷺ : ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يرددون بدئت إلا وجهه إلا ناداهم متاد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بذلت لكم سيئاتكم حسنت . وقال ﷺ : ما قد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على

(٢) (حسن) الترمذي (٢٩٢٦) .

(١) (صحيح) البخاري (٦٦٠) .

(٣) (صحيح) أحمد (٤٩ / ٢) ، (صحيح) الجامع (٥٦٠٨) .

(١) الطبري ٣٠ / ١٨٦ ، والدر المنثور ٦ / ٣٨٨ .

(٢) (آية) (٦٥٢) سورة البقرة .

(٣) (آية) (٩٠٣) سورة السجدة .

إني ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة . وقال داود - عليه السلام - إلهي إذا رأيته أجوز مجالس الذاكرين إلى مجالس العافلين فأكسر وجلي دونهم فإنهم نعمة تنعم بها علي ، وقال ﷺ للمجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف مجلس من مجالس السوء .

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تترامى النجوم . وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله - إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والديب فيقول الشيطان للعنبا ألا ترى ما يصنعون فتقول الدنيا دهمهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأصابعهم إليك .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه دخل السوق وقال أراكم هنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فلذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأيتم قوما يفكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ .

وعن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال : إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا من كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلمروا إلى بيتكم فيجيتون فيحفون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادتي يصنعونه ، فيقولون تركناها بمحمد نك وبمحمد نك ، فيقول تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني ؟ فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتعجيبا فيقول لهم من أي شيء يتعوفون ، فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها ، فيقولون لا ، فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد تقورا ، فيقول الله عز وجل وأي شيء يطلبون ، فيقولون الجنة ، فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا ، فيقول فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكفروا أشد عليها حرصا ، فيقول جل جلاله إني أشهدكم أني قد غفرت لهم ، فيقولون كان فيهم ملان ولم يردهم إنما جاء الحاجة ، فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم ^(١) . وقال ﷺ : أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وقال ﷺ : ما مناه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة ، كانت له حرزا من الشيطان يومه وعدت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . وقال ﷺ : من عبد توحدا فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً - عبده ورسوله - إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

(١) (صحيح) أحمد ١ / ٤٤ ، وصحيح الجامع (٢١٣٧)

الباب الثامن والأربعون

في فضائل الصلوات

قال الله تعالى . ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوفًا ﴾ ^(١) وقال ﷺ خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عليه وإن شاء - دخله . وقال ﷺ مثل الصلوات الخمس كمثل بهر عذب غير يباب أحذكم بقتلهم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من دونه ؟ قالوا لا شيء ، قال ﷺ فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدور ، وقال ﷺ : إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر . كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَ يَذْهَبِ السَّيِّئَاتِ ﴾ ومعنى يذهبها يكفرها حتى كأنها لم تكن . وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبي مسعود إن رجلا أصاب من امرأة قيلة فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك كأنه يسأل عن كمارتها فأمرت عليه ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْيُسْوَ ﴾ ^(٢) الآية . . فقال الرجل يا رسول الله إلى هنا قال هي لمن حمل بها من أمتي . وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال أقمم الوضوء وصليت معنا أمما ؟ قال نعم قال فإنك من خطيئتك كيوم وللتك أمك فلا تعد . وأنزل الله حيثل على ورسول الله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ الآية وقال ﷺ : « بينا وبين المأفقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما » . وقال ﷺ : « من لقي الله وهو مضيق للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته » ^(٣) وقال ﷺ : الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين . وسئل ﷺ : أي الأعمال أفضل ، فقال الصلاة لموافقتها . وقال ﷺ : من حافظ على الخمس بإكمال طهورها وموافقتها كانت له نورا وبرهان يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان . وقال ﷺ : « مفتاح الجنة الصلاة » ^(٤) . وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعب به ملائكته فمنهم راعع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد . وقال النبي ﷺ : من ترك صلاة متعمدا فقد كفر . أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بأنخلال عروته وسقوط عمده كما يقال لمن قارب المدينة أنه يلعبه ودخلها . وقال ﷺ : « من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من دمة محمد - عليه السلام - » .

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج حامدا إلى الصلاة فإنه

(١) به (٣) ، مس (١١٤) ، سورة هود
(٢) (صحيح) الترمذي (٤) ، وصحيح الجامع (٢٦٦٥)

(٢) به (١١٤) ، سورة هود

(٤) (صحيح) الترمذي (٤) ، وصحيح الجامع (٢٦٦٥)

في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وأنه يكتب له بإحدى خطوبته حسنة ونعمى عنه بالآخرى سبباً ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجراً أعمدكم داراً قالوا لم يأب هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وقال رسول الله ﷺ : ما أقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفى . وقال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة

وروى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يوزنني مراقتك في الجنة فقال ﷺ أصى بكثرة السجود . وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ واسجد واقترب ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ سجدتم لله رجوعهم من أثر السجود ﴾ (٢) فقول هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود ، قيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح ، وقيل هي العزرائي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الرخوة . وقال ﷺ إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بيكي ولقوله يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعضيت على النار .

ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجدة .

ويروى أن حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوسف بن أمياط يقول يا معشر الشباب بادعوا بالصحة قبل الرض لما بقي أحد أحسنه إلا وجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك . وقال سعيد ابن جبير ما أسى على شيء من الدنيا ما أسى على السجود . وقال عتبة بن مسلم ما من غصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من وجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يخر ساجداً . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أقرب ما يكون للعبد إلى الله عز وجل إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك

الباب التاسع والأربعون

في بيان عقوبة تارك الصلاة

قال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم : ﴿ ما سلكتكم في سفر ﴾ (١) فأنا لم نكن من المنعطين (٢) ولم نكن نطعم المسكين (٣) وكنا نجوز مع الفالسين (٤) .

(١) آية (٢٩) سورة الفتح

(١) آية (١٩) سورة العلق
(٢) آية (١٧) سورة المدثر

وأخرج أحمد : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (١) ومسلم « بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة » وأبو داود والنسائي : « ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة » والترمذي « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » وابن ماجه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » وصح كما رواه الشيخ وغيره أنه ﷺ قال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » والطبراني بإسناد حسن « من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً » وفي رواية : « بين العبد والكفر أو الشرك » .

ترك الصلاة مفاداً

عن عبيد بن حماد - رضي الله عنه - أوصاني جليلي ﷺ بسبع خلال قال لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو حرمت أو صدتم ، ولا تتركوا الصلاة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة ، ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله ، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها . . الحديث والترمذي كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وصح خبر « بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » . والبخاري : « لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا رغبة له » (٢) والطبراني لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد . وابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال « أوصاني جليلي ﷺ أن لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وإن حرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها باب كل شر » .

والبخاري وغيره بسند حسن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لما قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الحديث قبل بناؤك وبدع الصلاة أب ما قلت لا إن رسول الله ﷺ قال « من ترك الصلاة نفى الله وهو عليه غضبان » (٣) .

والطبراني بسند لا بأس به في المتابعات « أتى رسول الله ﷺ وجل فقال يا رسول الله هل مني عملاً إذا أنا عطفه دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيئاً وإن طعت وحرقت ، وأطع وأطع وإن أخرجك من مالك ومن كل شيء هو لك ، ولا تترك الصلاة متعمداً فمن ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله . . الحديث .

وهي رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت ، ولا تعصى والديك وإن أمراك إن تخرج من أمرك وما لك ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فإن من

(٢) (صحيح) مجمع الروايات / ١ / ٢٩٢

(١) (صحيح) أحمد / ٣ / ٣٨٩ .
(٢) (صحيح) مجمع الروايات / ١ / ٢٩٥

ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشوبن خمرا فإنه أى شربها رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سحق الله ، وإياك والعرار من الزحف وإن هلك لباس وإن أصاب الناس موت فأتيت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأحفظهم في الله .

وابن حبان في صحيحه : يكرهوا بالصلاة في يوم الميم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر .

والطبراني عن أئمة مولاة رسول الله ﷺ قال : كنت أصيب على رأس رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ، ولا تعصى والدنيا ، وأن أمرك إن تحلى من أهلك وحنيك فتخله ، ولا تشربن خمرا فإنها مفتاح كل شر ولا تترك صلاة متعمدا ، فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله . . . الحديث .

وأبو نعيم : من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار من يدخلها . والطبراني والبيهقي : من ترك الصلاة لما أمر الله به وأمره وماله ، والحاكم بن علي أنه ﷺ قال : والله يا معشر قريش لتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة أو لا يمشن عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدين . . . الحديث .

والبزار : لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له .

وأحمد مرسل : أربع فرسخين الله في الإسلام فمن أتى بثلاث لم يثنى عنه شيئا حتى يأتي بهم جميعا ، الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت .

والأصبهاني : من ترك صلاة متعمدا حبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يرجع الله عز وجل قوته . والطبراني : من ترك الصلاة فقد كفر جهارا . . . وأحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع : لا تترك الصلاة متعمدا فإنه من ترك الصلاة متعمدا فإنه برئت منه ذمة الله ورسوله . وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه موقوف على علي - رضي الله عنه - قال : من لم يصل ، فهو كافر . ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوف على ابن عباس : من ترك الصلاة فقد كفر . وابن نصر موقوف على ابن مسعود قال : من ترك الصلاة فلا دين له . وابن عبد البر موقوف على جابر : من لم يصل فهو كافر . وابن عبد البر وغيره موقوف على أبي الدرداء قال : لا إيمان لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له .

وقال ابن أبي شيبة قال النبي ﷺ : من ترك الصلاة فقد كفر . وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول سمعت عن النبي ﷺ : أن تارك الصلاة كافر . وكذلك كان رأى أهل العلم من لون النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدا من غير علم حتى يلحق وقتها كافر . وقد أبوب ترك الصلاة

كفر لا يختلف فيه . وقال تعالى : فحلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٥) إلا من تاب (٥٦) .

فأين مسيود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلفة ولكن أضاعوها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين : هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتى العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أو عهد الله بهي وهو واد في جهنم بعيد قعره ، شديد عقابه . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَوْا عَنْ صَلَاتِكُمْ أَنْتُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٢)

قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعته أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين ، ولهذا قال ﷺ : أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد شاب عمر . وقال تعالى : ﴿ فَرِيقٌ لِّلْمُعْسِكِينَ ﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴿ (٢٣) . قال ﷺ : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه : أنه ﷺ ذكر الصلاة يوما لقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف .

قال بعض العلماء وإنما حشر مع هؤلاء لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه ، أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه ، أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه ، أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه .

والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال : سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي : يا أبا عبد الله رأيت قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أين لا يسهر أب لا يحدث معه ، قال ليس ذلك إنما هو إضاعة الوقت . والمولى شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكين من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله ويندم على ما فرط .

وابن حبان في صحيحه « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله » . والشيوخان والأربعة « من بصره صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »^(١) ، راد بن خزيمة في صحيحه قال مالك نميره ذهب الوقت ، والنسائي « من هذه الصلاة يعني فكأنما وتر أهله وماله يعني العصر » وسلم والساني « أن هذه الصلاة يعني العصر عرّض عني من كان بينكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد « أي للنجم . وأحمد والبخاري والنسائي « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » ، وأحمد بإسناد صحيح وابن أبي شيبة « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تقوته فقد حبط عمله » وابن أبي شيبة مرسل « من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير صلوة فقد حبط عمله » ، وعبد الرزاق « لأن يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يقوته وقت صلاة العصر »^(٢) . والطبراني وأحمد « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله » ، والثاقبي والبيهقي « من فاتته الصلاة فكأنما أوتر أهله وماله » .

والبخاري عن سعدة بن جندب - رضى الله عنه - قال « كان رسول الله ﷺ عما يكثر أن يقول لأصحابه من رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة أنه أتاني الليلة أتيا كأنهما تبعنا بي وأنهما قالوا لي إنطلق وإني أتطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه فيشد منه الحجر ، أي فينخرج فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعله في المرة الأولى قالت قلت لهما سيحان الله ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فأتينا على رجل مستلق على قفاه وإذا آخر عليه قائم بكلوب من حديد إذا هو يأتى أحد حتى وجهه فيشرشر أي يشق شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وحينئذ إلى قفاه . قال وربما قال أبو رجاء فيشق ، قال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح لك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، قال قلت سيحان الله ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على مثل الثنور ، قال فأحسب أنه كان يقول فإذا فيه لفظ وأصوات قال لعلنا عليه فإذا فيه رجال وساء عراة ، وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك الدبيب ضوضوا أي يفتح المجمعين وسكون الواوين صياح مع انضمام وفرح . قال قلت ما هؤلاء قالوا لي انطلق انطلق .

(١) صحيح البخاري (٥٢٢) ، وسلم (٦٢٦)
(٢) الطبراني ١٩ / ٢٣٠ ، ومجمع الروايات ١ / ٣٠٨

قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا هو في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقم حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فمر أي بفاه لمعجمة مفتوحين فتح فاه فألقمه حجرا ، قلت لهما ما هذه قالوا لي انطلق انطلق

فانطلقنا فأتينا على رجل كبره المرأة كأكبره ما أنت راه ورجلا مرثيا وإذا عنده نار يحثها (أي بمهلة مضمومة لمعجمة) يوقدها ويسمى حولها ، قال قلت ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا على روضة معتمة أي طوية النبات من أحتم إذا طلق فيها من كل نور الريح وإذا بين ظهراني الروضة رجل طوال لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولسان رأبهم ، قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على دوحه عظيمة لم أر دوحه قط أعظم ولا أحسن منها قالوا لي أرق فيها . فارتقتنا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها خلفنا رجال ، شطر من خلفهم كآحسن ما أنت راه وشطر منهم كأقبح ما أنت راه قالوا لهم ادعوا فقموا في ذلك النهر ، قال وإذا النهر معترض يجرى كأن مائه للحصى أي للخالص في البياض ، فلهبوا فوقوا ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالوا لي هذه جنة عدن وهذا منزلتك ، فسمعا أي لوتقع بصري صعدا يسمعتين إلى فوق فإذا قصر مثل الرابية أي السحابة البيضاء قالوا لي هذا منزلتك ، قال قلت لهما بارك الله فيكم فندرس فأدخله قالوا أما الآن فلا وأنت داخله ، قال قلت لهما فإني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت ، قال أنا متحرك .

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرطسه ويديم عن الصلاة المكتوبة .

وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وحينئذ إلى قفاه فإنه الرجل يخذو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الأفاق .

وأما الرجل والساء العراة الذين هم في مثل به الثور فإنهم الردة والروس .

وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه أكل الربا .

وأما الرجل الكبره المرأة الذي عند النار يحثها ويسمى حولها فوه مالت خازن النار

وأما الرجل الطوال الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، أما ثولداي الذين حولته فكل مولود مات على الفطرة

فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين .

وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم قوم غلطوا عملا صالحا وأخر سيئا فجاور الله عنهم .

وفي حديث البرار قال : لم أتى النبي ﷺ على قوم ترغيب رؤوسهم بالصخر كلما رخصت عادت كما كانت ولا يترهم من ذلك شيء . قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تناقلت رؤوسهم من الصلاة .

وأخرج الخطيب وابن الجار على ، الإسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بعدها ووقتها وستبها فهو مؤمن . وابن ماجه قال : قال الله تعالى « افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي » .

وأحمد والحاكم من علم أن الصلاة عليه حق واجب وأجلها دخل الجنة » ، والترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون له ثم عمله على ذلك » والنسائي « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس في السماء » .

وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن كان أتمها كتبت له ثمانية وإن لم يكن أتمها قال ملائكته انظروا هل تحمدون لعبدى من تطوع فيكملون بها فريضته ، ثم التزكاة ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » (١) . والطبراني « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت فقد خاب وخسر » .

وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم : « أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل ملائكتك وهو أعم انظروا في صلاة عبدى أتمها أم نقصها ، فإن كانت تامة كتبت ثمانية وإن كانت انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم يأخذ الأعمال على ذلك » .

واعطى السى والطبراني . والضياء في اختاره « أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقل يا محمد إن الله عز وجل يقول إني افترضت على أمتك خمس صلوات فمن أوفى بهن على

وحسبهن وموافقتهن وركوعهن وسجودهن كأن له بهن عهد أن أدخله الجنة ، ومن لقيني قد انتقص من ذلك شيئا فليس له عندي عهد إن شئت عذبت وإن شئت رحمت » .

والبيهقي « الصلاة ميزان لمن أوفى استوفى » (١) . والذهلي « الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره » ، والتحبيب في الله والتوحد في العلم يقطع دابر « فإذا فعلتم ذلك كبرهات منكم كمطلع الشمس من مغربها » (٢) . والترمذي وابن حبان والحاكم « اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وآدوا زكاة أموالكم وأطيعوا دوى أمركم تدخلوا الجنة بكم » .

وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله » . والبيهقي عن عمر - رضى الله عنه - قال « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله فى الإسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين » . ولذلك لما طعن عمر رضى الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما أنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى - رضى الله عنه - وجرحه يجرى دمه .

وروى الذهبي أنه ﷺ قال : « إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستخفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتني ، وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى السماء تلف كما تلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها » .

وأخرج أبو داود أنه ﷺ قال « ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة ديارا أى بعد أن تغرقه » .

قال بعضهم وورد فى الحديث « أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال ، يرفع عنه شقيق العيش ، وعذاب القبر ، ويمطيه الله كتابه يمينه ، ويمر على الصراط كالبرق » ، ويدخل الجنة بغير حساب . ومن تهان من الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس فى الدنيا ، وثلاث عند الموت ، وثلاث فى قبره ، وثلاث عند خروجه من القبر .

وأما اللواتى فى الدنيا فالأولى تنزع البركة من عمره ، والثانية تحو سيمما لصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل يسمه لا يجره الله عليه ، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين .

(١) (صحيح) كبر العمال (١٨٨٩٢) ، وضعيف الخاتم (٢٥٧٣) .

(٢) (صحيح) كبر العمال (١٨٨٩٣) ، وضعيف الخاتم (٢٥٦٠) .

وأما التي تصيبه عند الموت فله يومان ، والثانية يموت جماعاً ، والثالثة يموت عطشاناً ولو سبق حذر الدنيا ما روى من عطشه .

وأما التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر نار فيقلب على أجبر ليلاً ونهاراً ، والثالثة يسقط عليه في قبره ثعبان سمه الشجاع الأقرع عيبه من نار وأظفاره من حديد طرل كل طفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول أن الشجاع لأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني رب أن أضربك على تضبيع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضبيع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضبيع العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضبيع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على تضبيع صلاة العشاء إلى الفجر ، فكلما ضرب به ضربة يفوق في الأرض سبعين فراساً ، فلا يزال في القبر معذب إلى يوم القيامة .

وأما التي تصيبه عند عروجه من القبر في موقف القيامة فتشقة الحجاب ، وسخط الرب ، ودخول النار .

وفي رواية فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاث أسطر مكتوبات ، السطر الأول يا مضيق حق الله ، السطر الثاني يا مخصوماً بفضب الله ، السطر الثالث كما ضيقت في الدنيا حق الله فأيس اليوم أنت من رحمة الله .

وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لأن الفصل أربع عشرة فقط . فلعل الراوى نسى الخامس عشر .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به إلى النار ، فيقول يارب عذابي ، فيقول تعالى تأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلمك بي كاذباً .

قال بعضهم أيضاً وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه : « قولوا اللهم لا تدع بيننا شقياً ولا محروماً » ثم قال ﷺ : أتدرون من الشقى المحروم قالوا بلى هو يا رسول الله قال تارك صلاة .

قال أيضاً يروى أنه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تارك الصلاة وأن في جهنم وأدا يقال له سم فيه حيات كل حية يشحن رقة للبحير طولها مسيرة شهر تلمع تارك الصلاة فيخلى سمها في حمة سبعين سنة ثم ينهرى حمة

قال وروى أيضاً أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى - صلى الله عليه وسلم - ونينا وعليه

وعلى سائر أنبيس . فقالت يا ربى الله أحبت دنيا عظيماً وقد ثبت إلى الله تعالى فادع الله أن يعصر لي دسب ويشوب على ، فقال لها موسى وم دسك ، قالت يا ربى الله رنت وولدت ولد فقتلته ، فقال لها موسى - صلى الله عليه وسلم - عليه أفضل الصلاة والسلام - أخرجني بما جرة لا تزل نار من لسماء فتحرقت شؤمك فخرجت من عند مكسرة القلب فزل جبريل - عليه السلام - وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت الثانية يا موسى أما وجدت شراً منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عاملاً متعمداً .

وقال أيضاً روى عن بعض السلف أنه دفن أخاه له مات فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع إلى قبرها فبشبهه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها ناراً فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكياً حزناً فقال يا أمه أخوك يني عن أخى وما كنت تعمل قلت وما سؤالت عنها قال يا أمه رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً قال فبكت وقالت يا ولدى كانت أحنت تنهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يعلى فنسال الله تعالى أن يعسا على للمحافظة عليها بكلماتها إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

باب الخمس

في بيان عرصات جهنم وعذابها

قال الله تعالى ﴿ لَهَا سِتْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْصُومٌ ﴾ (١) والمراد بالجزة هنا الحزب والطائفة والعريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق . قال ابن جرير الباري سبع دركات وهي جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم مقعر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، فأهلها للموحدين ، والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى ، والرابعة للصابئين ، والخامسة للمجوس ، والسادسة للمشركين ، والسابعة للمتأففين ، فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها . ثم كذلك .

قيل والمعنى أن الله تعالى يجرى أتباع إبليس سبعه أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فذلك اختلقت مراتبهم في النار ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والعرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات فكانت مواردها الأبواب السبعة

رضى الله عنه - قال أطباق جهنم مبيعة بعضها فوق بعض ليملا الأول ثم الثاني كلها

الخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « جهنم بها من سل السيف جيلي أمي - وروى الطبراني في الأوسط أن جبريل جاء إلى من غير حية الذي كان يأتيه فيه » لقيام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي من فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بفتح النار ، فقال رسول الله ﷺ يا ابن الدار أو أنعت جهنم ، فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام فليس سوداء مظلمة لا يهدأ شررها ولا يطأ لها والذي يهلك نبياً لو أن قدر من جهنم مات من في الأرض كلهم جميعاً ، والذي يهلك لو أن خازناً من جهنم مر إلى أهل الدنيا مات من في الأرض كلهم جميعاً ، من قبض وجهه وثقل ربحه ، والذي يهلك لو أن حلقية من خلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على الدنيا لارتفعت وما تفاوتت حتى تنتهى إلى الأرض السفلى .

قال رسول الله ﷺ حسي يا جبريل لا تصدع قلبي فأمرت ، قال فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به ، فقال ومالي لا أرى له على ما أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وما أدرى لعلي أبني بي ، فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلي أبني بما ابتلي به هاروت وماروت ، قال يا جبريل ، فقال رسول الله ﷺ فمروا يا جبريل ويا محمد إن الله أنتم صيهاً فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يصيحون أصيحوا ووراءكم جهنم ، فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبنيتكم كثيراً وما أنتم بشار ولا مبشرون إلى الصعدات فجاءهم إلى الله عز وجل . فنودي يا محمد لا تعبتك مبشراً ولم أبعث عميراً - فقال ﷺ صدقوا وقاربوا .

رواه أحمد أنه ﷺ قال لجبريل : « مالي لا أرى ميكايل ضاحكاً قط قال ما ضحك بهت النار » (١) . وروى مسلم : أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة مام مع كل زمان سبعون ألف ملك يجرونها .

الباب الواحد والخمسون

فمن بيان عذاب جهنم أيضاً

روى أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وما معناه لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرمِل جبريل إلى الجنة ، فقال انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحُفَّت بالكاهة فقال - إلى حشيت ألا يدخلها أحد فقال ارجع إلى النار فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضها فرجع إليه . فقال وعزتك لا يسمع أحد قبيحها ، فأمر بها فحُفَّت بالشهوات ، فقال ارجع إليها فقال وعزتك لقد حشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

والبيهقي يستدل بأش به عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ إنها ترمي بشرير كالقصر ﴾ (١) أب أني لست أقول كالشجر ولكن كالخسوف والملائكة وأحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه : « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قيل أن يبلغ قعره » (٢) والترمذي « ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفاً قيل أن يبلغ قعره » . وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تعوذوا منه جهنم كل يوم أربعين مرة ، قيل يا رسول الله من يدخله قال أعد للفرار المراتين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء ، الجورة . والطبراني أن في جهنم لودايا تشبه جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعين مرة أعد للمرائين من أمة محمد ﷺ . وابن أبي الدنيا : إن في النار سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف حجر في كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار . والخاري في تاريخه يستدل فيه نكارة أن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب ، في كل شعب سبعون ألف دار ، في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون ألف ثعبان في شقوق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر أو الماتق حتى يواقع ذلك كله . والترمذي يستدل فيه انقطاع أن الصحرة العظيمة لتلقى من شعير جهنم فتتهوى فيها سبعين خريفاً وما تفضي إلى قرارها .

وكان عمر - رضي الله عنه - يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وأن مقامها حديد . والبراء وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي لو أن حجراً قذف به في جهنم لتهوى بها سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها . ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال

(١) آية (٢٢) سورة المراتل - (٢) ضعف - حمد ٧٥ / ٣ ، والترمذي (٣١٦٤) ، وضعيف لجامع (٦١٤٨)

فسمعنا وجبه فقال النبي ﷺ أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذه
 من جهنم منذ مبينين غريباً فالأن حين انتهى إلى قعرها . والطيراني عن أبي
 صبي الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ صوتاً هاله فأثابه جبريل . عليه السلام .
 ﷺ : ما هذا الصوت يا جبريل ، فقال هذه صخرة هوت من شعير جهنم من
 حين يلبث قعرها فأحببه الله تعالى أن يسمعك صوتها . فما روى رسول الله
 ﷺ فيه حتى قبضه الله عز وجل . وأحمد والترمذي وحسنه لو أن رصاصة مثل هذه
 من الجنة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض
 منها أنزلت من رأس السلسلة لسارت أربعين غريباً الليل والنهار قبل أن تبلغ
 أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه لو أن مقعاً من حديد جهنم وضع في الأرض
 لكان ما أقلوه من الأرض ، والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد من
 قعر رماذا ، المقع المطرق ونيل السوط) وابن أبي الدنيا أن الحجر الواحد منها
 لو أن من جبل الدنيا لثبت منه وأن مع كل انسان منهم حجراً وشيطاناً . والحاكم وصححه
 أن السبع بين كل أرض ، والتي تليها مسيرة خمسمائة عام فالعالمها على ظهر حوت
 قد أنزل الله في السماء والحوث على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح فلما أراد
 الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلكهم قال يارب أرسل عليهم من
 الريح ، فخرشور ، قال له الجبار تبورك وتعالى إذ تكلم الأرض ومن عليها ولكن
 أرسل عليهم قبلهم ريحاً فهي التي قال الله في كتابه العزيز ﴿ مَا قَلَّ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ إِلَّا حَقُّهُ ﴾
 كالمزجج ﷻ والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، قالوا يا رسول الله النار
 كبريت الله : نعم والذي نفس بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي
 لما عذب الله الخاسرة فيها حيات جهنم أن أمواتها كالأودية تلغ الكافر اللعة فلا يلقى منه لحم
 عذب الله الخاسرة فيه عقارب جهنم أن أذن عقرب منها كالبحال للوكفة تضرب الكافر
 من حيث لا يحتسب حر جهنم ، والسابعة فيها إيليس مصعد بالخيل يد أسامه ويد خلفه فإذا أراد
 أن يمشي من عذابه أطلقه .

والضري وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه أن في النار حيات كأمثال
 نسلج أحدها من اللعة فيجد حرها سبعين غريباً ، وأن في النار عقارب كأمثال
 نسلج أحدها من اللعة فيجد حرها أربعين سنة . والترمذي وابن حبان في
 صحيحه وصححه عنه ﷺ في قوله تبارك وتعالى : ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ قال كعكر الزيت فإذا
 به سعة مروء وجهه فيه والترمذي وقال حسن غريب صحيح أن الحميم ليحب على

رأس الكافر فيعد الحميم حتى يحسن إلى جوفه فيست ما في جوفه حتى يحرق من قدميه وهو
 الصهر ثم يبعد كما كانت الحميم الماء اأخار الذي يحرق . وقال الضحك الحميم يعلى منذ خلق الله
 تعالى الأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم . وقيل هو ما يجمع من صواع أعينهم في
 حياض النار فيسقونه ، وقيل غير ذلك وهو المذكور في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴾
 فقطع أمعاءهم ﷻ (١) وأحمد والترمذي وابن حبان وصححه وقال صحيح على شرط مسلم عنه
 ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ يجرؤنه ولا يكاد يسبغه ﷻ (٢) قال بقرب إلى فيه
 فيكرهه عوداً دماً منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه إذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره
 وقال الله عز وجل : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ وقال جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا هَذَا
 بَعْدَ كَالْمُهْلِ يَشْوَى الْوُجُوهُ نَسْفُ الْاَشْرَابِ ﴾ وأحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من شياق يهرق
 في الدنيا لآتت أهل الدنيا والغسق وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَبِيمٌ وَغَسَاقٌ ﴾
 وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا خَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴾ واختلف فيه لعند ابن عباس - رضي الله عنهما - هو ما يسيل
 من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صليلهم ، وقال كعب هو عين في جهنم يسيل إليها حمة
 كل ذات حمة من حبة أو عقرب أو غير ذلك فيستقع ليؤتى بالأدنى فيخمس فيها خمسة واحدة
 فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقيه وكعبه ليحرق لحمه كما
 يحرق المرء توبه . والترمذي وقال حسن صحيح أنه ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ انْفُخُوا لَهُ حَقُّ قَلْبِهِ وَلَا
 تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فقال ﷺ لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على
 أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ، وفي رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره ، وصح
 عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ (٣) شوك يأخذ بالخلق
 لا يدخل ولا يخرج ، والشيخان ما بين منكى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع ، والمكب
 مجمع رأس الكتف والمضد ، وأحمد ضرر الكافر مثل أحد ، وفخذه مثل الياء أي وهو جبل
 ومقعد من النار كما بين قديم ومكة أي نحو ثلاثة أيام وكشافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بلراع
 الجبار أي ملك باليمن له ذراع معروف للفقار . كذا قال ابن حبان وغيره . وقيل ملك بالمعجم .
 وروى مسلم ضرر أن قال باب الكافر مثل أحد وغلف جلده مسيرة ثلاث . والترمذي ولفظه
 قال رسول الله ﷺ : « ضرر الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعد من النار
 مسيرة ثلاث من الريلة أي كما بين المنيبة والريلة » (٤) . وأحمد بسند جيد : ضرر الكافر يوم
 القيامة مثل أحد وعرش جلده سبعون ذراعاً وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعد من
 النار ما بين وبين الريلة . وفي رواية ومقعد من النار مسيرة ثلاث مثل الريلة . وأحمد

(١) آية (١٦-١٧) سورة إبراهيم
 (٢) (حسن) الترمذي (٢٥٧٨)

(١) سورة محمد
 (٣) آية (١٣) سورة الرعد

عن أبي بصير عن أبي بصير عن الحسن كما قاله الحافظ المنذرى . والترمذى عن الفضيل بن يزيد أن
 أحد أصحاب لسانه الفرج والعرضين يتوطأ الناس ، والفضيل بن يزيد عن أبي العجلان أن
 أحد أصحابه فرسخين يوم القيامة يتوطأ الناس . أخرجه البيهقى وغيره وهو الصواب . قال
 الشيخ رحمه الله : ! اعظم أهل النار فى النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبع مائة
 فرسخ . وإن عظم حنكه سبعون فراسخا وأن غبرسه مثل أحد (١) . وأحمد بسند صحيح وصححه .
 عن محمد بن عيسى بن عباس أتتني ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدرى إن بين شحمة
 أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجرى فيه أودية القبح والدم قلت أنه لم قال لا بل
 نوبة

الباب الثاني والخمسون

فصل بيان فضل الخوف من الذنب

اعلم أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية اتقائه وسطوته وحلوه عقابه
 وخضوعه وطعته ﴿ فليخفوا الذين يخافون أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٢)

جاء الله ﷻ دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تمهلك قال أرجو الله يا رسول الله
 وأخاف فتوبى ، فقال رسول الله ﷻ لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الوطن إلا أعطاه الله ما
 يرجو وأمه ما يخاف . وعن وهب بن الورد قال كان عيسى - صلى الله عليه وآله وسلم - على نبينا وهلى سائر
 الأنبياء ونرسلين - يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المصيبة ويبدلان العبد
 من لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها . وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنهم
 أحسنهم عداً لم يخلصوا من عذاب الله ﷻ أن لا ينجوا لعظم الذنب فى نفسه . وقال رسول الله ﷻ هل
 تسمعون . أسمع أظمت السماء وحق لها أن تظط والذى نفس بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا
 ومث محدته تعالى أو قائم أو راجع ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً .
 خرجوا وصعدتم إلى الصعدات أى الجبال تجارون إلى الله تعالى خوفاً من عظيم سطوته وشدة
 اتقائه . ومرواية لا تدرى تتجوز أو لا تتجوز . وقال بكر بن عبد الله المزنى من أتى الخطيئة
 فمصرح دخل النار وهو يكره . وفى الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب
 ما من من يصبر . وفى الصحيحين قام رسول الله ﷻ حين أنزل عليه ﴿ وأظفر عذبتك الأقرنين ﴾ (٣)
 من مصر فريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يابى عبد مناف لا أغنى
 من الله شيئاً ، يا عباس هم رسول الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد

سلبنى من مالى ما شئت لا أغنى عنكم من الله شيئاً . وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت يا
 رسول الله والنذى يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم واجعون ، يا رسول الله هو الذى
 يزننى ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله . قال لا يا بنت أبى بكر يا بنت الصديق ولكنه
 الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه . رواه أحمد . وقيل للحسن البصرى
 يا أبا سعيد كيف نصبح بمجالسة قوم يؤسونا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير ، فقال له ربك والله
 تصحب قوم ما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك
 المخاوف . ولما طعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وقرئت وفاته قال لا بهت وبذلك ضيع غنى
 على الأرض لا أم لك ، وويلى وأى ويلي إن لم ير حمنى . وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا
 أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الأمصار وفعل بك ولعل ، قال وددت أن أجزو
 لا على ولا لى . وفى رواية لا أجرا ولا وزراً . وكان زين العابدين بن على بن الحسين - رضى
 الله عنهم - إذا ترعاً وغرغ من وضوئه أغلته رعدة فقليل له فى ذلك ، فقال ويحكمم أتدرون
 إلى من أقوم ولئن أريد أن أتناجى .

وقال أحمد بن حنبل الخوف يمتنع من أكل الطعام والشراب لما أشتبه . وفى الصحيحين
 أنه ﷻ ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، رجلاً ذكر الله أى
 وعنده وعقابه خاليه ففاضت عيناه أى خوفاً مما جناه واقتربه من المخالفات والذنوب . وفى
 حديث ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال حينان لا تمسهما النار حين بكت فى جوف الليل من خشية
 الله وعين بأنت تحرم فى سبيل الله تعالى وفى حديث أبي هريرة عن النبى ﷺ أنه قال كل حين
 باكية يوم القيامة إلا حيناً غضت عن محارم الله وحيناً سهرت فى سبيل الله وحيناً يخرج منها مثل
 رأس الذباب من خشية الله تعالى . وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح عن أبي هريرة - رضى
 الله عنه - ، وقال : قال رسول الله ﷻ لا يلج أى لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى
 حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع قبار فى سبيل الله ودخان جهنم . وقال عبد الله بن
 العاصى - رضى الله عنهما - لأن أضع دمة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .
 وقال عون بن عبد الله بلغنى أنه لا تصيب دموع الإنسان من خشية الله مكاناً من جسده إلا حرم
 الله ذلك المكان على النار وكان تصد رسول الله ﷻ أريز كاريز للرجل من البكاء أى فورا
 وغداً كعبد القدر على النار . وقال الكندى البكاء من خشية الله تطفى الدمة منه أمثال البخار
 من النار . وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين
 ومع ذلك الجنة تظليين أن تدخلها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن
 عاملون .

(٢) آية (٦٣) سورة النور

وعن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصنى ، قال

وَبِسَاسِطِهِ وَتُرُومِ الْإِمَامِ وَالتَّعَفُّفِ فِي الْفُرْقَانِ وَحُبِّ الْأَعْرَةِ وَالْجُرْعِ مِنَ الْحِسَابِ وَقَصْرِ الْأَمَلِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَأَنْهَكَ أَنْ تَشْتُمَ مِلْحًا أَوْ تَصْدُقَ كَذِبًا أَوْ تَكَلِّبَ صِدْقًا أَوْ تَعْصِيَ إِمَامًا عَدَلًا أَوْ أَنْ تَقْدِفَ فِي الْأَرْضِ يَا مَعَادُ أَذْكَرَ اللَّهِ عَبْدَ كُلِّ شَجَرٍ وَحَجَرٍ وَأَحْدَثَ لِكُلِّ دِينٍ قُوَّةَ السِّرِّ بِالْإِسْرَارِ وَبِالْعَلَايَةِ بِالْمَلَايِكَةِ ، وَالْأَصْفَهَانِي إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حِفْظَتَهُ ذُنُوبَهُ وَأَنْسَى ذَلِكَ حُجْرَهُ وَمَعَالِمَهُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ يَلْذُنِبُ .

والأصغياتي أيضا الندم ينتظر من الله الرحمة والمحب ينتظر الموت واعلموا عباد الله أن كل عمل ميقم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وموه عمله وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مقيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف فإن الموت يأتي بعتة ولا يعترف أحدكم بحلم الله عز وجل إن البار أقرب إلى أحدكم من شركت نعله . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ والطبراني بسند صحيح لكن فيه انقطاع : الثائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ورواه البيهقي من طريق آخر ورواه المستظهر من الثنبي وهو مضمع عليه كالتمسك بإبريه . وابن حبان في صحيحه وإلحاحه وصححه : الندم توبة أي أنه معظم أن كانها كبير الحرج عرفة .

ولابد في الدم أن يكون من حيث العصية وتبجحها وخوف عقابها بسلامة لعمرك أنك أو ضياع مال على العصية أو نحو ذلك . والحاكم وصاحبه لكن فيه سافط . علم الله من جسد ندامة على نسب إلا غفر له قبل أن يستمره منه . ومسلم وغيره ، والذي نفس بيده لو لم تذهبوا وتضعروا للعب الله بكم ولما يقوم غيركم يلتبون ويستغفرون الله فيغفر لهم . ومسلم ليس أحد أحب إليه المذح من الله من أجل ذلك صدح نفسه ، وليس أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم القواحر ، وليس أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل . ومسلم أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حلي من الزنا . فقللت يا رسول الله أصبحت حيا فأقنه على . فدعاني الله ﷻ وليها ، فقال أحسن إليها فإذا وضعت فأنى بها ففعل بها بي . ﷻ فتسدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال عمر يصلى عليها يا رسول الله وقد رت ، قال ﷻ لقد نأت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتهم وهدى ، حسب أفضل مما حدثت بنفسها له هر وعل . والنزهدى وحسه وابن حبان في صحيحه . وصححه عن ابن عمر - رضى الله عنهم - قال سمعت رسول الله ﷻ يحدث حديث لو - - - - - إلا مرة أو مرتين حتى عذسج مراث ولكن سمعته أكثر ، سمعت رسول الله ﷻ . كان الكل من بني إسرائيل لا يتزوج من ذنب عيطة فأثته امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن يأتيا . فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت ، فقال ما يبكيك أكرهتك قالت

لا ولكنه عمل ما علمته قط وما حملني عليه إلا الحاجة ، فقال قائلين أنت هذا وما صلتبه قط ادعني فهي ث و قال لا والله لا أعصي بعدها أبدا فبات من بات فأصبح مكتوبا بأعلى يابه أن الله قد غفر لك كل

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال كانت قريتان إحداهما صالحة والأخرى طالحة فخرج رجل من القرية الطالحة يريد القرية الصالحة فأثناء الموت حيث شهد الله ، فاختصم فيه الملك والشیطان ، فقال الشیطان والله ما عصاني قط ، وقال الملك إنه قد خرج يريد التوبة . فغضى الله بينهما ينظر إلى أيهما أقرب موجوده أقرب إلى القرية الصالحة بشهر ففعل له . قال معمر وسمعت من يقول قرب الله إلى القرية الصالحة .

والشيطان كان فيمن كان قبلكم رجل قتل نسمة وتسعين نفساً فسأل عن أهلها أهل الأرض فدخل على واحد فآذنه ، فقال له إنه قتل نسمة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقله فأكمل به مائة ، ثم سأل عن أهل الأرض فدخل على رجل عليم فقال أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة فطلق إلى أرض وكلما وكلما فإن بها أتلسا يصيدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فلما تملأ ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب أنه لم يحمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ، فقال فيوما بين الأرضين هاهنا أيتهما هو أدنى كان له فلفسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد قبضه ملائكة الرحمة .

وفي رواية فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها . وفي رواية فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فقتلوه . والطيراني يستدجد أن رجلا أسرف على نفسه لفتى رجلا فقال أن الآخر قتل بسمة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجدى من توبة . قال لا فقطه وأنى آخر فقال أن الآخر قتل مائة نفس كلهم ظلما فهل تجدى من توبة . فقال إن حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك بها قوم يتعبدون فأنهم تعبد الله معهم ، فتوجه إليهم فصارت على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فبعث الله إليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المذنبين فأيهم كان أقرب فهو منهم موجدوه أقرب إلى قريه ثوبين بأمله فعمر له . وفي رواية ثم أتى رجلا آخر فذاب إلى قتل مائة نفس فهل تجدى من توبة فقال أسرف ما أدري ولكنى ها قريتان قرية يقال لها نصره والأخرى يقال لها كفرة ، فإد أهل نصره فيعملون عمل أهل الجنة لا يشت ميبه غيرهم ، وأما أهل كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يشت فيها غيرهم ، فاضطرب إلى نصره فإن ثبت فيها وعملت

عمل أهدب فلا شك في ثبوته ، فإطلاق يريدها حتى إذا كان بين القريتين أفركه الموت ، فسالت الملائكة وبها عنه فقال انظروا إلى أي القريتين كان أقرب فاكثبوا من أهلها فوجدوه أقرب إلى بصرة فبد أئمة فكتب من أهلها

الباب الرابع والخمسون

في بيان النهي عن الظلم

قال الله تعالى : ﴿ وَسْئَلُكُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُقْلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١) وقال ﷺ : الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال ﷺ : « من ظلم شبرا من أرض طوفه الله من سبع أرضين يوم القيامة . وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري » (٢) .
ما أحسن قول بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كتكت مقشرا • • • فالظلم يرجع عقباء إلى الندم
تنام حينك والمظلوم منتبه • • • يدعو عليك وعين الله لم تتم
وقول الآخر :

إذا ما الظلوم استوطأ الأرض مركبا • • • ولـسـج غلوا قبيح اكتسابه
فكـله إلى صرف الزمان طرئة • • • سوري له ما لم يكن في حاسبه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أن الجباري لثموت هولاء في وكرها من ظلم ظالم . وقيل مكتوب في التوراة ينادي مناد من وراء الحشر يعني الصراخ ، يا معشر الجبابرة الطغاة وبمعشر المترين الأشقياء إن الله سيحلف بعزته أن لا ينجو هذا الحشر اليوم ظلم ظالم . وعن جابر - رضي الله عنه - قال لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال ألا تحبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة فقال قتيبة وكان معهم على يا رسول الله يسما يحي يوما جنوس إذا مرت بنا عجور من عجانهم تحمل على رأسها قنة من ماء ، فمرت فتى منهم فجعل إحدى يديه بين كفيها ثم دفعها فحرت المرأة على ركتها وانكسرت قننها ، فلما قامت انتمعت إليه ثم قالت سوف تعلم يا فرد إذا وضع الله الكرسي لجميع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما

(١) آية (٢٢٧) سورة الشعراء

(٢) (ضعيف) الدر المنثور ١ / ٣٥٣ ، و (ضعيف) الجامع (٨٦١)

أمري وأمرك عنده غدا . قال فقال رسول الله ﷺ ما معناه كيف يرحم الله قوما ضاع الحق بينهم أو كما قال ، وقال ﷺ خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والآخرة بهم في الآخرة إلى النار . أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا يتصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم ، وزعيم قوم يطعمونه ولا سوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجيرا فاستعمله ولم يوفه أجره ، ورجل ظلم امرأة في صداقها ، وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه قال أن الله تعالى لا يخلق الخلق واستوتوا على أنفسهم رفعوا رموسهم إلى الله وقالوا يا رب مع من أنت ، قال مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه .

وعن وهب بن مبه - رضي الله عنه - : بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت صجوز فقيرة فت إلى جانبه شيئا تأوى إليه فركب الجبار يوما وطافه حول القصر فرأى بناءها ، فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر بهدمه ، فجاءت الصجوز فرأته مهلوما فقامت من هلمه فقبل لها للثك وأه فهدمه ، فرفعت الصجوز رأسها إلى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن حاضرة فأتت أين كنت ، قال فأمر الله عز وجل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أبت بعد العز صرنا في القيء والحيس ، قال يا بني دعوه مظلوم سرت بابل ففكك عنها ولم يغش الله عنها . وكان يزيد بن حكيم يقول ما هيت أحدا قط هبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول في حسيب الله ، الله بيني وبينك

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال يحيى لظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم ملقيه المظلوم وحرف ما في ظلمه بما يجرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات من لم ينجسوا لهم حسنات حملوا من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا النوك الأسفل من النار . وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بها فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك الديان لا ينفي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار أن يدخل النار وحينئذ مظنة حتى التهمة فما فوقها ولا يظلم ريك أحدا ، قلت يا رسول الله كيف وإنما نأني حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال بالحنسات والسيئات جزاء وقد لا يظلم ريك أحدا . وعنه ﷺ أنه قال : من ضرب موطأ ظلم ، اقتضت منه يوم القيامة

وعا ذكر أن كسرى اتخذ مؤذيا لولده يذمه ويؤذيه فلما بلغ العاية في المضل والأدب استحضره المؤذيه يوما وضمه خربا وجيما من غير جرم ولا سب ، فعقد الولد على المعلم إلى

أن كبير ومات أبوه فتولى الملك بعده ، فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن تضرني في يوم
الذي ضربا وجعا من غير جرم ولا سب ، فقال له المعلم أعلم أيها الملك أنك لما بلغت العاية في
العسل والادب علمت أنك تاد الملك بعد أبيك فأردت أن أذهبك طعم الصرب وآلم الظلم حتى
لا تعلم أحد بعد فقال له جزاك الله خير ثم أمر له بجائزة وعرفه .

الباب الخامس والخمسون

في النفس عن ظلم اليتيم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ
سُجْرًا ﴾ (١) قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولي مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله
ظلمنا أي لأجل أو حال كونهم ظالمين خرج به أكلها بحق كأكلي الولي بشرطه المقررة في كتب
الفقه . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَلْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) أي بمقتدر
الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجره عمله أو إن اضطر فإن أسر قضاؤه وإلا فهو في
حل . وقد نه تعالى على تأكيد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ
لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَلْفَهُمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٣) إذا المراد بشهادة
السياق خلا ما لم يحمل الآية على أنها في الوصية وأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان في
حاجة يتيم على أنه يحسن إليه حتى في الخطأ فلا يخاطبه إلا ينحو . يا بني ، مما يخاطب به
أولاده ، ويفعل معه من البر والمعروف والإحسان والقيام في ماله ما يجب أن يفعل بماله ويلزمه
من بعده فإن الخراء من جنس الصل ﴿ نَبَأُكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ أي الخراء كما تدعى تدان أي كما تفعل
يفعل معك ييما الإنسان أمن متصرف في مال العير وعلى أولاد غيره وإذا بالموت قد حل به
فيجبره الله تعالى في ماله وذريته وحياله رسائر تعلقاته بنظير ما فعل مع غيره إن خيرا أو خيرا وإن
شرا فشر فليحش العاقل ربه ويتصرف على الأيتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف ولي
أولاده لو كانوا أيتاما عليهم في ماله .

وجاء أن الله تعالى أوحى إلى داود - صلى الله عليه وسلم - يا داود كن لليتيم
كلاب الرحيم ، وكى للأرملة كالزوج الشقيق واعلم أنك كما تزرع كذا تحصد أي كما تفعل يعمل
معك إذ لا يدان بموت ويبقى لك ولد يربى وامرأة أرملة . وجاء في التشديد في أموال اليتامى
والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما في الآية من ذلك الوعد الشديد تعديرا للناس عن هذه

(١) آية (٦٠) سورة النساء .
(٢) آية (٩) سورة النساء .

(٣) آية (٦) سورة النساء

العاجزة الوغيمة المهلكة ، أخرج مسلم وغيره : أنها ذر لوك ضعيفا وإن أحب لك ما أحب
نفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال اليتيم . والشيطان وغيرهما : اجتنبوا السبع المغيطات .
أي المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن ، قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم
الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . . الحديث واليزار : الكبار سبب الإغتراب بالله ،
وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . . الحديث ، والحاكم وصححه أربع سنن
على أنه أن لا يدخلهم الجنة ولا يذهبهم نعيمها : فمن عمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم
بغير حق ، والعاق لوالديه . وابن حبان في صحيحه أن من جملة كتابه رحمه الذي أرسله مع
عمرو بن حزم إلى أهل اليمن وأن أكبر الكبار عند الله يوم القيامة الإشراف بالله ، وقتل النفس
المؤمنة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ورمى للمعصنة ، وتعلم
السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم .

وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تاجع أرواهم نارا ، فقبل من هم يا رسول الله
. ألم تروا أن الله يقول . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ وفي
حديث المصراع عبد مسلم فإذا أنا برجال فد وكل بهم رجال فيكون لحاهم ، وآخرون يجيئون
بالصخور من النار فيشقونها في أرواهم فتخرج من أديارهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال
الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ، وفي تفسير القرطبي عن أبي سعيد
الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت ليلة أسرى بي قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم
من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أرواهم صخرا من نار تخرج من أسفلهم ، فقلت يا جبريل من
هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا .

الباب السادس والخمسون

في بيان ذم الكبر

ذكر عما ورد في ذم الكبر زيادة ما تقدم لشوبه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من
إبليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والأرض إلى عذاب السعير . ففي الحديث
القدسي : الكبرياء رهائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني في واحد منهما نصمته ولا أبالي .
وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر في صور الرجال يشاهدون الذل من كل مكان ويسقون من طينة
حبال وهي عصارة أهل النار . وقال رحمه : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم
عذاب أليم ، شيخ زان وملك جائر ، وعائل مستكر . وعن عمر - رضي الله عنه - أنه قرأ قوله
تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ تَقَى اللَّهَ أَهْدَقَ الْعُرَةَ بِالْإِثْمِ ﴾ فقال إنا لله وإنا إليه راجعون . قام رجل يأمر

معرفة من قدم حر فقات تقتلون الذئب بأمر من المعروف فقتل المتكبر الذي خافه والذي أمره كرسه بن محمود كمن بالرجل إنما إذا قيل له اتق الله ، قال عليك نفسك ، وقال عليه السلام لرجل كرسه قال لا أستطيع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت مما منته إلا كبره قال مما رفعها بعد ذلك إلى فيه أي اعتلت يده ، وروى أن ثابت بن قيس بن شماس قال يا رسول الله إني امرؤ جيب إلى من أحمال ما ترى أنس الكبر هو ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر بطن الحق وغمض الناس أي اردائهم واستحقاقهم وهم عباد الله أمثاله أو غير منه .

قال وهب بن ميه لما قال موسى - عليه السلام - لفرعون أمن ولك ملكك ، قال حتى أشاور ههنا مشاور ههنا ، فقال ههنا بما أنت رب تعبد إذا أنت عبد تعبد فاستكف من عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله .

وقالت قريش فيمما أخبر الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ ﴾ قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طليبا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعث الله الياسا فقال تعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ثم أخبرهم الله عن تعجبهم حين دخروا النار إذ لم يرو فيها الذين ازدوهم كأهل الصفة ، فقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعلمهم من الأشرار ، قيل يمتنون عصارا ويلالا وصهيا والمقصداد - رضى الله عنهم - ، قال وهب - رضى الله عنه - العلم كالغيث ينزل من السماء حارا صافيا فتشربه الأشجار بفروعها فتحوله على قدر طعموها فيرداد المر مرارة والحلو حلوة ، فكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيريد التكبر كبرا والتواضع تواضعا وذلك لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فزاد حبط العلم وجد ما يتكبر به فزاد كبرا وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فزاد علما علم أن الحجة قد تكدت عليه فيرداد خوفا واشفاقا وتواضعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس - رضى الله عنه - يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أنرا منا ، ومن أعلم منا ، ثم انفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار .

وروى أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سعة من الشيطان مسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له نبي صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حديثك مسك أن ليس في القوه أخص منك ، قال اللهم نعم قرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سعة في وجهه . قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القرءاء كل مضحك فأما الذي للقاء يبشر ويلقائك ببوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله

روى عن أبي ذر - رضى الله عنه - أنه قال قبلت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر طيب الصنع ، لم الصانع ليس لابن أبيصاء هل من السوداء فضل ؟ (١) . فقال أبو ذر رحمه الله فاضجعت وقلت للرجل قم لطا عني خدي . وقال كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الدار فليتنظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . قال أنس لم يكن شخص أحب إلى أصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كرامته لذلك . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشون فيهم ، إما لتعليم غيره أو ليفتن من نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب .

الباب السابع والخمسون

فصل في التواضع والقناعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه . وقال صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع في غير مسكنة ، أنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل المال والمسكنة ، خالطوا أهل العفة والحكمة . (٢) . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون ، فقال سائل على الباب وبه زمارة يتكره منها فادن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له أطعم فكان رجلا من قريش اشعأذ منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمارة . وقال صلى الله عليه وسلم : خيرني دني بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيهما أحلر وكان صفى من الملائكة جبريل فرفعت وأسى إليه ، فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً . وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمته ولم يتعظم على خلقه وألزم خوفى . وقال صلى الله عليه وسلم : الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى . (٣)

وقال المسيح - عليه السلام - : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النابر يوم القيامة ، طوبى للمصلين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى لمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له وورقه مع ذلك تواضعا لذلك من صفوة الله . وقال صلى الله عليه وسلم أوسع لا يعطيه الله إلا من أحب ، الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا .

(١) مشكل لأثر ٤ / ٣٦٣ - ٣٦٥

(٢) صيف ٤ / ١٨٢ ، وضعيف الجامع (٣٦٨٢)

(٣) صيف ٨ / ٣٥٢ ، وضعيف الجامع (١٢٩٩) .

ويرى أن رسول الله ﷺ كان يطعم لجهاء وجل أسوديه جذري قد قشر فجعل لا يحمل إلى أحد إلا قام من جبهه ، فأجلسه إليه النبي ﷺ إلى جبهه ، وقال ﷺ إنه لمعجبى أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه . وقال ﷺ لأصحابه يوماً ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة ، قالوا ما حلاوة العبادة ، قال التواضع وقال ﷺ : « إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » (١) . ومن أحسن ما قيل شعراً :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * * * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدهان يعلو بنمه * * * على طبقات الجو وهو وضع

وعما جاء في فضل القناعة زيادة على ما تقدم

قال ﷺ عز والمزمن استعازه من الناس لعمى الفاقة الحرية والعز ولذلك قيل استمن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى ما شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره ، قليل يكفيك خير من كثير يطعبك . وقال بعضهم ما ريت في الفضل من القناعة ولا فقر أشد من الرغبة وأنشد :

أفادتني القناعة ثوب عز * * * وأبى غنى أمز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال * * * وصير بعدها التقوى بضاعة
تجهد ويحزن تمنى عن خليل * * * وتعمق في الجنان بصبر ساعة
وقال آخر :

تبع النفس بالكفاف وإلا * * * طلبت منك فوق ما يكفيها
إثما أنت طسول حمرك ما * * * عمرت في الساعة التي أنت فيها
وقال آخر :

إذا الرزق عنك نأى فاصطبر * * * ومنه انتفع باللى قد حصل
ولا تتبع النفس في تحصيله * * * فإن كان ثم نصيب وصل
وقال آخر :

إذا أعطشتك أكف اللثام * * * كففتك القناعة شبعاً ودا
مكن رجلاً رجله في الثرى * * * وهامة همته في الثريا
وقال آخر :

يا طالب الرزق الهني بقوة * * * تقيها أنت بياطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الملا * * * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

كان رسول الله ﷺ إذا أصابته خصاصة قال لأهله : قوموا إلى الصلاة . ويقول أمرت بهذا ويقراً : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (١) الآية . . .
وأنشدوا :

دع التهاات في الدنيا وزيتها * * * ولا يفرتك الإكثار والجشع
والنع بما قسم الرحمن ولزغ به * * * إن القناعة مال ليس يظطع
وحل ربك فغبول العيش أجمعها * * * ليس فيها إذا حققت متنع

ومن كلام الحكماء ليست العزة في حسن البزة فإن التعم باليس الثياب والتجمل بحسن الزي يشغل العبد حتى لا يعبأ بشيء من أمر دينه ميلاً لذياه وقلماً يخلو صاحبه من العجب . وأنشد بعضهم .

رغبت من الدنيا بلقمة بالنس * * * وليس عباء لا أن سدسواهما
لأنى رأيت الدهر ليس بدائم * * * فدهرى وعمري فتيان كلاهما

الباب الثامن والخمسون

في بيان غرور الدنيا

جميع أحوال الدنيا مصروفة إلى ما يسوء وير فليست مساهفة لجميع أهلها وإنما هي متلوة على ما اقتضته حكمة الحكيم . قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْطِئِينَ ﴾ (١) إلا من رحم ربك (٢) قال بعض المفسرين مختلفين في الرزق يريد اختلافهم في الغنى والفقر فمن الواجب على من ساعدته ذياه وأخضعها له مولاه أن يتلقى ذلك بشكره ويتوجه إليه بصنائع

(٢) آية (١١٨-١١٩) سورة هود

(١) آية (١٣٢) سورة طه

(١) المراتل للجموعة (٢٥٣) ، وتذكرة للموضوعات (١٩١)

المعروف فإنها تقي مصارع السوء ولا يخرق بنيتها وكفى بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَفْرُتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا تَفْرُتُمْ مَا لِلَّهِ الْغُرُورُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنُكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَتُؤْتِكُمْ وَتُؤْتِكُمْ وَتُؤْتِكُمْ الْأَمْثِلَ ﴾ الآية . . تنصيرا من الغرور بها . وقال ﷺ : « حيلنا نوم الأكليس وفطرهم كيف يهبطون سهر الحنفي وطمعهم ولشغال فرة من صاحب نقوى ويقين الفضل من ملء الأرض من المعترين » (١) وقال ﷺ لكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

وقال الشاعر :

ومن يحمى الدنيا لشئ يسره ••• فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حرة ••• وإن أتيت كفت كثيرا همومها

وقال آخر :

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها ••• تبقى علينا وبأني وزلها رغدا
ما كان في حق حر أن يذل لها ••• فكيف وهي متاع يفسد هذا

وأشد ابن بسام :

أف الدنيا ولا يفسد ••• فاتها المحزون مطرقة
غمومها لا تنفي ساعة ••• حسن ملك فيها ولا موقرة
يا حجابا منها ومن شأنها ••• مدوة الخاس معشوقة

وأشد آخر :

وقللة أرى الأيام تعطى ••• لنام النفس من رزق حبيث
وتنع من له شرف وفضل ••• فقلت لها على أصل الحديث
وأنت جمل المكاسب من حرام ••• فجادت بالحديث على الحديث

وأشد آخر أيضا :

سئل الأيام ما فعلت بكسرى ••• وقبصر وفتصور وساكنتها
أما استبدتكم للبين طرا ••• فلم تدع الخليم ولا السفيرا

وحكى أعرابيا تزل يقوم مقدموا إليه طعام فأكل ثم نام في ظل خيمتهم فاقبلوا الخيمة فأصابه حر الشمس فارتجف وهو يقول .

الا إنما الدنيا كظل بنيتها ••• ولا بد يوما أن ظلك زائل
وقال أيضا :

الا إنما الدنيا مثيل لراكب ••• قضى وطرا من منزل ثم هجر

وقال بعض الحكماء لصاحب له : قد أسعك الدنيا . وأطرد إليك الطالب ولا أحد أعظم رزية من ضيق اليقين واطغاه العمل . وقال ابن مسعود كفى بحشية الله علما وكفى بالاختلال بالله جهلا . وقال رسول الله ﷺ : من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه . وقال بعضهم إن العبد يحاسب على التحرن على ما داته من الدنيا ويحاسب لفرجه في الدنيا إذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيها حرم عليكم أن الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم ، وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يمثل بهذه الأبيات وهي لمسعين كدام :

نهارك يا مغرور نوم وغلقة ••• وليلتك نوم والردى لك لازم
ينرك ما يمتنى وتفرح بالمنى ••• كما غر بالندى في اليوم حالم
وشغلك فيها سوف تكرهه ••• كذلك في الدنيا تعيش البهائم

الرب السميع العليم

في بيان ذم الدنيا والتحذير منها

روي عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا . قال يا ثعلبة قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تلقىه . قال يا رسول الله ادع أن يرزقني مالا ، قال يا ثعلبة أما لك في أسوة أما ترزقي أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسلرت . قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دهوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا أعلن ولا أعلن .

قال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ مما فئت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة فتتحي عنها منزل وأديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع سواهما ، ثم فت وكثرت فتتحي حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى

حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار في المدينة . وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال : ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله اتحد غصبا مضائق عليه المدينة وأحبروه بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وأنزل الله تعالى قرآن الصلوة فبعث رسول الله ﷺ رجلا من جبيته ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجاهما أخذ الصدقة من المسلمين . وقال : مرا بـثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وغدا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ . فقال ما هذه الاجرية ما هذه إلا جرية ما هذه إلا تحت الجزية انطلقا حتى تفردا ثم تصردا إلى ، فانطلقا نحو السليم فسمع بهما فقام إلى غير أسان أبله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأياها قال لا يجب عليك ذلك وما نريد أن تأخذ هذا منك . قال بلى خذاها نفسى بها طيبة وإنما هي لتأخذها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بـثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما فتفكر فيه ، فقال هذه تحت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للمسلمين فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليم . فأنزل الله تعالى في ثعلبة : ﴿ وَهُمْ مِنْ عَشَرَةِ قُلُوبٍ أَنْتَ مِنْ فَخْزِهِمْ لَتَنْصُرُنَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُضِلِّينَ ﴾ ﴿ ٧٥ ﴾ فلما أتاهم من فعله بخلوا به وتولوا وهم مغرورون ﴿ ٧٦ ﴾ فأعقبهم فافقوا في قلوبهم إلى يوم ينفقوا بما آخفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴿ ١ ﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة ، فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله عليك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته . فقال إن الله صمى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله ﷺ هذا عملك أمرتك فلم تطع فلما أبى أن يعمل منه شيئا رجع إلى مرله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق - وعسى الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب - وعسى الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان .

وعند وري عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا هجسي ابن مريم - عليه السلام - فقال أكون معك وأصحبك ، فانطلقا فأتياها إلى شط نهر فجلسا يتعمدان ومعهما ثلاثة أرعفة مأكلا رعيين

(١) آية (٧٥ - ٧٧) سورة التوبة .

ورقي رعيث ثالث ، فقال هجسي - عليه السلام - إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرعيث ففر للرجل من أخذ الرعيث فقال لا أدري ، قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى طيبة ومعهما خشمان نه . قال فدعا أحدهما فأناه فطبعه فاشتوى منه فأكل هو وبناك الرجل ، ثم قال للخشفت قم بإذن الله فقام فذهب ، فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرعيث فقال لا أدري ثم أتياها إلى وادي ماء فأخذ هجسي بيد الرجل فمشيا على الماء جاوزاه ، قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرعيث ، فقال لا أدري فأتياها إلى مفازة فجلسا فأخذ هجسي - عليه السلام - بجمع تراب وكثبا ثم قال كن فعيا بإذن الله تعالى فصار فعيا فقسمة ثلاثة أثلاث ، ثم قال لك لي وثلاث لك وثلاث لم أخذ الرعيث ، فقال أنا الذي أخذت الرعيث ، فقال كله لك وفارق هجسي - عليه السلام - ، فأتياها إليه رجلا في المفازة ومعه المال فأرخا أن يأخذاه منه ويقتلاه ، فقال هو بيننا أثلاث فابتعنا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما تأكله ، قال فبشوا أحدهم ، فقال الذي بعث لأى شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنني أضع في هذا الطعام سمعا فأقتلها وأخذ المال وحدي ، قال فعزل وقال ذاك الرجل لأى شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا ، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا قبيض ذك في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى ، فمرو بهم هجسي - عليه السلام - على تلك فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحرقوها .

وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأبديهم شيء عما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها وروحوا اليقل كما تروحى الهائم وقد قبض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض ، وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة وإن كان له حاجة فليأتنى : فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتنى فأيت بها أد قد جئت ، فقال لو كان لي إليك حاجة لأيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها ، قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا أتخلفكم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما ، قال إنما كرهناهما لأن أحدا لم يطمع منهما شيئا إلا تافت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه ، فقال ما بالكم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحتم تعهدوهم فكنتموها وصليتهم عندها ، قال أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا متنا قبورا من الأمل ، قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا تتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها ، قال كرهنا أن نجعل بطونا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاعا وإنما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأبى ما جاوز الحنك من الطعام لم نعد له

طعما كائنا ما كان من الطعام ، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سبطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالخجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعفه قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ، ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال هذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك أخا ووريرا وشريكا فيما أنأتى الله من هذا المال ، قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن تكون جميعا ، قال ذو القرنين . ولم . قال من أجل أن الناس كنهم لك عدو ولي صديق ، قال ولم . قال بما دونك لما في يديك من الملك والمال ولا أجد أحدا يعاديني لرفضى لذلك ولما عتدى من الحاجة وقلة الشيء قال فأنصرف عنه ذو القرنين متحجبا منه ومتعتلا به .

وما أحسن قول القائل :

يا من جمع بالبنيا ووزنتها ••• ولا تاتم من اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدرى ••• تقول لله ما إذا حين تلقاه
وقول آخر :

حتبت على الدنيا لرفعة تجاهل ••• وتأخير ذي فضل فقلت خذ العزرا
بنو الجهل أباي لهذا رفعتهم ••• وأهل التقى أباء خبرتى الأخرى
وقول محمود الباهلي :

ألا إنما الدنيا على المرء فتنة ••• على كل حال أقبلت أو تولت
فإن أقبلت فاستقبل الشكر دائما ••• ومهما تولت فاصطبر وتبت

الباب الستون

في فضل الصدقة

قال ﷺ : من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقل الله إلا طيبا فإن الله يقبلها بيمينه أي متلبة بيمينه ويركته ثم يريها لصاحبها كما يرى أحدكم مبره حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد وتصدق بذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَطْمِئِنَّا بِاللَّهِ مَنْ قَبِلَ الثَّوْبَةَ مِنْ صَبَاحِهِ وَيَأْخُذَ الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) ﴿ يَمْشِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (٢).

ما مقصود صدقة من مال وما راد الله عبدا يمشق إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل . وفي رواية للطبراني ما تصدقت صدقة من مال وما مد عبد يده لصدقة إلا ألقيت في يد الله أي إلا قبلها الله تعالى ورفض بها قبل أن تقع في يد السائل ، وما فتح عبد باب مسئلة له هتها غنى إلا فتح الله له باب يقرى يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فألقى ، أو ليس فأبلى ، أو أعطى فأقتنى ، وما سوى ذلك فهو فاهب وتاركه للناس .

وفي الخبر ما منكم من أحد ألا سيكلمه الله ليس بيه وبيته ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاه وجهه فاتقوا النار ولو بشق ثمرة . وقال ﷺ : « الصدقة تطفى الخبيثة كما يطفى الماء النار » (٣) .

يا كعب بن عجرة إن لا يدخل الجنة لحم ودم نبشأ على سمحت النار أولى به . يا كعب بن عجرة الناس عاديان فناد في فمك نعمة فمعتقها وغدا فموبقها يا كعب بن عجرة الصلاة قربات والصوم جنة والصدقة تطفى الخبيثة كما يلهب الحديد عن الصفا . وفي رواية كما يطفى الماء النار .

إن الصدقة تطفى غضب الرب وتدفع ميتة السوء . وفي رواية أن الله ليس بأى يدلع بالصدقة سبعين بلجا من ميتة السوء . وفي الحديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس . وقيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل ، قال جهد المقل وبدأ بمن نمود ، وقال ﷺ سبق درهم مائة ألف درهم فقال كيف ذلك يا رسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من هرشه أى جانبته مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، وقال ﷺ لا ترد سائلك ولو بظلف هو للبقر والعمم بمرة الحافر لعمرس .

سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إلى أن قال رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم

(٢) آية (٢٧٦) سورة البقرة

(١) آية (٩٠٤) سورة التوبة .
(٣) (حسن) الترمذي (٦١٤)

شأنه ما نعت يمينه .

صائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفي غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر . وفي رواية للطبراني : صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفي غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف . وفي أخرى له ولاحمد ما في الصدقة يا رسول الله أهداف مضاعفة وعند الله المزيدي ، ثم قرأ ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ (١)

فيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال : سرأ إلى فقير أو جهداً من مغل ثم قرأ : ﴿ إن تدنوا الصدقات فيبعضها وإن تظفروها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ (٢) الآية .

أيما مسلم كما مسلماً ثوباً على هري كساه الله تعالى من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطمع مسلماً على جوع أطمعه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم مقي مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم .

الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم أتان صدقة وصلة .

أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي للظفر لعلاتك في كشحه أي خصره كناية عن باطنه .

ومن منح مبيحة لين أي بأن أعطى ليوماً لم يأكل لبنها ثم يردّها أو ورق أي أقرض دراهم أو هدى وفاقاً أي إلى الطريق كان له مثل حتى رقية .

كل فريض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت ليلة أسرى على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بشماية عشر . ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . أتيتني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء ، فقلت أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة ، قال أطعم الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام . أعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام . ومن موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين . من أطمع أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار يسبح عباده ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام . إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال كيف أهوئك وأنت رب العالمين ، قال علمت أن عبيدي فلان مرض فلم تعده أما

(١) آية (٢٤٥) سورة البقرة

(٢) آية (٢٧١) سورة البقرة

هدمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم فلم تطعمني ، قال يا رب وكيف أطمعك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقيك فلم تسقي ، قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال استسقيك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي .

الباب الحادي والستون

في قضاء حاجة أخيه المسلم

قال تعالى : ﴿ ولما تولى على البر والتقوى ﴾ (١) وقال ﷺ من مشى في عون أخيه ومنعه فله ثواب المجاهدين في سبيل الله . وقال رسول الله ﷺ : إن الله خلق خلقهم لقضاء حوائج الناس إلى على نفسه أن لا يمتدحهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يجلسون الله تعالى والناس في الحساب . وقال رسول الله ﷺ من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقصيت له أو لم تقص غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبراءة من النفاق .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فإن قصيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فإن مات في حلال ذلك دخل الجنة بغير حساب » (٢) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فناصره فيها جعل الله بينه وبين النار سبعة خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله عند أقوام بما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فإذا ملوا نقلها إلى غيرهم . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول الأسد في رثيه ، قلوا اله أعلم ، قال يقول اللهم لا تسلط على أحد من أهل المعروف .

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يرفعه : إذا أراد أحدكم الحاجة فليذكر لها يوم الخميس ، وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران ، وآية الكرسي ، وإذا أنزل في الليلة القدر ، وأم الكتاب فإن فيها حوائج الدنيا والآخرة . وعن عبد الله بن الحسن - رضي الله تعالى عنهم - قال : أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة ، فقال إذا كانت لك حاجة إلى فارسل

به (٢) سورة البقرة
١٦ / ٢

رسولاً أو اكتب لي كتاباً فإني لا أستحي من الله أن يراك يباهي . وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال والذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفاً ، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انطاره حتى يطرد عنها كما تطرد عربة الإبل . وقال أيضاً فوت الحاجة أمرن من طلبها إلى غير أهلها ، وعنه أيضاً قال لا تكثر على أخيك الخوارج فإن العجل إذا أفرط في مص ثدي أمه نطحت . وما أحسن قول الشاعر :

لا تقطن من عادة الإحسان من أحد ••• ما دمت تقبل والأيام تارات
وذكر فضيلة صنع الله إذ جعلت ••• إليك لا لك عند الناس حاجات
وقول آخر :

أقضى الخوارج ما استطع ••• ت وكن لهم أخيك فارج
فلخير لهم إمام الفتي ••• يوم قضى فيه الخوارج

الباب الثاني في فضل الوضوء

في فضل الوضوء

قال رسول الله ﷺ : من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر ما تقدم من ذنوبه . وقال ﷺ أيضاً : ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ، ونقل الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ثلاث مرات . وتوضأ ﷺ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين ، وأنه الله أجره مرتين ، وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوءي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .

وقال ﷺ من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ، ومن لم يذكر الله لم يظهر منه إلا ما أصاب الماء : وقال ﷺ : من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات ^(١) . وقال ﷺ : الوضوء على الوضوء نور على نور ^(٢) . وهذا كله حث على تجديد الوضوء . وقال - علي الصلاة والسلام - : إذ توضأ لعبد المسلم تمضمض خرجت الخطايا من فمه وإذا استثر خرجت

الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أظفار عييه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشياً إلى المسجد وصلاته نافذة له .

ويروى أن الطاهر كالثمام وقال - عليه الصلاة والسلام - : من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ^(١) . وقال عمر - رضي الله عنه - أن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليقبل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وجه رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من مصر لكسوة الكعبة ، فنزل الرجل بعض أرض الشام إلى جانب صومعة حبر من الأحرار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأثاء واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلاً ، ثم دخل على الحبر فسأله ليمسح منه فأعجبه علمه فشكى إليه حبيبه علي باب ، فقال له الحبر إذا كنا رأيك حين عدلت الياء على هيئة السلطان فتخوفناك ، وإنما حبناك على الباب لأن الله تعالى قال لموسى إذا تخوفت سلطاناً فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فإن من توضأ كان في أمان مما يتخوف فأغلقتنا دونك الباب حتى توضأنا وتوضأ جميع من في الدار وصلينا فأمنك بذلك ثم فتحنا لك الباب

الباب الثالث في فضل الطلوات

في فضل الطلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحديث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز . فمما ورد في فضلها ريادة على ما تقدم قوله ﷺ ما أعطى عبد عطاء خيراً من أن يؤد له في ركعتين يصليهما .

قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى - لو عبرت بين ركعتين وبين الجنة لا عبرت الركعتين على الجنة لأن في الركعتين رضا الله تعالى وفي الجنة رضا الله تعالى ، ويقال أن الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها باللائكة وتعددهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سما ركن ، وأهل سما قيام على أرجلهم إلى نعمة الصور ، وأهل سما نوحاً من العبادة ، فأهل سما سجد ، وأهل سما مريحة لأجحة من هيته تعالى ، وأهل عيسى وأهل العرش وقوف بطون

(١) سبق تحريجه

(١) (ضعيف) ابن ماجه (٥١٢) ، والترمذي (٥٩) ، وضعيف الجامع (٥٥٣٦)
(٢) (موضوع) يعقوب بن حمزة (١) ، وقال - عبد المرحوم في - مطروح الإحياء - لم أصعب عليه

﴿ اقْرَأْ ﴾ ، والعاشرة الركوع لقوله عز وجل ﴿ وَارْكُوعاً ﴾ والحادية عشر السجود لقوله عز وجل ﴿ وَاسْجُدْ ﴾ والثاني عشر القعود لقوله ﷺ : إذا رفع الرجل رأسه من آخر التسمية وقعد قدر التشهد فقد تمت الصلاة . فإذا وجدت هذه الإثنا عشرة يحتاج إلى الختم وهو الإخلاص لتمام هذه الأشياء لأن الله تعالى قال : ﴿ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ .

وأما العلم فعلى ثلاثة أوجه ، أولها أن يعرف الفريضة من السنة ، والثاني أن يعرف ما في الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فإن ذلك من تمام الصلاة ، والثالث أن يعرف كيد الشيطان في محاربهه بالجهد ، وأما الوضوء فتتضمنه في ثلاثة أشياء ، أولها أن تطهر قلبك من العمل والحسد والعش ، والثاني أن تطهر البدن من الدنوب ، والثالث أن تغسل الأعضاء غسلا سابغا يغير إصراف في الماء . وأما اللباس فتتضمنه بثلاثة أشياء ، أولها أن يكون أصله من الحلال ، والثاني أن يكون طاهرا من النجاسات ، والثالث أن يكون موقفا للسنة ولا يكون ليسه على وجه الفخار والخيلاء . وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن يكون بصرك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت ، والثاني أن يكون سمعك مع الأذان ، والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت ، وأما استقبال القبلة فتتضمنه في ثلاثة أشياء ، أولها أن تستقبل بوجهك ، والثاني أن تقبل على الله بقلبك ، والثالث أن تكون خاشعا ذليلا . وأما الية فتتضمنها في ثلاثة أشياء ، أولها أن تعلم أي صلاة تصلي ، والثاني أن تعلم أنك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيئة ، والثالث أن تعلم أنه يعلم ما في قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا . وأما التكبير فتتضمنه في ثلاثة أشياء ، أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما ، والثاني أن ترفع يديك حذوا أدنيك ، والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم . وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تجعل بصرك في موضع سجودك ، والثاني أن تجعل قلبك إلى الله ، والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا . وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير حزن ، والثاني أن تقرأ بالتمكيد وتتعاهد معانيها ، والثالث أن تعمل بما قرأ . وأما تمام الركوع ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه ، والثاني أن تضع يديك على ركبتيك وتخرج بين أصابعك ، والثالث أن تطمئن واكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقر . وأما تمام السجود ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تضع يديك بحذاء أدنيك ، والثاني أن لا تبسط ذراعيك ، والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم . وأما تمام الجنوس ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تقعد على وجلك اليسرى وتنصب اليمين نصبا ، والثاني أن تشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين ، والثالث أن تسلم على التمام . وأما التمام السلام فإن يكون مع النية الصادقة من قلبك إن سلامك على من كان من يمينك من الحطة والرجال والنساء ، وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك . وأما تمام الإخلاص ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تطلب

حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستعفرون له في الأرض ، فجمع الله كله في صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عادة أهل كل سماء . ورادهم القرآن يتلوه فيها فطلب منهم شكرها ، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِأَفْئِيهِمْ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وقال ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ وقال ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ وقال ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ فلم تجد ذكر الصلاة في موضع من التبريل إلا مع ذكر إقامتها فلما بلغ ذكر المتقين قال : ﴿ فَرِيقٌ لِّمُفَصِّلِينَ ﴾ الذين هم عن صلاتهم متفرون ، فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المتقين الصلاة وذلك ليعلم أن المصلين كثير ، والمتقين للصلوات قليل ، فأهل الغفلة يحملون الأعمال على الترويح ولا يذكرون يوم تعرض على الله فضل أم ترد .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : أن منكم من يصلي الصلاة فلا يكتب له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعني أنه لا يكتب من صلاته إلا ما عقل منها . وروى عن النبي ﷺ أنه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله قبله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإنما عظم شأن صلاة العبد بإقبال العبد على الله فإذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث الغض كأن بمنزلة من وقت إلى باب ملك معتذر من خطيئته وزلته ، فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه للملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وإنما يقبل للملك عليه على قدر عنايته ، فكذلك الصلاة إذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه .

واعلم أن مثل الصلاة كمثل وليمة اتحدك ملك وهيا فيها ألوانا من الأطعمة والأشربة لكل لون لذة وفي كل لون منفعة ودعا للناس إليها ، فكذلك الصلاة ودعا للرب إليها وهيا لهم فيها أفعالا محمدا وأذكارا متنوعة فتعبد بهم بها ليلندهم بكل لون من العبودية فالأفعال كالأطعمة والأذكار كالأشربة .

وقد قيل أن في الصلاة اثني عشرة ألف خصلة ، ثم يتعاهد هذه الإثني عشرة ألف في اثني عشرة خصلة ، فمن أراد أن يصلي فلا بد أن يتعاهد هذه الإثني عشرة خصلة لتمام صلاته فسته قبل الدخول في الصلاة وستة منها : أولها العلم بأن النبي ﷺ قال . عمل قليل من علم خير من عمل كثير في جهل ، والثاني الوضوء لقوله ﷺ . لا صلاة إلا بطهروا ، والثالث اللباس لقوله تعالى ﴿ خُذُوا رِيتَكُمْ عِدَّ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ يعني اليسر ليحكم عِدَّ كل صلاة ، والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ يعني فرضا موقفا ، والخامس استعمال النية لقوله عز وجل : ﴿ قُلْ وَجْهكُم لِّلْغَنَةِ الْمُحَرَّمَ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَرُكُوا وَجْهَكُمْ لِّلْغَنَةِ ﴾ يعني نحوه ، والسادس النية لقوله ﷺ : إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وسابع التكبير لقوله ﷺ : تكبيرا والتكبير وتحميها التسليم ، والثامن القيام لقوله عز وجل ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ يعني صلوا قائمين ، والتاسع المنة لقوله تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا نَزَّلَ مِنْ

بصلواتك ورحمة الله تعالى ولا تطلب رخصاً لاسيما والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى ، والثالث أن تجعلها حتى تذهب بها يوم القيامة لأن الله تعالى قال : ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ (١) ولم يقل من عمل بالحسنة .

الباب الرابع والستون

في بيان أهوال القيامة

وروي أن عائشة - رضي الله عنها - قالت : يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيب يوم القيامة ؟ قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم أما أن يخف وأما أن يشغل ، وعند تطاير الصحف إما أن يعطى كتفيه يمينته وإما أن يعطاه بشماله وحين يحرج عتق من النار فينطوي عليهم ، ويقول وكلت بثلاثة : وكلت بين دعا مع الله إلهها أعز ويكل جبار عنيد ويكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوي عليهم الصراط عليه كلاب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الجاحظ وكالريح العاصف . الحديث .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضع على فيه شاخصاً بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال : قلت يا رسول الله وما الصور ؟ قال قرن من نور ، قلت يا رسول الله كيف هو ، قال عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبياً لعظم دارته كمرض السماء والأرض يتبع فيه ثلاث نفحات نفخة للفرج ، ونفخة للصحق ، ونفخة للبعث فتخرج الأرواح كأنها المحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل في الأجساد من الحياشيم . ثم قال النبي ﷺ : أنا أول من تنشق عنه الأرض ، وفي خبر آخر إذا أحيى الله تعالى جبريل وميكائيل وإسرافيل فينزلون إلى قبر النبي ﷺ ومعهم البراق وحلل من الجنة فتشقق منه الأرض فينظر النبي ﷺ إلى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة : فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فإنت أول من تنشق عنه الأرض . وروي أبو هريرة أنه ﷺ قال إن الله تعالى يقول يا معشر الخس والإسرى نصحت لكم فرداً هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قرئ في مجلسه : ﴿ يوم نحشر المققين إلى الرخصن وفداً ﴾ (٢) أي ركبنا ﴿ وسوق المجرمين إلى جهنم فرداً ﴾ (٣) معنى مشاة عطاشاً . فقال أيها

(١) آية (٨٤) سورة القصص
(٢) آية (٩٦) سورة

(٣) آية (٨٥) سورة مريم

الناس مهلاً مهلاً هذا تحشرون إلى الموقف حشراً وتأتون من الأطراف فوجاً فوجاً ، وتقعون بين يدي الله فرداً ، وتسألون عما فعلتم حرفاً حرفاً ، وتقاد الأليط إلى الرحمن وفداً وفداً ، ويرد العاصون إلى عذاب الله ورداً ورداً ، ويدخلون جهنم حزواً حزواً : إنعوائاً أماكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم ترجف الأرض رجاً الأزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المفاضلة يوم الحساب يوم المسألة يوم النصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم الشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التعاس يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يوم لا يتبع الظالمين معزرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . وقا ل مقاتل بن سليمان تقب الخلاق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ، ومائة سنة في الظلمة متحبرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عد ربهم يختصمون ، وأن يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضي على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة . وقال ﷺ : لا تزول قدما عبد حتى يسئل عن أربعة أشياء ، عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق . وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال : لم يكن نبي قط إلا كانت له دعوة مستجابة فجعلها في الدنيا وإنى خيأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة : اللهم شفعه فينا بجاهه عندك - صلى الله عليه - وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الخامس والستون

في صفة جهنم والميزان

لا بأس بذكر ذلك وإن تعلم التنبيه على بعض تنميها للفائدة لعل تتكرر المواضع توقظ القلوب الغافلة لا سيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة في كتابه في غير موضع بما يقع في قلوب العقالين أعظم موقع تنبيهها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى ، أما صفة جهنم أعاد الله منها بجنة وكرمه لقد روي في الحديث أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهيب ، لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جيل ، في كل جيل سبعون ألف شعبة من نار ، وفي كل شعبة سبعون ألف شق من نار ، وفي كل شق سبعون ألف واد من نار ، وفي كل واد سبعون ألف قصر من نار ، وفي كل قصر سبعون ألف بيت من نار ، وفي كل بيت سبعون ألف حبة وسبعون ألف عترب ، لكل عترب سبعون ألف ذئب ، لكل ذئب سبعون ألف مفار ، في كل مفار سبعون ألف قلة من سم فإذا كان يوم القيامة كشف عنهما العطاء فيطير منهما سراقق من يمين الثقلين وسراقق آخر على يسارهم وسراقق من فوقهم وآخر من ورائهم فإذا نظر لفتلان إلى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : في عظم غرنة جهنم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ غُلَظٌ شَدِيدٌ ﴾ كل ملك ما بين ستة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذي في يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل ضربة سبعين ألفا في قعر جهنم . وأما قوله تعالى ﴿ فيها تسعة عشر ﴾ فإثر إتيانهم رؤساء البرماتية وإلا لملائكة النار لا يعلم عددهم إلا الله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ .

وسئل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن سعة جهنم فقال والله ما أدري ما صنعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً يعني سبعين سنة وأنها تجري فيها لودية الفحيح والدحم . وفي حديث الترمذي أن كثافة كبر سرادق من سرادقات النار أي كثافة جداره مسيرة أربعين سنة . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت عليها تسعة وسعين جزءاً كلها مثل حرها . وقال ﷺ لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا لا احترقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازناً من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يصروه مات أهل الدنيا حين يصرونه من غضب الله تعالى الذي عليه .

وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم : قال هذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حين انتهى إلى قعرها . والوجبة هي الهدة وهي صوت وقع الشيء الثقيل .

وكان عمر بن الخطاب يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد وأن مقامها من حديد . وكان ابن عباس يقول إن النار تلتقط ألعها كما يلتقط الطائر الحب ، وسئل - رضي الله عنه - عن قوله تعالى ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تقيهاً وزفيراً ﴾ فهل للنار عيان ؟ فقال نعم أما سمعتم قوله ﷺ : من كذب على متعمداً فليتبوأ جزاءه جهنم مقعلاً ، قيل يا رسول الله ولها عيان ، أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ . . الحديث . وروى حديث يخرج عنق من النار له عيان يصيران ولسان ينطق به ، فيقول إلى وكلت اليوم بمن جعل مع الله لها آخر فهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فلتقطعهم .

وأما صفة الميزان فقد ورد في الحديث أن كفة الحسنة من نوع وكفة السيئات من ظلام . وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : إن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنة من يمينه وكفة السيئات من يساره فكأن الجنة مغلفة بالحسنة والنار مقابلة السيئات

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان وكان يقول إذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساماً تيربها يوم القيامة .

الباب السادس والستون

ففي بيان ذم الكبر والعجب

اعلم أرشدني الله وإني خير الدنيا والآخرة أن الكبر ولا عجب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل ، وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصيحة وقبول التأديب ولذلك قالوا المعلم يضيع بين الحياة والكبر العلم حرب للمعالي كما أن السيل حرب للبناء العالني . قال ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر . قال ﷺ : من جرت به غيلاه لا ينظر الله إليه . وقال الحكماء لا يقوم الملك مع المتكبر وقد قرى الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد ، فقال تعالى : ﴿ تلك النار التي أخرجنا منها نبتلغها فكلذين لا يبرءون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ما ضل عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغیر الحق ﴾ (٢) قل بعض الحكماء ما رأيت متكبراً إلا تحول ما به من بعض تكبر عليه .

قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قرين بن مقرم ، وبنو أمية ، ومن العرب بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زبارة بن عدي ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا هيبيداً وأنصهم إلا أرباب . وقيل لرجل من بني عبد النضر فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي . وقيل للحجاج بن أوطاة مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال أعشى أن يراحمني اليقالون . وقيل أنى وائل بن حجر إلى النبي ﷺ ما قطعهم أرمداً . وقال معاوية أعرض هذه لأرض عليه واكتسبها له فخرج معاوية إلى هاجرة سليمة ومشي حلف باقتة فأحرقت الشمس ، فقال له أردني خلعتك على ما فتك . قال لست من أراذل الملوك قال فأعطى عليك قال ما يتحل يسمعي يا ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يلغ أقبال اليمن أنك ليست نعلي ولكن أمش في ظل نافتي محسبك بها شرف . وقيل أنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحده . وقال السور بن هد لرجل أتمرني ؟ قال لا قال أنا السور بن هند قال ما أهرقت قال فصلا لمن لا يعرف القمر .

وفي مثله يقول الشاعر :

قولا لأحمق يلوي التبية أحدهم ••• لو كنت تعلم ما في التبية لم تنه

(١) آية (٨٣) سورة القصص

(٢) آية (١٤٦) سورة الأعراف

لبه معصده، لديه مقصدة * * * للعمل مهلكة للعرض فاشبه

يوقب لا يكبر إلا كل وصيغ ولا يتواضع إلا كل ربيع . وقال ﷺ : ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى مع وإعجاب المرء بنفسه (١) . وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : أن يوحى ﷻ لحضرته الوفاة دعا أبيه وقال إني أمركما بأتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر ، وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت لا إله إلا الله أرجح منهما ، ولو أن السموات والأرض كانتا في حلقه فوضعت لا إله إلا الله عليهما لتصتهما ، وأمركما بسبحان الله ومحمد فأنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء . وقال عيسى - عليه السلام - طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يست جباراً . وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه مر في السوق وعليه حرمة من حطب فقبل له ما يحملك على هذا وقد أعفك الله من هذا ، قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسي . وفي تفسير القرطبي في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَضُرُّهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ ﴾ (٢) إن فعلته تيرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بطنه من الرجال هجبا حرم لأن المعجب كبيرة .

الباب السابع وستون

فصل الاحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم

أخرج البخاري : أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذين وأشلو بأصحية السبابة والوسطى وفرج بينهما ، ومسلم : كافل اليتيم له أو لغيره أن وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبيزور : من كفل يتيما له ذو قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين وضم بأصحية . ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صالما قائما . وابن ماجه من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليلة وصام بهاره وغدا أو راح شهرا سيعه في سبيل الله أنا وهو في الجنة أخوين ، كما أن هاتين أخوات والصق بأصحية السبابة والوسطى . والترمذي وصححه : من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة أيتما إلا أن يعمل دنيا لا يعمل له . وفي رواية سلها حسن حتى يستغنى عنه وبيت له الجنة أيتما . وابن ماجه حبر بيت في المسلمين بيت فيه يتيمن يحس إليه . وشر بيت في المسلمين بيت يتيمن يساء إليه . وأبو يعلى سدد حسن . أن أول من يفتح باب الجنة إلا أن يرى امرأة تنادي - ما فرب منك ومن أنت تقرب أن امرأة قعدت على أيديهم لي . والهيروسي سدد رواه ثقات إلا واحدا ، ومع ذلك ليس

(١) (ضعيف) الحلية ٢ / ٣٤٣ ، وكشف الخفاء ١ / ٣٨٦

(٢) آية (٣١) سورة النور

بالشرك : والذي يعيش باحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم لأن له في الكلام ورحم يتيمة وصمعه ولم يتناول على جاره بفضل ما آتاه الله . وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيمن لم يمسحه إلا الله كاتبة له في كل شعره مرت عليها يد حسنة ، ومن أحسن إلى يتيمن أو يتيمة عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين . (الحديث) . وأخرج جماعة وصححه الحاكم : أن الله تعالى قال ليحسب أن سبب دهاب بصره وانحناء ظهره وفعل أخوه يومئذ به ما فعلوا أنه آتاه يتيمن مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يجب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين ، وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين لفعل . والشيخان من أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالفاتح لا يفتر وكان صلواته لا يفتر » (١) ، وابن ماجه : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد سبيل الله وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار .

قال بعض السلف كنت في هذه أمري سكران مكيا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم عت فرأيت الزبانية أخذوني أخفا مزحجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد احترقني فقال : دعوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا . فإذا التنداء . خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه ، فاستيقظت وبالقت في أكرام اليتامى من يومئذ . وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فماتت واشتد بهن الفقر لي أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مجهورا فتركهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن في القوت فمركبهن البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها ، وقال لابد أن تبحي عندي البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ، ثم مرت بجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتته بها وببنتها إلى داره ليبلغ لي أكرامهن ، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي ﷺ معفودا على رأسه لواء الحمد وهذه قصر عظيم فقال ﷺ أقم عندي البينة بذلك فتحير فقصر له ﷺ خبر العلوية فأتته الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار للجوسي فطلبه منه فأبى ، وقال قد لحقني من بركاتهن ، فقال خذ ألف دينار وسلمهن إلى فأبى : فأراد أن يكرهه ، فقال الذي ترهبه أنا أحق به والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي أتصخر على بإسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل ما نمت ، وقال لي رسول الله ﷺ : العلوية وبساتها عندك قلت نعم يا رسول الله فقال القصر لك ولأهل دارك ، فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

(١) (صحيح) البخاري (٥٣٥٣) ، ومسلم (٢٩٨٢)

الباب الثامن والستون

ففي تحريم أكل الحرام

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۝ ﴾ (١) الآية .
 واحتموا في المراد به ، فقيل الربا والفساد والنصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة . وقال ابن عباس هو ما يؤخذ من الإنسان بغير حق . وعليه قيل لما برئت الآية فخرجوا من أن يكلوا عند أحد شيئا حتى برئت آية النور : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ . . . ﴾ إلى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود أنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة انتهى . وذلك لأن الأكل بالباطل يشمل كل ما غرر به بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالنصب والخيانة والسرقة أو الهزل واللعب كالأخذ بالتحمار والملاهي ، وسبب ذلك كله أو على وجهه المكر والخديعة كالأخذ بمقد فاسد ويهد ما ذكرته قول بعضهم الآية تشمل كل الإنسان حتى مال نفسه بالباطل بأن ينفقه في محرم ، ومال غيره به كالأمثلة المذكورة وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ استثنائه منقطع لأن التجارة ليس من جنس الباطل بأي معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله ، والتجارة وأن اختصت بمقدود المعارضات إلا أن نحو القرص والهيبة ملحق بأدلة أخرى وقوله تعالى : ﴿ عَنْ قُرْآنِكُمْ ﴾ أي طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الأكل فيها بالذكر ليس للتقليد به بل لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ وأدلة هذا المبحث والتعليقات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها .

أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أعرج يمده يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » : والطبراني بإسناد حسن طلب الحلال وأحب علي كل مسلم والطبراني والبيهقي ، طلب الحلال فريضة بعد العرائض والترمدى وقار حسن صحيح غريب وإحكام وصحة من أكل حبيبا وعمل في سنة وأمس الدس بوقته دخل الجنة قالوا يا رسول الله إن هذا في أمك اليوم كثير ، قال وسيكون في قرون بعدى وأحمد وغيره بإسناد حسن أربع إذا كنت فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانه ، وصدق حديثه ، وحسن خلقه ، وعفة في طعمة . والطبراني : طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته

(١) آية (٢٩) سورة البقرة

وكرمت علاقته وهزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ، والطبراني بإسناد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي حس محمد بيده أن العبد ليقدف لقمه الحرام في جوفه ما يقبل منه عمل أربعين يوما ، وأما عبد نيت لحمه من مسحت فالتار أولى به . والجزا وفيه تكلوة أنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة ولا زكاة أنه من أصاب مالا من حرام علبس جلبابا يعنى قميصا لم تقبل صلاته حتى ينهي ذلك الجلباب عنه ، أن الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل حمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام . وأحمد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : من اشترى ثوبا بخرصة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه ، ثم أدخل أصبحية في أذنيه ثم قال حسنتا إن لم يكن الله سمعته يقول : والبيهقي : من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في عارها وانها .

قال الحافظ المنذرى في استاده احتمال للتصحيح ويشبه أن يكون وقفا ، وأحمد بسند جيد : والذي عسى بيده لأن يأخذ أحدكم حيله فيذهب به إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على ظهره فيأكل غير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه ، ولينا خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم : من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن فيه أجر وكان أصره عليه ، والطبراني : من كسب مالا حراما فاهتق منه ووصل منه وحمه كان ذلك إصرا عليه ، وأحمد وغيره بسند حسن بعضهم أن الله قسم بينكم أعمالكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب من أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسى بيده لا سلم أولا يسلم عبد حتى سلم أو يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جلوه بوائقه ، قالوا وما بوائقه يا رسول الله ، قال غشه وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه غلب ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الحديث لا يمحو الحديث . والترمذي وقال حسن صحيح غريب مثل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، قال الفم والفرج . ومثل من أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن خلق . والترمذي وصححه : ما تزول قلعا عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وبما أنفقه أو كما قال

والبيهقي : الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أورده الله دار الهوان ، ورب متحوش في مال الله ورسوله له البار يوم القيامة .

يقول الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا قَتَلَ نَفْسًا مُّذْنَبًا ﴾ وابن حبان في صحيحه لا يدخل الجنة لحم

ودم بيتا من سحت إلا كانت النار أولى به ، والسحت يضم فسكون أو ضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفي رواية بسند حسن : لا يدخل جسد عذى بحرام .

الباب لتاسع والستون

في النهي عن الربا

الآيات في النهي عن الربا كثيرة ومن الأحاديث ما رواه البخاري وأبو داود : « لمن رسول الله ﷺ الراشدة والمستوشمة وأكل الربا وموكله » (٢) والحاكم وصححه : « أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم عيماها ، ممن الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لو الله » (٣) . والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه . واليزار بسند ورثته رواية الصحيح ، الربا يضح وسبعون بابا والشرك مثل ذلك ، والبيهقي الربا سبعون بابا أدناها مثل الذي يقع على أمه ، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يربيهما في الإسلام وفي سنة انقطاع ، وروى ابن أبي الدنيا والبخاري وغيرهما موقفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا موقوف في حكم المرفوع لأن كون الدرهم أعظم ورثا من هذا العدد المخصوص من الربا لا يدرك إلا بوحى فكأنه سمعه منه ﷺ ، ولفظ الموقوف في أحد طرقه . قال عبد الله : الربا ثمان وسبعون حوبا أي يضم المهمل ويفتحها إنما تصحها حوبا كمن أتى أمه في الإسلام ، ودرهم من الربا أشد من يضح وثلاثين زنية ، قال ويأذن الله للبشر والعاجز بالقيام يوم القيامة إلا أكل الربا فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

وأحمد بسند صحيح والطبراني أنه ﷺ قال : « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية » (٤) ، وابن أبي الدنيا والبيهقي خطبنا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يربيهما رجل . والطبراني في الصغير والأوسط من أمان ظالمًا يبطل ليلحظ به حقا فقد يرى من ذمة - وذمة رسوله ﷺ ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن ثبت لحمه من سحت فأنار أولى به . وابن ماجه والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق عن أبي سعيد المقرئ عن أبي

١ - صحيح البخاري (٥٩٣٩ و ٥٩٤٧) ، وأبو داود (٣٣٣٣)

٢ - ضعيف جدا (الحاكم ٣٧ / ٢) ، وضعيف الجامع (٧٤٨)

٣ - ضعيف (أحمد ٢ / ٢٢٥) ، وضعيف الجامع (٢٩٧٠)

هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه . والحاكم وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال بهي رسول الله ﷺ أن تشتري الثمرة حتى تعظم وتقال إذا ظهر الربا في قرية بعد أحلوا بأنفسهم هذب الله . وأحمد بإسناد له بغير : ما من قوم يظهر بينهم الربا إلا أخذوا بالثمة وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرحب والسنة العام المقحط رب فيه عت أم لا . وأحمد في حديث طويل وابن ماجه مختصرا والأصبهاني رأيت ليلة أسرى بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فإذا أنا برعد ورووق ولواصف قال فأبيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قست يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء أكلة الربا . والأصبهاني عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « لما خرج بي إلى السماء نظرت في سماء الدنيا فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم متضدين على سبالة آل فرعون موقوفون على النار كل خدلة وعشى يقولون ربنا لا تقم الساعة أبدا نلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، قال الأصبهاني قوله متضدون أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسبالة المارة أي يطوهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشى ، والطبراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر . والطبراني بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - فيسوق الصيافة فقال يا معشر الصيافة أبشروا قالوا أشرك الله بالحنطة ثم يشربها يا أبا محمد قال : قال رسول الله ﷺ للصيافة أبشروا بالنار . والطبراني إياك والذنوب التي لا تغفر الخلل فمن خل شيئا أتى به يوم القيامة وأكل الربا ممن أكل الربا يمت يوم القيامة مجنونًا يتحبط ثم قرأ ﷺ : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » (١) الأصبهاني يأتي أكل الربا يوم القيامة محلا مجنون يجر شقيقه ، ثم قرأ : « لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » وابن ماجه والحاكم وصححه : « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة » (٢) . والحاكم وصححه أيضا الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن بن أبي هريرة واختلف في سماعه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا كل الربا فمن لم يأكله أصابه من غيابه ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المست : « والذى نفس بيده ليبقى أناس من أمتي على أشرف ويطر ولهم ولعب فيصبحوا فرقة وغنازير باستحلالهم مختصرا والبيهقي وللفظ له بيت قوم من هذه الأنة عن طعم وشرب ولهم ولعب فيصبحون قد مسحوا بردة وغداير ولصبيهم خسف وغدق حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة بيتي فلان وخسف الليلة بدار فلان وترس عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قتال

(١) به (٢٧٥) سورة البقرة

(٢) صحيح (أبي ماجه ٢٢٧٩) ، والحاكم ١ / ٣١٨

منها وعلى دور بشرهم الحمر وليسهم الحرير واتخاذهم القبات وتكلمهم الربا وتطبعهم الرحم . وخصلة نسيها روليه . القينات جمع قينة وهي المغنية .

الباب السابعون

ففي حقوق العبد

هي أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتحميه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوذه إذا مرض ، وتشهد جوارته إذا مات . وتبرئ نفسه إذا أقم عليك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر العيب إذا غاب عك ، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ، ورد جميع ذلك في أخبار وأثر .

وقد روى أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محتسبهم ، وأن تستغفر لمخنيهم ، وأن تدعو لمديرهم وأن تحب قائمهم ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في معنى قوله تعالى : ﴿ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) قال يدعو صالحهم طالحهم وطالحك لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال اللهم بارك فيما قسمت له من الخير وثبتته عليه وأمنعنا به ، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .

قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله ﷺ يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أعضاه بالخمس والسيور .

وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال : المؤمن للمؤمن كالثيل يشد بعضه بعضا ، ومنها أن لا يؤدي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول . قال ﷺ : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢) وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالعصائل فإن لم تقف فذرع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك ، وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم للمسلم من لسانه ويده ، وقال ﷺ أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم ، قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قالوا فمن المؤمن قال من أمته يؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا فمن المهاجر ، قال من هجر سوء واجتبه . وقال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال أن يسلم عليك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك . وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يملو عظم أحدهم من جلده

(١) آية (٢٩) سورة العنق

(٢) (صحيح البخاري) (٦٤٨٤)

فيتأذى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين ، وقال ﷺ : لقد رأيت رجلا يقف من الحة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين ، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - يا رسول الله علمني شيئا أنتفع به ، قال اهزل الأذى عن طريق المسلمين وقال ﷺ : من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له الجنة . وقال ﷺ لا يحمل مسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه ، وقال ﷺ : لا يحمل مسلم أن يروع مسلما (١) . وقال ﷺ إن الله يكره أذى المؤمنين . وقال الربيع ابن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجهله ، ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور . وقال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم إن تفاخر عليه غيره فليتحمل قال بلله تعالى لئيه ﷺ : ﴿ خذ انصروا وأمر بالتعزيب وأعز عن الجاهلين ﴾ (٢) .

وعن ابن أبي أوفى كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ، ولا يأنف ، ولا يتكبر أن يش مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ، ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ، ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . وقال ﷺ لا يدخل الجنة ذات . وقال الحليل بن أحمد من غم لك ثم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ، ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما خضب عليه .

قال أبو أيوب الأنصاري قال رسول الله ﷺ : لا يحمل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ، وقد قال ﷺ من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة ، وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب يعقوبك من أخوتك رفعت ذكرك في الدارين ، قالت عائشة - رضي الله عنها - ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما دعا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا ، وقال ﷺ ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله رجلا يحقر إلا عزا ، وما من أحد تواضع لله إلا رفعه الله .

الباب الواحد والستون

ففي ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا هَوَاهُ وَأَحْلَاهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (٣) الآية . . قال ابن عباس ذلك الكافر اتبع هوىه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه

(١) (صحيح) أبو داود (٥٠٠٤) . وصحيح الجامع (٧٦٥٨)

(٢) آية (١٩٩) سورة الأعراف . (٣) آية (٢٣) سورة الجاثية

إليه ولا يعمل بكتاب الله فكأنه يعبد هواه . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ولذلك استعده ﷺ به بقوله اللهم إني أعوذ بك من هوى مطاع وشح مبيع ، وقال : ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح مبيع وإعجاب المرء بنفسه ^(٣) ودنت لأن كل معصية سببها هوى النفس فهو يعود إلى النار أعاد الله الله به . قال بعض المارفين إذا بدلك أمران لا تدري في أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب إلى هلاك فاحمله ، وفي هذا المعنى قال الشافعي - رضي الله عنه - :

إذا حال أمرك في معنيين ••• ولم تدرك حيث الخطأ والصواب

فخالف هواك فإن الهوى ••• يقود أنفوس إلى ما يصاب

وقال العباس إذا اشتد عليك رأيان مدح أحبهما إليك وخذ أثقلهما عليك ، وأصله أن الأمر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتلنى معرفته فيشره المرء إليه وتغرم النفس عليه ، والأمر الثقيل يصعب موقعه ويعد موضعه وتبطى معرفته فتكسل النفس به وتكره التعب به .

روى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال أقدموا هذه الأنفس فإنها طليعة تنزع بكم إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقيل مري . وإن الباطل خفيف ويرى وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ، وروى نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أودت حزنا طويلا . وقال لقمان لابنه أول ما أحذرك من نفسك فإن لكل نفس هوى وشهوة فإن أعطيتها شهواتها غادت وطلبت سواها ، فإن الشهوة كامة في القلب كمن النار في الحجر إن قدح أودى وإن ترك تولد .

قال بعضهم :

إذا ما أجببت النفس في كل دعوة ••• دعيتك إلى الأمر القبيح المحرم

وقال آخر :

إذا أتت لم تعص الهوى فادك الهوى ••• إلى كل ما فيه حبيك مقال

وقال غيره :

واعلم بأنك لن تسود ولن تری ••• طرق الرشاد إذا اتبعت هواك

(١) آية (٤٨) سورة المائدة

(٢) آية (٢٦) سورة ص

(٣) سبق تحريجه .

وقال :

إذا شئت أتيت الحمامد كلها ••• ونيل الذي ترجوه من رحمة الرب

فخالف هوى النفس الميثة إنه ••• لأحدى وأردى من هوى الحب

هما سببا حثف الهوى غير أن في ••• هوى الحب مهما عث بعد عن اللئب

وجل المعاصي في هوى النفس فاحتمد ••• خلاف الذي تهواه إن كنت ذا لب

وقال

إنارة العقل مكسوف بطرق هوى ••• وحقل حاصي الهوى يزداد تنويرا

وقال الفضل بن العباس :

لقد ترفع الأيام من كان جامعلا ••• ويردى الهوى ذا الرأي وهو لبيب

وقد محمد الناس الفتي وهو مخطئ ••• ويعمل في الإحسان وهو مصيب

وقال ﷺ : خلق الله العقل وقال له أتقبل فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أحب الخلق إلي ، وخلق الحق فقال له أتقبل فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أبغض الخلق إلي . . . ورواه الترمذي .

ولله در من قال :

وقد أصاب رأي عين الصواب ••• من استشار عقله في كل باب

وقد رأى أن الهوى مهما يجب ••• يدعو إلى سوء المواقف والعقاب

وأشد آخر :

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى ••• فلا تسعد النفس المطيعة للهوى

وخالف بها من مقتضى شهواتها ••• وإياك أن تحفل بمن ضل أو غوى

ودعها وما تدعو إليه فإنها ••• لأمر بالسوء من هم أو مدى

لعلك أن تنجو من النار إنها ••• لقاطعة الأمعاء نزاهة الشوى

ومأثورهم الهوى مركب ذميم يسير بك في ظلمات الفتن ومرتع وغيم يغمك في مواطن النجس فلا تحدث شهوة النفس على ركوب الخدماء والقعود في مواطن الخطيئة ، قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسي لطفتها وأنشد .

تجرد من الدنيا فباتت إنما •• سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد

نفساً نوم والأخرة يقظة والتموسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام من نظر معين
جوز حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية .

وقد رحمه : خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن
مع نكر أشكر الناس ، وقال رحمه : من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا حلا لم يعبا
به شيء من علمه (١) . قال إبراهيم بن أدهم الرهد ثلاثة مقامات فزهد فرض وهو الكف عن
محرّم ، وزهد سلامة وهو ترك الشهوات ، وزهد فضل وهو الزهد في الجسد ، وهذا تفسير
حسن . قال ابن المبارك الرهد إخفاء الزهد إذا عرب الزاهد من الناس لاطلبه وإذا طلب الناس
فلهرب منه .

وما أحسن قول القائل :

أتى وجدت فلا تظن غيبه •• إذا التورج عند هذا الدرهم
فإذا قطرت عليه لم تركه •• فاعلم بأن تلك تقوى المسلم
وليس الزاهد من زهد في الدنيا وقد أضرحت عنه وإنما الزاهد من أقبلت عليه
فجوى عنها وجهه وأثر الفلر منها كما قال أبو ناس .

إذا المرء لم يزهد وقد صبغت له •• بمصفرها الدنيا فليس بزاهد
وقال بعض الحكماء :

تباً لطلب دنيا لا يقصدها لها •• كأنما هي في تصرفها حلم
صفواها كسدر سراوها ضرر •• أمانتها ضرر أبوابها ظلم
شبابها هرم راحتها سقم •• لذاتها ندم وجدتها علم
لا يستفيد من الانكاد صاحبها •• لو كان يملك ما قد ضمنت لوم
محل عنها ولا ترك لزهرتها •• فإنها نعم في طيها نغم
واعمل لدار نعيم لا تضاد لها •• ولا يخلف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً ، وورعك لها اختصاراً ، وسعيك
بمعرازها وطلبك الآخرة ابتداراً .

الباب الثاني والسبعون

في صفة الجنة ومراتب أهلها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت حومها وضمومها وهي النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها
ومرورها فإن من يعد من إحداهما استقرار لا محالة في الأخرى لاستأثر الخوف من قلبك بطول
العكر في أهوال الجحيم واستأثر الرجاء بطول العكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنة ، وسق
نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم
من العذاب الأليم ، فتمتكو في أهل الجنة وفي وجوههم نظيرة النعيم يسفون من رحيق مختوم
جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام الدؤلؤ الرطب الأبيض فيها يسقط من العبقري
الأخضر متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهاره ومطرقة بالخرم والعمل محفوظة
بالعلماء والولدان مزينة بالخور العين من الخيرات الحسن كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمئن
أنس قلبهم ولا جان ، يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مثيها حمل أعطافها
سيمعون ألف من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار متوجات
بالتيجان المرسعة باللؤلؤ والمرجان شكلات ضجات عطرات أمات من الهرم واليؤس مقصورات
في الخيام في قصور من الياقوت ، يثب وسط روحيات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، ثم
يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء بنة للشاربين ، ويطرف عليهم
خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكتون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في
جنات وبهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نظيرة النعيم لا يرمقهم قتر
ولا ذل بل عباد مكرمون وبأنواع المنح من ربهم يتمتعون ، فهم فيما اشتتهت أنفسهم جالسون
، لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب الجنات آمنون ، فهم فيها يتمتعون ويأكلون من
أطعمتها ويشربون من أنهارها لبناً وحماً وحلاً وماء غير آسن ، أراغبها من فضة وحسابها
مرجان وتربها مسك أذهر ونباتها زعفران ، ويمطرون من سحب فيها من ماء النسيان على كثبان
الكافور ويؤتون بأكواب من فضة مرصعة بالنذر والياقوت والمرجان ، كوب فيه من الرحيق المختوم
مخرج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صعاء جوهرة يبدو الشراب من ورائه برفقه
وحمرته لم يصنعه آدمي ، فيقصر في تسوية صنعه وتحسين صنعه على كف خدام يحكي ضياء
وجهه الشمس في إشراقها ، ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداؤه وملاحاة
أحداقه ، فيها هجاء من يؤمر بدار هذه صنعتها ويقرن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الضجائع من نزل
بساتنها ولا تنتظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها ، كيف يأتس بدار قد أدن الله في خرابها وتها
يعيش فيها ، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش ••

ي. خذنان كان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصبر والتحصن من
هـ. كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متعمدون لهم في كل ما يشتهون هم في
الـ هـ معاء العرش يحضرون وإلى وجه الكرم ينظرون ويتناولون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه
بـ سائر نعم الحان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها

قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ينادي مناد يا أهل الجنة أت كنتم أن تصحوا فلا تسقموا
أ. وإن كنتم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً وأن كنتم أن تشبوا فلا تشبوا أبداً وأن كنتم أن تصحوا
هـ تساموا أبداً فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَتُؤْتُوا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ تَقْبَلُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ،
هـ هـ أرادت أن تعرف صفة الجنة فقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان والقرأ من قوله
هـ ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٢) إلى آخر سورة الرحمن ، وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من
الصور ، وإن أرادت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على
جمالها وتأمل أولاً (عند الجنان) .

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ قال جنتان من فضة
أيهما وما فيها هـ وجنتان من ذهب أيتهما وما فيها هـ وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم
إلا هذه الكبرياء على وجهه في جنة عدن هـ ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول
الطاعات كما أن أبواب النار بحسب المعاصي . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : هـ من
أعق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها والجنة ثمانية أبواب هـ فمن كان من
أهل الصلاة دعى من باب الصلاة هـ ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام هـ ومن كان من
أهل الصدقة دعى من باب الصدقة هـ ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد . فقال أبو بكر
رضي الله عنه : والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم
أ. جـ أن تكون منهم هـ (٣) .

وعن عاصم بن صبرة عن علي - كرم الله وجهه - أنه ذكر النور فظم أمرها ذكر آلا أحاطه نم
الـ ﴿ وَسُقِيَ الَّذِينَ آمَنُوا رَبُّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٤) حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده
هـ هـ يحرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحدهما كما أمروا به فشرى منها فأذهبت
الـ من عيونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة العيم فلا

(١) سورة الأعراف .

(٢) سورة الرحمن .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤١ ، ٣٢١٦) ، ومسلم (١٠٢٧) .

(٤) سورة الزمر

تعبير أشعارهم بعدها أبداً ولا شعث رؤوسهم كأنما دعوا بالدخان ثم انتهوا إلى الجنة هـ يقال
لهم حرسها ﴿ سلام عليكم طينتم مدحلوها حاندين ﴾ ثم تلقاهم الولد هـ يطعمون بهم كما
تطيف ولدن أهل الدنيا بالخيب يقدم عليهم من عيبة يقولون له أبشر أحد الله بك من الكرامة
كذا هـ وقال فينتطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين يقول قد جاءه فلان
باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا هـ فتقول أنت رأيت فيقول أنا رأيت وهو بأثرى فيستعصم المرح
حتى تقوم إلى أسكفة بأنها فإذا انتهى إلى منزلة نظر إلى أساس بنيانه فإذا جدد اللؤلؤ فوقه صرح
أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا هو مثل البرق ولولا أن الله
تعالى أقدره لألم بأن يذهب بصره ثم يطأ رأسه فودا أزواجه وأكواب موضوعة ومارق مصفونة
وروابي مشوطة . ثم اتكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله هـ ثم
ينادي مناد تحبون فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تطعمون أبداً وتصحون فلا تمضون أبداً .

وقال رسول الله ﷺ : أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحازن من أنت فأقول
محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك .

ثم تأمل الآن في ضرب الجنة واختلاف درجات الملوذ فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر
تمجيلاً هـ وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المعمدة تفاوتاً ظاهراً
فكذلك فيما يجازون به تماوت ظاهر هـ فون كست تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك
أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالسابقة والمداينة فيها فقال تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَبَلَى ذَلِكَ فليتأفسي المتأفسون ﴾ والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو
جيرانك بنزادة درهم أو بعلو بناء فهل عليك ذلك أو ضائق به صدرك وتنفص بسبب الحسد
عيشك هـ وأحسن أحوالك هـ أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا
توازيها الدنيا بحداقيرها .

فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : أن أهل الجنة يشرامون أهل الغرف فوقهم
كما تشرامون الكوكب الغائر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم هـ قالوا يا رسول الله
نلك منازل الأنبياء لا ينفعها غيرهم هـ قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين وقال أيضاً إن أهل الدرجات العلى ليأمرهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من
أفاق السماء وإن أنا بكر وعمر لمهم هـ وأنعم هـ وقال جابر قال لارسول الله ﷺ : ألا أحدثكم
بعرف الجنة قال نعم بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وأما قال هـ إن في الجنة عرفاً من
أصناف الجواهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من الثعيب واللدات والسرور
ملا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولم هذه العرف قال

إن أمتي اسلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قسايد رسول الله ومن بعض ذلك قال أمتي تطيق ذلك وسأحيركم عن ذلك من لقي أحياه فسلم عليه فقد أمتي السلام . من أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الأخيرة وصلى العشاء في الجماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس . وسئل رسول الله ﷺ حسن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْ طَائِفَةٌ لِي بِجَنَّتِ عَذَنُ ﴾ قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سيمون داراً من باقوت أحمر في كل دار سيمون بيتاً من زمرد أخضر . لي كل بيت صبر على كل فرقة زوجة من الخور العين ، لي كل بيت سيمون مائنة ، على كل مائنة سيمون لونا من الطعام ، لي كل بيت سيمون وصيفة ، ويعطى المؤمن في كل خدمة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع .

الفصل الثاني في الصبر والرضا والقناعة

أما فصل الرضا من الآيات فقوله تعالى ﴿ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَّوْا عَنْهُ ﴾ وقد قال تعالى ﴿ وَمَا كُنْ طَائِفَةٌ لِي بِجَنَّتِ عَذَنُ وَوَرَّوْا عَنْهُ ﴾ ومتى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى ، وقال تعالى : ﴿ خَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْإِحْسَانِ ﴾ فقد روي الله الرضا فوق جنت عدن كما روي ذكره فوق الصلاة حيث قال : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضا رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان . وفي الحديث : أن الله تعالى يتجلى للمؤمنين ، فيقول سلوني ، فيقولون ورضاك ، فسألهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسندكر حقيقة وأما رضا الله تعالى عن العبد فهو معنى آخر يقرب عما ذكرناه في حب الله للعبد ، ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذا تقصير أفعالهم الخلق عن حركه ، ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه وعلى الحملة بلا روية فوق النظر إليه فإنما سألوا الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه عبيد العبادات وأقصى . لأناس لما طغروا بعلم النظر ، فلما أسروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ إِذَا دَوَّاهُ وَوَدَّاهُ ﴾ أي إذا دواهم في الحلة في وقت الزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين . (جداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الحلة مثلها فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (٢) ولثانية السلام عليهم من ربهم ، فمريد ذلك على الهدية

(١) آية (٣٥) سورة ق .

(٢) آية (١٧) سورة السجدة .

مضيقاً وهو قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ (١) والثالثة يقول الله تعالى : ﴿ وَوَرَّوْا عَنْهُ ﴾ من الله أكبر (٢) أي من النعم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد .

وأما فضله من الأخبار فقد روى أن النبي ﷺ سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامة إيمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء ، فقال مؤمنون ورب التكعبة ، وفي خبر آخر أنه قال : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . وفي الخبر : طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى به . وقال ﷺ : من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل (٣) . وقال تعالى : إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه وإن رضى اصطفه . وقال أيضاً إذا كان يوم القيامة أثبت الله تعالى لطائفة من أمتي الجنة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتسعون فيها كيف شاءوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب ، فيقولون ما رأينا حساباً فتقول لهم هل جرم الصراط ، فيقولون ما رأينا صراطاً فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئاً ، فتقول الملائكة من أمة من أمتهم ، فيقولون من أمة محمد ﷺ ، فتقول شديداً الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا ، فيقولون خصلتان كانتا فينا فبعنا هذه للزلة بفضل ورحمة الله ، فيقولون وما هما ، فيقولون كنا إذا خلونا نستحي أن نعصي ونرضى باليسير عما قسم لنا ، فتقول الملائكة بحق لكم هذا .

وقال ﷺ : يا معشر المقراء أخطوا الله الرضا من قلوبكم تظنوا بثواب فركم ولا فلا (٤) وفي أخبار موسى عليه السلام - أن بنى إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى عليه السلام - إلهي قد سمعت ما قالوا : فقالوا يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى أؤذى عنهم .

وأما فضل الصبر فقد ذكر في القرآن في ثيف وتسعين موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والخير إلى الصبر وحسن ثمراته وجمع الصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر بطول .

أما الأخبار : فقد قال ﷺ : الصبر نصف الإيمان ، وقال ﷺ : من أقل ما أوتيتم بيقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا

(١) آية (٥٨) سورة يس .

(٢) آية (٧٧) سورة التوبة

(٣) ضعيف (تحف السادة ٩ / ٦٥٠) وضعيف الجامع (٥٦٠٦)

(٤) تحف السادة ٩ / ٢٨٣ و ٢٩٥

على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يراني كل امرئ منكم يمثل عمل جميعكم ، ولكنني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا فيفكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السعادة عند ذلك ، فمن صبر وحسب ظفر بكامل ثوابه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ مَا عِدَّكُمْ يَفْعَلْ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ بَاقٍ وَلَتَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ ﴾ الآية .

وروى جابر أنه - مثل ﷺ - عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة . وقال أيضا : الصبر كثر من كور الجنة ،^(١) وسئل مرة ما الإيمان فقال الصبر . وهذا يشبه قوله ﷺ الخبز عرفة معناه معظم الخبز عرفة ، وقال أيضا ﷺ : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النعمس^(٢) ، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - تخلق بأخلاق وإن من أخلاقني أنا الصبور . وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال : أمؤمنون أنتم ؟ فسكنوا فقال عمر نعم يا رسول الله ، فقال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء وترضى بالقضاء . فقال ﷺ : مؤمنون ورب الكعبة . وقال ﷺ : في الصبر على ما تكره خير كثير . وقال المسيح - عليه السلام - إنكم لا تتركون ما تحبون إلا يصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله ﷺ : لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأخيار في هذا لا تحصى ، وقال ﷺ : صبر من قبح ودل من طمع ، وقال ﷺ : القناعة كنز لا يفنى ونقدم الكلام على القناعة مرارا .

السبب الرابع والسبعون

في فضل التوكل

ومن الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(٣) وأعظم بقاء موسم بحبة الله تعالى صاحبه ، ومضمون بكفاية الله تعالى ملاجه ، فمن الله تعالى حسيه وكافيه ومحيه وراحيه بعد ناز العز العظيم فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ، ومن الأخبار قوله ﷺ : فيما رواه ابن مسعود رأيت الأم في الموسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرشيت قلت نعم قليل ومع هؤلاء سبعون ألف يدخلون الجنة مغفرة حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ، ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله ﷺ اللهم اجعله منهم فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ سبقك به عكاشة . وقال

(١) (مروض) كشف الخفاء ٢ / ٢٧

(٢) تخلف السادة ٩ / ٦ و ٢٥٥

(٣) آية (١٥٩) سورة آل عمران .

ﷺ : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خماسا وتروح بطنا . وقال ﷺ : من انقطع الله عز وجل كساه الله تعالى كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحسب ، ومن انقطع إلى السبا وكله الله إليها . وقال ﷺ : من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عده الله أولئ من يبي يديه .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال : قوموا إلى الصلاة ويقول هذا أمرى ربى عز وجل . قال عز وجل : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية . . وقال ﷺ لم يتوكل من استرقى واكتوى .

وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم - عليهما السلام - وقد رمى النار بالمجنونيك لك حاجة قال أما إنيك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أحس ليرمى فأمر الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَلى ﴾ ، وأوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - : يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقى فتكفيه السموات والأرض إلا جعلت لها صخرجا . وقال سعيد بن جبيرة لدغتي عقرب فأقسمت على أمي لتسترين فتناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت ﴾ إلى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته .

وقال بعض العلماء لا يشعلك للمضمون لك من الرزق عن اللغرض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد . وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن من ربي من أين يطعمس . وقال بعضهم متى رغبت بالله وكبلا وجدت إلى كل خير سبيلا . . نسأل الله الأبد .

السبب الخامس والسبعون

في فضل المسجد

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا بُنِيَ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(١) وقال ﷺ : من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطرة بنى الله له قصرا في الجنة^(٢) ، وقال ﷺ : من ألب المسجد ألفه الله تعالى ، وقال ﷺ : إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس .

(١) آية (١٨) سورة التوبة

(٢) (صحيح) أحمد ١ / ٢٤١ ، ومجمع الروائد ٢ / ٧

وقال ﷺ : لا صلاة لحار ، مسجد إلا في المسجد ،^(١) وقال ﷺ : الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي فيه تقول : اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يعرج من المسجد . وقال ﷺ : يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون المساجد فيقدمون فيها حلقة حلقة فذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يخالسهم فليس لله بهم حاجة . وقال ﷺ : قال الله عز وجل في بعض الكتب إن بيوتى في أرضي المساجد وإن روارى فيها عمارها بطوبى لعبد تطهر في بيته ثم رارى في بيته فحق على المروء أن يكرم رآته . وقال ﷺ : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا غيرا

ويروى في الآثار أو الخبر : الحديث في المسجد يأكل الحسنة كما تأكل البهائم الحشيش وقال السجعي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم ترل الملائكة وحمة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه . وقال علي كرم الله وجهه إذا مات العبد يركب عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾^(٢) وقال ابن عباس تكيى عليه الأرض أربعين صباحا . وقال عطاء الخراساني ما من عبد سجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ويكتب عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا انتشرت على ما حولها من البقاع وانتشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهائها من سبع أرضين وما من عبد يقدم صلى إلا تزخرت له الأرض . ويقال ما من منزل يتزل فيه قوم لا أصبح فلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم .

باب السنين والسنين

في الرياضة وفصل أهل الكرامة

أعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا أبصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نادرة لم تحف عنه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم لقى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه ممن أراد أن يعرف نفسه هذه أربعة طرق (الأولى) أن يجلس بين يدي شيخ يصبر بعيوب النفس مطلع على حقايق الآفات ويحكمه في نفسه وينشع إشارته في مجاهدته وهذا شأن المريء مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه

(١) (ضميف) البيهقي ٣ / ٧٥ ، وضميف الجامع (٦٢٩٧)

(٢) آية (٢٩) سورة النحل

وشيعه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا عز في هذا الزمان وجوده ، (الثاني) أن يطلب صديق بصيرا متديبا فيصبه رفيق على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله مما كره من أفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة يسهه عليه فهكذا كان يعمل الأكياس والأكابر من أئمة الدين .

كان حمير - رضي الله عنه - يقول ورحم الله امرأ أهدي إلى عيبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذي بلغك مني فما تكرهه فاستمعني فأخبر عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حنتين حلة بالنهار وحلة بالليل ، قال وهل بلغك غير هذا قال لا ، فقال أما هذان فقد كميتهما . وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب مر رسول الله ﷺ في المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه - رضي الله عنه - فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قل في الأصدقاء من يترك الملاحظة فيخبر بالعيوب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك من حسود أو صاحب فرس يرى ما ليس بهيب هيبا أو من مداهن يحصى عنك بعض عيوبك ، ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخلط الناس فقال ولما أصنع يا قوم يخفون عني عيبي . فكانت شهوة قوى الدين أن يتبها لعيوبهم بتبهم غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من يتصنعا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لناغة فلو نبهنا عنه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقللنا منه مة وفرحتا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإعدادها وقتها وإنما تكايتها على البدن ويدوم منها يوما فما دونه ونكاد الأخلاق الرديئة على صميم القلب أنحشى أن تلوم بعد الموت أبنا أو الأقا من الستين ثم لنا لا نفرح بمن نبهنا عليها ولا نشغلنا بارتها بل شغل بمقابلة الناصح بمثل مقابله فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت ونشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أخرتها كثرة التوب . وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصبرنا ويشغلنا بمذلوكتها ويرفقا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا منه وفصل :

الطريق (الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن حين السخط تبدى ولعل انتفاع الإنسان بمذو حشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويحصى عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدح وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساوئه لا يد وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق (الرابع) أن يحاطب الناصح فكل ما رآه مذموما فيها بين الخلق فليطالب نفسه بها ويسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطبع مقاربه في

اتبع الهوى ، فما يتصف به واحد من الأقران لا يتفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليست نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره ، وباهيك يهنا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لا يستعنوا عن المؤدب .

واعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمر أصها وأدويتها بوز العلم واليقين فإن عجزت عن ذلك فلا يبقى أن يعوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد لأن للإيمان درجة كما أن العلم درجة ولعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ فمن صدق بأن مخالفه الشهوات هو الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا ، وإذا اطلع ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الإيمان بهذا الأمر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَنبِيءُ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنَّ الْهَوَىٰ هُوَ الْفَاسِدُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَلَوْ تَكُبُّونَ أَلْبَيْنَ لَخَسَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلْعُقُوبِ ﴾ قيل نزع منها محبة الشهوات . وقال ﷺ : « المؤمن بين خمس شذائد مؤمن يحمده وموافق يفضيه وكافر يقاتله وشيطان يضلّه ونفس تآزره » (١) . فبين أن النفس حلو نازع يجب عليه مجاهدتها .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود - عليه السلام - يا داود حذر وأندر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محبوبة ، وقال عيسى - عليه السلام - طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لم يعود غائب لم يره . وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد : مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس وقال ﷺ : « المحاهد من جاهد نفسه بى طاعة الله عز وجل » (٢) . وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد على من نفسه مرة لى ومرة على ، وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتعمقين ولا لى طلب الآخرة مع العباد تتهتدين كأنى بك بين الحلة والنار تحسبين يا نفس ألا تتعنين . وقال الحسن م الدانة المصوح بأخوج إلى النجاشى الشديد من نفسك . وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسيايف الرياضة الرضائية والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والمحض من سام وإحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيولد من فنه الطعام موت الشهوات وموت له انهم صغر الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات

وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن

الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها متهورا معلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتنتع قلبه من الموالد . وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم . وقال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات فقد خرس فى قلبه شجر الندامات . وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحيز فهو شهوة ، وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا ملتبها للذل .

ويرى أن امرأة العزيز قالت ليوسف - عليه السلام - بعد أن ملك خزائن الأرض وتعدت له على رابية الطريق فى يوم موكب وكأن يركب فى زهاء اثنى عشر ألف من عظماء مملكته سبحانه من جمع الملوك عبيدا بالمصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن احرص والشهرة صبرا الملوك عبيدا وذلك جزاء الفضلين وأن الصبر والتقوى صبرا العبيد ملوكا . فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه . ﴿ إِنَّهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) ، وقال الجليل أرقت ليلة لقيت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل يلتفت فى حياء مطروح على الطريق ، فلما أحس بى قال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد ، فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال : فمتى يصير داء النفس دواها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال إسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات نأيت أن تسمع به إلا من الجنيد ها قد سمعته ثم اتصرف وما صرفته . وقال يزيد الرقاشى إليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة . وقال وجعل لعمر ابن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - متى أتكلم قال إذا اشتبهت الصمت قال متى أصمت قال إذا انتهت الكلام . وقال على - رحمه الله عنه - من أشتد إلى الجنة سلا من الشهوات فى الدنيا .

الباب السابع والسبعون

فى الإيمان والتفان

اعلم أن كمال الإيمان الذى هو التصديق بوحدة بية الله تعالى وبما جاءت به الرسل - صلوات الله عليهم - بزيادة الأفعال . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ مِن أَمْرٍ

بانه و يوم لاخر و ملائكة و كتاب و النبيين ﴿ شرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على شدة بدنه من من تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ ﴾ الآية .
 وقد قال تعالى ﴿ هُمُ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وقال ﴿ الْإِيمَانُ عَزَازٌ وَلِيَامَهُ الشَّغْوَى ﴾ الحديث
 وقال ﴿ الْإِيمَانُ يَصْعَ وَيَسْعَمُونَ بِأَيِّ أَدْنَاهَا إِصْحَابُ الْأَدَى مِنَ الطَّرِيقِ ، فهُدَا مَا يَهْدِلُ عَلَى ارْتِبَاطِ كَمَالِ الْإِيمَانِ بِالْأَعْمَالِ وَأَمَّا ارْتِبَاطُهُ بِالْبِرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ وَ : كَيْفَ الْخَصِي فَقَوْلُهُ ﴿ أَرْبَعٌ مِنْ كَيْفِهِ مَهْرٌ مَسَاقٌ خَالِصٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ مِنْ إِذَا حَدَّثَ كَلْبٌ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتَّكَمَ خَانَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ . وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ إِذَا جَاهَدَ فَخَرَّ . وَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَكْثَرُ مَنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةَ قُرَاؤُهَا . وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرْكَ أَخْضَى فِي أُمَّتِي مِنْ فَيْسَبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا . وَقَالَ حَلِيفَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ الْكَلِمَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَصِيرُ بِهَا مَنَافِقًا إِلَى أَنْ يَمُوتَ وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ .

وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يروى أنه يرى من النفاق . وقال حليفة المانفون اليوم أكثر منهم على عهد النبي ﷺ فكانوا إذ ذاك يخفونهم وهم اليوم يظهرهم وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله وهو عفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى من فقد نيل للحسن البصري يقولون : إنه لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المانفون لا ستوحشتم في الطريق : وقال هو لو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قبلونا أن نطأ على الأرض بأقدامنا وسمع ابن عمر - رضى الله عنه - رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكت تتكلم فيه فقل لا ، فقال كنا بعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة . وقال أيضا ﷺ شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، وقيل للحسن إن قوما يقولون إننا لا نخالف النفاق فقال والله لأن أكون أهمل أنى يرى من النفاق أحب إلى من تلال الأرض ذعبا ، وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والملافة والمداخل والمخرج . وقال رجل لحليفة - رضى الله عنه - إى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خعت النفاق إن المنافق قد أس من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين وفاة ، وفى رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يحافون النفاق .

وروى أن رسول الله ﷺ كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الشاء عليه فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق بعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال ﷺ أرى على وجهه سمعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبي ﷺ شدت الله

هل حدثت نفسك حين أشرت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ، فقال اللهم نعم ، فقال ﷺ فى دعائه اللهم إنى أستعيرك لما عمت ولما لم أعلم فقبل له أتخاف يا رسول الله ، فقال وما يؤمنى والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَسُوا اللَّهَ مَا لَمْ يَكُفِّرُوا بَعْثُهُمْ فِي الْقُلُوبِ ﴾ قيل فى التعبير عمرو . أعمالا طورا أنها حسنت فكانت فى كفة السيئات . وقال سرى السفلى لو أن إنسانا دخل بيتنا ليه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخطبه كل طير منها بلسة فقال السلام عليك ، ولى الله فسكتت نسه إلى ذلك كان أسرا فى يديها . فهذه الأخبار والآثار تمرعك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الحصى وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين . وقال أبو سليمان النخاس إنى سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخعت أن يأمر بقتلى ولم أحب من الموت ولكن خشيت أن يعرض نقبى التبريد للحلق عند خروج روحى فكفمت وهذا من النفاق الذى يضاد حليفة الإيمان وصدقه وكماله وصعاله لا أصله ، فالتفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويعلق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يفضى بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص درجات عشرين ويحط من رتبة الصديقين .

الباب الثامن والسبعون

فى النهى عن الغيبة والنميمة

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحْبِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِمَّا فُكِّرَ حَمَرُهُ ﴾ وقال - عليه السلام - كل المسلم على المسلم حرام فمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم . وقال أبو هريرة قال - عليه السلام - لا تهاشوا ولا تهاشوا ولا تتأجشوا ولا تدابروا ولا يفتب بعضكم بعضا وكوتوا عباد الله إخوانا . وعن جابر وأبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ : إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا وإن الرجل قد يزنى ويتوب فیتوب الله سبحانه عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه . وقال أنس قال قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمسون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يفتابون الناس ويقعون فى أعراضهم . وقال سليمان بن جابر أتيت النبى - عليه الصلاة والسلام - فقلت عدسى حبرا أنتع به ، فقال لا تحقر من المعروف شيئا ولو أن نصب من دلوك فى إساءة المستقى وأن تلقى أحاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تقته .

وقال البراء حطينا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال : يا معشر من آمن

وقول الآخر :

يسى عليك كما يسمى إليك فلا ••• تأمن غوائل ذى وجهين كيهاد

الباب التاسع والسبعون

فى بيان معاداة الشيطان

قال ﷺ : فى القلب لثان لمة من الملك لإبعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله وله من العدو إبعاد بالشر وتكليب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ الآية . . وقال الحسن إنما هما ممان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضا وما كان من عدوه جامدا ، وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت إلى العلاء بن زياد ما أبعد فى صفوى من الرسوسة فقال إنما ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص لأن كان فيه شيء حاجوه ولا مضوا وتركوه يعنى إن القلب الخالى من الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنْ عَادَى اتَّيَسَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك لا يدخله الشيطان وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَعْزَازُهُ هَوَاهُ ﴾ وهو إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ، ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى ﷺ يا رسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقرأتى فقال ذلك شيطان يقلل له شرب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن سارك ثلاثا قال فعلت ذلك فأذهب الله عنى .

وقى الخبر أن لئوضوه شيطانا يقال له الولهان فاستعملوا ماله منه ، ولا يمحوا وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر فى القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يحوز أيضا أن يكون محالا للشيطان وذكر الله وهو الذى يؤمن جانيه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بصدده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعانة والتبصر عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون العالين عليهم ذكر الله تعالى وإن الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الغفلات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الدَّيْسَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّكُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا إِذْ هُمْ مُبْهَرُونَ ﴾ وقال مجاهد فى معنى قوله تعالى ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ عد هو مسيطر على القلب هوذا ذكر الله تعالى غنى وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى

ووسوسة الشيطان كدبصار بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتصادمها قال الله تعالى : ﴿ استعوذ عيهم شيطان فاسقهم ذكر الله ﴾ وقال أس بن رسول الله ﷺ : من الشيطان وضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خمس وإن مى الله تعالى التغم قلبه ، وقال ابن عباس : وضاح فى حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يشب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجهه وجه من لا يقلح وكما أن الشهوات محتزجة بلحم ابن آدم وحمه فسلطنة الشيطان أيضا صارية فى لحمه ودمه ومحيطه بالقلب من جوانبه .

ولذلك قال ﷺ : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيخوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجرى الشيطان الشهوات ولا أجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه ، قال الله تعالى يخيارا عن إبليس ﴿ لَا تَعْبُدْ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ثم لا تبتهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم . . وقال ﷺ : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرفة فقعده له بطريق الإسلام فقال أسلم وترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسعائك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكبح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد ، وقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة .

الباب الثامنون

فى بيان المحبة ومحاسبة النفس

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله ﷺ وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إثبات المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء فى الدنيا وهنا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة محبة من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتع الألسن عن عبارته ، وقال مجاهد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بمحبة فإذا رآه المحبوب رآته المحبة ، وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله إظهار أن تذل لغير الله . وقيل للشبلى رحمه الله صف لنا الماوف والمحبة فقال الماوف إن تكلمت هلك والمحبة إن سكنت هلك وأنشد الشبلى حبه الله :

يا أيها السيد الكريم ••• حبك بين الحشا مقيم

يا رافع السنوم عن جفونى ••• أت بمما مرمى هليم

وقالت رابعة العدة به ما ممة ••• حب ففالت عادمة لها حسبا معا ولكن الدنيا

قطعتنا عنه ، وقال ابن الجلاء - رحمه الله تعالى - أوحى الله تعالى إلى عيسى - عليه السلام - إنني إذ أعلمت على سر عبيد فلم أجده فيه حبه الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته بحفظي ، وقبل تكلم رسول يوماً في المحبة فإذا بطائر تزل بين يديه فلم يزل يتنقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه ممات ، وقال إبراهيم بن أدهم إني إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وأنستني بذكرك وغرقتني للتفكير في عظمتك ، وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمر يندو ويروح في لاش والعافل عن عيوبه تماش .

وأما محاسبة النفس فقد أمر الله بها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا إِلَهُكُمْ فَتُحْشَرُوا لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر - رضي الله تعالى عنه - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أوصني أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإذا كان رشداً فامضه وإن كان حياً فأنته عنه وفي الخبر وينبغي للعافل أن يكون له أربع مساعات منها ساعة يحاسب فيها نفسه قال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ نُصْرَةٌ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٢) والتوبة نظر في العمل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي ﷺ إني لأستعصر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهِمْ خَوْفٌ أَوْ بَأْسٌ قَالُوا ذَلِكَ هُوَ الَّذِي مَسَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣) .

وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شركه والشرك كان يحاسبان بعد العمل .

وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أن أبا بكر - رضوان الله عليه - قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلى من هموم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها ، وحدث أبي طلحة حين شمله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندماً ورجاء للمرء بما فاتته ، وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلمانك ما يكفيك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره . وقال الحسن المؤمن قوم على نفسه يحاسبها الله وإنما يخف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم

(١) آية (١٨) سورة الحشر

(٢) آية (٣١) سورة التور .

(٣) آية (٢٠١) سورة الأعراف

القبلة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يجعله الشيء يعنيه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات جبل بيني وبينك هذا حسلب قبل العمل ثم قال ويصير من الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعوذ لهذا أبداً إن شاء الله .

وقال أنس بن مالك سمعت عمرو بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعت يقول ويسى وبينه جدار وهو في الحائط عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين مع بنخ والله لتتقين الله أو ليبلبنك . وقال الحسن في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْسَمُ بِالنَّفْسِ الْكَرِيمَةِ ﴾ (١) قال لا يلقى المؤمن ألا يمات نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والقاجر يمضي قدماً لا يعاقب نفسه ، وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - ورحم الله عبداً قال لنفسه ألسنت صاحبة كذا ألسنت حاسبة كذا ثم دعها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قالدا وهذا من معاتبة النفس ، وقال ميمون بن مهران التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانت أبنائها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدنها وأعانت من سلاسلها وأغللها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدني فقالت تريد أن أورد إلى الدنيا فأحمل صالحاً قلت فأنت في الأمانة فاعمل . وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول ورحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحاسب إلى غيره ، ورحم الله امرأ أخذ يعتان عمله فنظر ماذا يريد به ، ورحم الله امرأ نظر في مكياله ، ورحم الله امرأ نظر في ميزانه فمارال يقول حتى أبتكني وحكي صاحب للأحرف بن قيس قال كنت أصعبه فكان عامة صلاته بالليل الدهاء وكان يجرى إلى المصباح فيضع فيه إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

الباب الحادي والثمانون

في بيان تلبيس الحق بالباطل

قال رسول الله ﷺ فيما رواه معقل بن يسار : يأتي على الناس زمان يحلق فيه القرآن في قلوب لرجال كم تحلق الشياطين على الأعداء أمرهم كله يكون طمعاً لا حروف معه إن أحسن أحدهم قال يقتل منى وإن أساء قال يقتل منى فأعجب أنهم يصحون الطمع موضع الحروف لجهلهم

(١) آية (٣) سورة الصافات

تحريرات القرآن وما فيه ، ومثله أخبر أنهم النصارى ، إذ قال تعالى : ﴿ لفلح من يقدم خلف
ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيخرقنا ﴾ (١) ومعه أنهم ورثوا الكتاب أى هم
عصاة ، يأخذون عرض هذا الأدنى أى شهرتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا ، وقد قال تعالى :
﴿ ولمن خلف مقام رب جنتان ﴾ (٢) ، ﴿ لمن خلف قافى وخاف وعبد ﴾ (٣) والقرآن من أوله تحذير
وتحذير لا يتمكر فيه متفكر إلا وطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وبنى الناس
بهلونه هذا بخروج الحروف من محاججها ويتطاولون على خصمها ورفعها ونصبها وكأنهم
يتفردون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم فرور
يزيد على هذا وقرب منه فرور طوائف لهم طاعات ومعاصى إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقفون
الخفزة ويظنون أنهم ترجع كفة حسنتهم مع أن ما فى كفة السيئات أكثر هذا غاية الجهل فترى
الواحد يتصدق بلواهم معبوده من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين
والشبهات أضاعه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف
دوهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دولام فى
كفة ميزان وفى الكفة الأخرى ألف وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله
ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا حمل
طاعة حفظها واحمد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يقتات
للمسلمين ويمزق أراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعند ويكون نظره
إلى هدد سبحانه أنه استغفر الله مائة مرة وعمل من هدايته طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل
تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعد الله بالعقاب على كل كذبة فقال
﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ لهذا أيضا تأمل فى فصائل التسييمات والتحذيرات ولا
يلفت إلى ما ورد من عقوبة المعتابين والكاذبين والناسمين والمناققين الذين يظهرون من الكلام
مالا يضرهم إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الفرور ، ولعمري لو كان الكرام
الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هدايته الذى زاد على تسيحه لكان حد ذلك يكف
لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به لى قرائته كان يعلم ويحسب ويوازن بتسييماته حتى لا
يعضل عليه أجرة نسخه فىا عجا لما يحاسب نفسه ويحشأ خوفا على قيراط بقوته فى الأجرة
على السمع ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا عصبية عظيمة لم تمكر
مبها قعد دفعنا إلى أمر أن شككنا فيه كنا من الكفرة الخالدين وأن صدقنا به كنا من الحمقى
المعرويين ، فما هذه أحمال من يصدق بما جاء به القرآن ولما نبرأ إلى الله أن تكون من أهل
الكفران فسبحان من صدقنا عن التنبيه واليقين مع هذا البيان .

الباب الثاني والثمانون

في فضل صلاة الجمعة

قال علقمة : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة . همت أن أمر رجلا يصلي بالناس ثم أعتاق إلى رجال يتخفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدكم أنه يجد عظما ميتا أو مواتين لشهدا . . حتى صلاة العشاء .

وقال عثمان - رضي الله عنه - مرفوعاً من شهد المشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة . وقال عطاء : « من صلى صلاة من جماعة فقد ملأ بجره عبادة » (١) وقال سعيد بن المسيب ما أرى مؤذناً منذ عشرين سنة إلا وأبى المسجد . وقال محمّد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة : أخا أن تموت قومى وقوتاً من الرزق هموا بغير تبعه وصلاة مع جماعة يرفع هى سهوها ويكتب لى فضلها .

وروي أن أبا حيدة بن الجراح لم قوما فلما انصرف قال ما زال الشيطان يبي أنفا حتى رأيت أن لي فضلا على غيري لا أؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يحتفل إلى العلماء . وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس يغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتت الصلاة في الجماعة ففتراس أبو إسحاق البخاري وحده ولو مات في بلد لم يترك أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أعون هند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس رضي الله بهما من سمع المتأدي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - لأن محمداً أدب ابن آدم وصاحباً مذنباً خير له من أن يسمع الفناء ثم لا يجيب .

وروي أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقبل له إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لأفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق . وقال **عنه** : « من صلى أربعين يوماً الصلوات في جماعة لا تقوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبرائة من النار » ^(٢) . وعنه أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالنكوك البدرى فنقول لهم الملائكة ما كنتم أعمالكم فيقولون كذا إذا سمع لأداب قضا إلى العهارة لا يشعب غيرهم ثم تحشر طائفة وجوههم كالأنهار فيقولون بعد السؤال كنا نتوغلأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأدل في المسجد .

(٦) الحرف المزدوج / ١٤ .

(٢) المدخل المتناهي ١ / ٢٥

وروي أن السلف كانوا يحزرون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعززون سبعا إذا فاتتهم الجماعة

الباب الثالث والثمانون

فصل صلاة الليل

أما من الآيات فقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَمَلَكُمْ أَنْتُمْ مِنَ اللَّيْلِ﴾ (١) الآية . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ مِنْ أَشَدِّ وَطْأٍ وَأَلْوَمٍ قِيلًا﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ﴾ . وقوله تعالى : ﴿أَمِنْ هُوَ فَاثَتْ آفَاءَ اللَّيْلِ﴾ الآية . . . وقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَسْبَغُوا بِالْمَاءِ رَأْسَهُمْ وَالصَّلَاةَ﴾ قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر على مجاهدة النفس

ومن الأخبار : قوله ﷺ : «يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نائم ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فلقد فُتِنَ استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توهأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح غيبثا غيبث النفس كسلان (٢) . وفي الخبر أنه ذكر عند رجل نائم كل الليل حتى أصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان في أذنه . وفي الخبر أن للشيطان سموطا ولعوطا ودورا فإذا أسقط العبد ساء خلقه وإذا ألغقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذوره نام الليل حتى يصبح . وقال ﷺ : «ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل حير له من الدنيا وما فيها ولو أن أشق على أمتي لمرغبتها عليهم (٣) . وفي الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ قال : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه ، وفي رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة . وقال المغيرة بن شعبه قام رسول الله ﷺ حتى تقطرت قدماء قليل له أما قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا . ويظهر من معناه أن ذلك كثافة من زيادة القرينة فإن الشكر سبب المزيد . قال تعالى : ﴿فَمَنْ شَكَرْتُمْ لَا يَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٤) وقال ﷺ : يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبموتا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا . وقال ﷺ : «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرقة للداء من

(١) آية (٢٠) سورة المزمل

(٢) صحيح البخاري (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦)

(٣) صحيح البخاري (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦) ، وصحيح الجامع (٣١٣٧) .

(٤) آية (٧) سورة إبراهيم

الحسد ومنتهاة عن الإثم (١) . وقال ﷺ : ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فعليه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان ثمره صدقة عليه . وقال ﷺ لأبي ذر : لو أردت سقرا أصعدت له حدة قبل بمع قد فكيف سمر طريق القيامة ألا أبيتك يا أبا ذر عما ينفعك ذلك اليوم قال بلى أبيت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم الشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لمعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها لو كلمة شر تسكت عنها .

وروي أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ مضاجعهم وهذأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : إذا كان ذلك فادنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا معلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى برز جبرائيل - عليه السلام - وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة . ويروي أن جبرائيل - عليه السلام - قال للنبي ﷺ : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأجبره النبي ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأفرك لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد فيستعفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ليلة من حبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت على المردوس إطلاعة لذاب شحمك ولزهدت نفسك إشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم إطلاعه لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلود بعد المسوح . وقال رسول الله ﷺ رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أبغض امرأته فصلت فإن أبغضت نضح في وجهها الماء وقال ﷺ رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أبغضت زوجها فصلت فإن أبغضت نضحت في وجهه الماء . وقال ﷺ من استيقظ من الليل وأبغض امرأته فصلت ركعتين كتبنا من الذاكريين الله كثيرا والناكرات . وقال ﷺ : أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل . قيل كان الإمام البخاري - رحمه الله عنه - كثيرا ما يمثل بهذين البيتين .

احتنمت في الفراغ فضل ركوع * * * فحسب أن يكون موتك بقنفة

كم صحيح رأيت من غير سم * * * خرجت نفسه الصحيحة فنته

(١) صحيح الترمذي (٢٥٤٩) ، وصحيح الجامع (٣٧٨٩)

فلس معقوبة علماء الدنيا

عجبت لمتاع الضلالة بالهدى •• ومن يشتري ديناً بالدين أعجب
وأعجب من هدين من باع دينه •• يلعبا سواء فهو من ذين أعجب

باب الخمس والثمانون
في فضل حسن الخلق

(١) آية (١٢٥) سورة النساء
(٢) آية (٤) سورة القلم

فيطمعه، سر . وقال المعصّل قيل لرسول الله ﷺ إن ملائكة تصوم النهار وتقوم الليل وهي مبيّنة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار . وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما يروى في الميزان حسن الخلق والسخاء » (١) . ولما خلق الله الإيمان قال اللهم قوّي قلوبهم بحسن الخلق والسخاء . ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوّي قلوبهم بالقول والبدل وسوء الخلق . وقال ﷺ : إن الله استخلص هذا الذي لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا مريباً ديبكم بهما . وقال عليه السلام - حسن الخلق خلق الله الأعظم . وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً . وقال ﷺ : إنكم لن تسمعوا الناس بأموركم فسمعهم يسطر الوجه وحسن الخلق . وقال أيضاً ﷺ : سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلق العمل . وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إنك امرؤ قد حسن خلقك فحسن خلقك .

وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً . وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقى . وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال كرم المؤمن دينه وحسن خلقه ومروءته عقله . وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ يقولون ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن . وقال ﷺ : إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتقوا بشيء من عمله تقوى تحجروه من معاصي الله وحلم يكف به السفه أو خلق يعيش به بين الناس . وكان من دعائه ﷺ في استئذان الصلاة اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهني لأحسنها إلا أنت واصبر عني سيئها لا يصبر عني سيئها إلا أنت . وقيل فيم التجميل ؟ قال في لطف الكلام وإظهار الشر والابتسام فمن لقي الناس بالإحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يحف عليهم جنبه ويحمد إخاؤه كما قال

إذا حسيت خصال الخير أجمعها ••• فضلاً وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرز ••• والشكر من خلقه في السر والعلن

الباب السادس والثمانون

في الضحك والبكاء واللباس

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ آمَنَ هَذَا الْخَبِيثُ ﴾ في القرآن « تعجبون » منه تكديماً « وتضحكون » منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى « ولا تكون » خوفاً وانزعاجاً لما فيه من الوعيد « وأنتم سامنون » لا هون عاقلون عما يطلب عنكم . قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي ﷺ بعد ذلك إلا أن يتسم . وفي لفظ فما روى النبي ﷺ ضحكاً ولا مبتسماً حتى ذهب من الدنيا . وعن ابن عمر - رضى الله عنه - قال خرج النبي ﷺ ذات يوم من المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون موقف ومعلم عليهم ثم قال أكثرنا ذكر هادم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً . ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عطني قال يا موسى إياك والمجاجة ولا تمسني بخير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعبر الخطأتين يتخطاهاهم وإياك على خطيئتك . وقال ﷺ : كثرة الضحك تغيث القلب . وقال ﷺ : من ضحك لشبهه بكى لهرمه ومن ضحك لعناه بكى لغيره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال ﷺ : اقرأوا القرآن فإن لم تتكروا فبأكروا . وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ لَبِضْضَكُمْ قَلِيلًا ﴾ أي في الدنيا « وليبكروا كثيراً » في الآخرة « جزاء بما كانوا يكسبون » وقال أيضاً يا عجباً من ضحكك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت . وعن رضى الله عنه - بشاب يضحك فقال له يا بني هل جزأت على الصراط قال لا قال هل تبين لك أنك تصير إلى الجنة قال لا قال فعبم الضحك فما روى الشاب ضحكاً بعد ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكى . وملك الله تعالى أقواماً بالبكاء فقال تعالى : ﴿ وَتَحَرُّونَ لِلذُّقَانِ يَكُونُ ﴾ وعن الأوزاعي في قوله تعالى ﴿ مَا لَهَذَا الْكِتَابِ لَا يَقْرَءُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَا ﴾ قال الصغيرة التيسم والكبيرة التفهنة وقال ﷺ : كل حين يأكية يوم القيامة إلا ثلاثاً عينا بكيت من حشية الله وعجب فضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله تعالى . ويقال ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والأكل من غير جوع والكلام في غير حاجة وكان رسول الله ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضراء وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفوتوا فيها موتاكم . وكان له ﷺ قباء مشتمس فيبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها مشمرة فرق الكعبيين ويكون الأرو فوق ذلك إلى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت أم سمية بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئاً قط كان أحسن من بياضك على سواده . وكان ﷺ إذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأجمل به في الناس وإذا

نزع ثوبه أخرجته من ميامره وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا الله لا كان في ضمان الله وحرزه وغيره ما واره حيا وميتا . وكانت له علة هبادة تفرش له حينما تنقل تنس طافين تحته وكان يتم على الحصر ليس تحته شئ غيره .

الباب السابع والثمانون

في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء

قال عليه السلام : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى (١) » . وقال عليه السلام : ما من شفيح أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن . وقال عليه السلام : أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن وقال عليه السلام : خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال عليه السلام : إن القلوب لتعصدا كما يصعد الحديد فقيط يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت ، وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلهو مع من يلهو تعظيما لحق القرآن . قال أيضا من قرأ عاتقة سورة الحشر حين يصبح لم مات من يومه عظم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليته عظم له بطابع الشهداء .

وأما فضل العلم والعلماء فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة قال عليه السلام : من يرد الله به خيرا يلقه في الدين ويلهمه رشدا . وقال عليه السلام : العلماء ورثة الأنبياء . ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال عليه السلام : أفضل الناس للؤمن العالم الذي إذا احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه . وقال عليه السلام : أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل . وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا ففهم على ما جاءت به الرسل . وقال عليه السلام : « لموت قبيلة أيسر من موت عالم (٢) » وقال عليه السلام : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء (٣) » . وقال عليه السلام : لا يشيع عالم من علم حتى يكون منه الجنة . وقال عليه السلام : هلاك أمتي في شيئين ترك العلم وجمع المال . وقال عليه السلام : كن عالما أو متعلما أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة أي مبخضا فتهلك . وقال عليه السلام : أفة العلم الخلاء . ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرئاسة فقد عدم التوفيق والسياسة ، قال تعالى : « ما صرف هم آياتي الذين يكفرون في الأرض بغير الحق (٤) » وقال الشافعي - رحمه الله عنه - من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقبلوه ومن تعلم الحديث قويت حججه ومن تعلم الحساب جزل رأيه

(١) تخالف السادة ١ / ٧٣

(٢) تخالف السادة ٤ / ٤٦٣

(٣) (موضوع) تخالف السادة ١ / ٤١ ، وضممت الجامع (٦٤٤٧)

ومن تعلم العربية وق طبعه ومن لم يعز نفسه لم ينعمه علمه . وقال الحسن بن علي - رحمه الله عنهم - من أكثر مجادبة العلماء أعلل عقل لسانه وفتح مراقي دهره وسره ما وجد من الريادة في نفسه وكانت له ولاية لما يعلم وإفادة لما تعلم . وقال عليه السلام : اذرد الله عبدا حفر عليه العلم . وقال عليه السلام : لا فقر أشد من الجهل .

الباب الثامن والتمانون

في فضل الصلاة والزكاة

إعلم أن الله تعالى جعل الركاة إحدى مبادئ الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي التي أعلل الأعلام فقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (١) » وقال عليه السلام : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . الحديث وشدد الوعيد على المتفصرين فيها فقال تعالى « قويل للمفصلين (٢) الذين هم في صلاتهم ساهون (٣) » وتقدم الكلام على ذلك مستوفى ، وقال تعالى « والذين يكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيضروهم بعذاب أليم (٤) » . ومعنى الإفاق في سبيل الله إخراج الزكاة .

(مائدة) يستحب أن يطلب لصدقته أئمة الفقهاء المعروفين من الدنيا المتجربين لتجارة الآخرة من ذلك يربو به المال . قال عليه السلام : لا تأكل إلا طعام نقي ولا يأكل طعامك إلا نقي . وذلك لأن النقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعنتك إياه . وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فإذا طرقتهم فافقه نشت همهم أحدهم فلا أرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا من همته الدنيا مذكر هذا الكلام الجيد فاستحسسه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت مد رمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم يتركوا اختاروا فبعث إليه الجنيح صالا وقال اجعده بضاعتك ولا تترك الحسرات فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء شئ ما يتناحونه وكان ابن ابرك يحضر بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عمت فقد إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتمرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتعريفهم بعلوم أفضل وأن يحضر ذوي معاهات لا سيما ذوي لأرحام والأقارب فتكون صدقة وصلة ورحم وفي صلة لأرحم ما لا يحصل من الأجر كما هو في يابه وأن يخرج الصدقة سرا ليسلم من شوم لريه ومن دلال بعض في المال . قال عليه السلام : صدقة لسر بطي غصب الرب (١) وذكر

(١) (صحيح) المعجم الصغير ٢ / ٩٦ ، وصحيح الجامع (٢٧٥٩)

في حديث السبعة الذين يظلم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا يعلم شئها ما أعطت يمينه نعم إن كان في أطهار الصدقة خير كان كان يقتدى به غيره فلا أنس إن سئم من الزهاد وتجنب الامتنان كما قال تعالى ﴿ لَا تَطْلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (١) فائدة المعروف المن يُل يؤثر كتمانته ويستعمل نسيانه كما يجب على من صنع له معروف نشره ويتعين عليه شكره كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وما أحسن قول القائل :

يد المعروف ضم حيث كانت ••• تحملها كفسور من شكور
ففى شكر الشكور لها جزاء ••• وعند الله ما كفر الكفور

الباب التاسع والستون

في بر الوالدين وحقوق الآله

لا يخفى أنه إذا تأكد من حق القرابة والرحم فأقصى الأرحام وأسمى الولادة فيضعاف تأكد الحق فيها . وقد قال ﷺ : « لن يجزى ولد والد حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » (٢) . وقد قال ﷺ : بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والمعرة والجهاد في سبيل الله . وقد قال ﷺ : « من أصبح مرغيا لأبيه أصبح له بايان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما . ومن أصبح مسخطا لأبيه أصبح له بايان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما » (٣) . قال ﷺ : أن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا فاطع رحم . قال ﷺ : بر أمك وأباك وأخطك وأخاك ثم أدناك فأدناك .

يروى : أن الله تعالى قال لموسى - عليه السلام - يا موسى إنه من بر والديه وعفى كتبه باراً ومن برني وعفى والديه كتبه عاقا . وقيل لما دخل يعقوب على يوسف - عليهما السلام - لم يسم له فأوحى الله إليه أن تعظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نيا . وقال ﷺ : ما سمى أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانتا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء . وقال مالك بن ربيعة بينما نعى رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوى شيء

(٢) سبق تحريجه .

(٣) سورة البقرة

(١) صحيح (صحاح السادة / ٦ / ٣١٦ ، وضعيف الجامع (٥٤٢٧) .

أبرهما به بعد وعانتهما قال نعم الصلاة عليهما ولاستعمار لهما وامداد عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما . وقال ﷺ : إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب وقال ﷺ : بر الوالدة على الولد على ضمان . وقال ﷺ : دهره الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس له والدان فقال بر ولدك كما أن لو اليك عليك حقا كذلك لو لك عليك حق . وقال ﷺ : رحم الله والدا أعلان ولده على بره أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال ﷺ : ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ورحلتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عندك أو شريكك . وقال أنس - رضى الله عنه - قال النبي ﷺ : العلام يعني عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين لفزول فرائضه فإذا بلغ عشرة سبب لمرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجة أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمت أنك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة . قال ﷺ : من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه . وقال - عليه السلام - كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة فتذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة إذا دبت العقيقة أخذت صروقة منها فاستقبلت بها أو داجها ثم توضع على فافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد . وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أمهنته ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس السبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحد منهم ففعل - عليه السلام - إن من لا يرحم لا يرحم . وقالت عائشة - رضى الله عنها - قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسل وجه أمامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضر بدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قبله ثم قال قد أحسب ب إذ لم تكن له جارية . وتعث الحسن والنبي ﷺ على مسره فمزل فحملة وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله ﷺ بالناس لما جاءه الحسن فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر علما قصي صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال أن ابني قد أرنخس فكرهت أن أصجله حتى يقضى حاجته . وفي ذلك فوائد أحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته . وقال ﷺ : ربح الولد من ربح الجنة (١) . وقال يزيد ابن معاوية أرسل أبي إلى الأحب بن قيس فلما وصل إليه قال له يا أبا بكر ما تقول في الولد قال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا وسحر لهم أرض ديلة وسماء طلبه وبهم نصول على كل حيلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا عارضهم يحسوك ودهم ويحرك

(١) (ضعيف) انحال السادة / ٦ / ٢٢٠ ، وضعيف الجامع (٣١٤٥)

جهنم ولا تكن عنيتهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا غريك فقال له معاوية الله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا ملوّه غضباً وغيطاً على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه أباه على الشطر .

الباب التاسعون

في حقوق الجوار والإحسان للمساكين

اعلم أن الجوار يقتضى حقاً وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار المسلم ما يستحقه كل مسلم وريادة إذ قال النبي ﷺ : « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجوار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك » (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بمجرد الجوار . وقد قال ﷺ أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً . وقال النبي ﷺ ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . وقال ﷺ لا يؤمن من هب حتى يأمن جاره بوائقه وقال ﷺ أول خصمين يوم القيامة جاران . وقال عليه السلام : إذا أنت وميت كلب جارك فقد أدبتك .

ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - فقال له إن لي جاراً يؤذيني ويشتمي ويضيق علي فقال اذهب فإن هو عصى الله بك فأطع الله فيه . وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال ﷺ هي في النار وجاء رجلاً إليه - عليه السلام - يشكو جاره فقال له النبي ﷺ اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة أطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمشون به ويقولون مالك فيقال أذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاء جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود .

وروى الثوري أن رجلاً أتى النبي - عليه الصلاة والسلام - فجعل يشكو جاره فأمر النبي ﷺ أن ينادى عنى باب المسجد ألا إن أريسين داراً جار قال الثوري أريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا وأريسون هكذا . وقال - عليه السلام - أليمن والشم في المرأة والسكن والقرس ليمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها

وعسر نكاحها وسوء خدمها ، ويمن المسكين سعة وحسن جوار أهله ، وشؤمها فبقه وسوء جوار أهله ، ويمن العرس دله وحسن خلقه ، وشؤمها صعوبته وسوء خلقه .

واعلم أنه ليس حق الجوار كحق الأذى فقط بل احتمال الأذى أيضاً بين الجار إذا كف أذاه وليس في ذلك قصاص حق ولا يكفى احتمال الأذى بل لا بد من الفرق وإسله الخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره العني يوم القيامة فيقول يارب صل هذا لم تمنعني معروفه وسد بابي دوني وشكا بعضهم كثرة العار في داره فقيل له لو اقتنيت هذا فقال أخشى أن يسمع العار صوت الهر فيهب إلى دور الجيران فأكون قد أحيت لهم ما لا أحب لنفسي .

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه الشكوال ويعوده في المرض ويحزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهتبه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضليقه في وضع الجذع على جنبه ولا يصب الماء في ميزابه ولا يطرح التراب في فائه ولا يضيق طريقه إلى النار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستتر ما يتكشف له من عوراته ويتعشبه من صرخته إذا نابتة نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاماً يخص بصره عن حرمة ولا يدهم النظر إلى خادمته ويتلفظ بولده في كلمته ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا إلى جملة الحقوق التي لعامة المسلمين . وقد قال ﷺ أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أمته وإن استنصرك نصرته وإن استقرحك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض هدته وإن مات تبع جنازته وإن أصابه محير هأته وإن أصابه مصيبة هزته ولا تستغل عليه يالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذنه وإذا اشترت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله . .

هكذا روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ . قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلّام له يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت الشاة فايدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مراراً فقال له كم تقول في هذا فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه . وقال هشام كان الحسن لا يرى بأساً أن تظعم الجار اليهودي والنصراني من أصحابك . وقال أبو ذر - رضي الله عنه - أوصاني خليلي ﷺ وقال إنا طبعنا قترا فأكثر ماء ما ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاعرف لهم منها

الباب الواحد والتسعون

في عقوبة شارب الخمر

قد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (١) الآية . . . في الصلاة مخرج فزول قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٢) الآية . . . فشرابها من شرابها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها حرام - رضي الله عنه - فأخذ بلحى عمر وشج بها رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد يروح على قتلى بدر فبلغ رسول الله ﷺ فخرج ممصبا بجر رداءه فرقع شيبا كان في يده فغبر به به فقال أعود بالله من غضبه وغضب رسوله فأمر الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ ﴾ (٣) الآية . . . فقال عمر - رضي الله عنه - انتهت انتهت .

ومن الأخبار المتفق على تحريمها قوله سيلنا رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة منهن خمر » (٤) وقوله ﷺ أول ما نهى ربي بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحة الرجال ، وقرره ﷺ ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للأخر يا فلان لا جزاك الله حتى عجبنا فأنت أوردتني هذه المورد ليقول له الآخر مثل ذلك .

وعنه ﷺ أنه قال من شرب الخمر في الدنيا سقاء الله من سم الأسود شرة يتساقط منها لحم وجهه في الإناء قل أن يشربها فإذا شربها يتساقط لحمه وجلده ويتأذى به أهل النار إلا أن شاربها وحاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يستقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صدهد جهنم وأن كل مسكر حرام وكل خمر حرام .

ذكر ابن أبي الدنيا أنه مر بسكران وهو يبول في يده ويغسل به يده كهية المتوضا ويقول الحمد لله الذي جعل الإسلام نورا والنساء طهورا .

وعن العاصم بن مرداس أنه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في حرارتك فقال ما أنا بأخذ جهلي يبدى فأدخله في جوفى ولا أرضى أن أصبح سيد قومي وأمسى سفيهم .

(١) به (٢١٩) سورة البقرة

(٢) به (٩١) سورة البقرة

(٣) به (٤٣) سورة البقرة

(٤) (صحيح) ابن ماجه (٣٣٧١) ، وصحيح الجامع (٧١٧٣)

وروى البيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا أم الحبيات فإنه كان رجل من كان قبلكم يتعبد ويحترق الناس فعلقته امرأة فأرسلت إليه علقما أن تدعوك لشهادة فدخل فطعمت كدما دخل بابا فعلقته فوقه حتى إذا أفضى إلى امرأة وضيفة جالسة وعندها غلام وناطية فيها خمر فقالت أنا لم يدعك لشهادة ولكن دعوك لتقتل هذا العلام أو تقع على أو تشرب كأسا من الخمر فإن أبيت صحت بك وفحصتك فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال استنى كأسا من الخمر فسقته قال زيدني فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع لسان وإحسان في الخمر في صدر رجل أبدا يوشكن أحدهما يخرج صاحبه .

وروى أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن آدم لما أعبط إلى الأرض قالت الملائكة أي رب : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فنظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاعبطا إلى الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءها فسالها ما نفسها فقالت : لا والله حتى تتكلمما بهذه الكلمة من الإشراف قال لا والله لا أشرك بالله أبدا . فطبعتهما ثم رجعت إليهما ومعهما صبي تحمله فسالها ما نفسها فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله . فقالت حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرتا ففرقا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شيء أبيتما على إلا فعلتما حين سكرتما ، فحبرا عند ذلك بين غضاب الدنيا وغضاب الآخرة فاختارا غضاب الدنيا .

وروى عن أم سلمة - رضي الله عنهما - قالت اشتهت بنت لي فنبذت لها في كوز فدخل على رسول الله ﷺ وهو يملئ قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له أني أأذى به ابنتي فقال ﷺ إن الله لم يجعل شفاء أمي فيما حرم عليها . وروى أن الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع .

الباب الثاني والتسعون

في سحراج النبی - صلى الله عليه وسلم -

روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذا أناني أت فقد قال وسمعت يقول فشق ما بين يدي إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من شجرة بحره إلى شمرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ففعل قلبي ثم حشى (ثم أهد) ثم

المسك أبهى فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من هليلج على كرميه فيسجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم وقال ﷺ سمعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم الميزان كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة . وفي الخبر أن الله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عقيق من النور .

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال : « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » (١) وقال ﷺ : « إن الجحيم تسمر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسمر فيه . وقال كعب بن الأشعث رضي الله عنه وجعل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر . ويقال إن الطير والهوام يلتقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح . وقال ﷺ من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ورفاهة ثمة القبر .

الباب الرابع . في حق الزوجة على الزوج

في حق الزوجة على الزوج

حقوق الزوجات على الأزواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الأدنى منهن ترحما لتصور عقولهن ، قال الله تعالى : ﴿ وَغَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) وقال في تعظيم حقهن ﴿ وَأَحْذَرْنَ مِنْكُمْ نِعَافًا غَلِيظًا ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنَبِ ﴾ (٤) قيل هي المرأة وآخر ما وصي به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلموهم ما لا يطيقون الله في الساء فإنهن عوان في أيديكم يعني أسراء أحذقوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . وقال - عليه السلام - من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاته ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون .

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كعب الأدنى منها بل احتمال الأدنى منها وإحلم عند طيشها وخضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أرواحه تراجعته الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى

الليل . وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أترجعيني بالكعباء فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعته وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال حفصة لا تغتري بآية ابن أبي قحافة فإنها حب رسول الله ﷺ وخولها من المراجعة .

وروي أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال - عليه الصلاة والسلام - دعيتها فأتتهن أكثر من ذلك وجري بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلتا بينهما أبا بكر - رضي الله عنه - حكما واستشهده فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أو أتكلمن فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارته برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبي ﷺ لم تدعك لهذا ولا أردنا بك هذا . وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي ترعهم أنك بي الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول إني لأعرف غضبك من رضائك فقالت وكيف تعرفه قال إذا رغبتي قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أعجز سمك . ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع خير أني لا أظفك وكان يقول لسانه لا تؤذي في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في خلاف امرأة متكن غيرهما .

وقال أنس - رضي الله عنه - كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والزرع والملاعبة هي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقت يوما وسبقها في بعض الأيام فقال - عليه السلام - هذه بتلك .

وفي الخبر أنه كان ﷺ من أفكاه الناس مع نساؤه . وقالت عائشة - رضي الله عنها - سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يرم حاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ أتخمين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقال رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كعبه على الباب ومد يده ووضع ذنبي على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حسبك وأقول أمسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا فقال رسول الله ﷺ أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطهم بأهلهم . وقال - عليه السلام - خيركم خيركم نسائه وإتاخيركم لنسائي .

وقال عمر - رضي الله عنه - مع خشوته يبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان - رحمه الله - ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا .

(١) (موضوع) الحاكم ٢ / ٥٩ ، وضميف الجامع ٥١٩ .

(٢) آية (٦٩) سورة النساء .

(٣) آية (٦١) سورة النساء .

(٤) آية (٣٦) سورة النساء .

وفى تفسير الخبير المروى أن الله يبغض الجواظ قيل هو الشديد على أهله التكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى : ﴿ عئل ﴾ قيل العئل هو العظ اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال - عليه السلام - بجاير هلا بكمرا تلاعبها وتلاعبك .

ووصفت أعرابية زوجها وغد ماتت فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولج ، سكيفا إذا خرج ، أكلا ما وجد ، ظهير مسائل عما فقد ، ومنها أن لا ينشط في العناية وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندما بل يراضى الاعتدال فيه فلا يدع الهبة والانتباه منهما ورأي سكرأ ولا ينتج باب المساعدة على المنكرات البتة .

قال الحسن والله ما أصبح وجل يطيع أمراته فيها تهوى إلا كبه الله في النار وقتل همر - رضي الله عنه - خصالها النساء فإن خلافتن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن . وقد قال - عليه السلام - تصح عبد الزوجة وإنما قال ذلك لأنه أطاعها هواها فهو عيبها وقد تحس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال : ﴿ وَأَمْرُهُمْ قُلُوبُهُمْ حَتَّىٰ ظَنَّ اللَّهُ ﴾ (١) إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعيا وقد سمي الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيذا فقال تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا سَكِينًا فَأَنَّا بِلِقَابِ ﴾ (٢) .

قال الشافعي - رضي الله عنه - ثلاثة إن أكرمهم أعتوك وإن أهتهم أكرموك المرأة والخدم
والبطي . وأراد به إن محضت الإكرام ولم تخرج خلطك جيلتك وفضايتك يرفقت .

الماب الخامس والسبعون
فلس حق الزوج على الزوجة

والقول الشافى فيه أن الكاح نوع رف هو رقيقة عليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلبت منها في نفسها مما لا معصية فيه .

وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال عليه السلام «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخل الجنة» (٣) وكان رجل قد حرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول إلى أبيها فقال ﷺ أطعني زوجته فقال أطعني ووجبت عدم أبوها فأرسل رسول الله ﷺ إليها يحصرها أن الله قد عمر لأبيها بطاعها لزوجها . وقال ﷺ إذا صلت المرأة حملاً

(۱) آية (۱۱۹) سورة النساء .
(۲) آية (۷۵) سورة يوسف

(۳) (طبیعیات) ابن ماجہ (۱۸۵۴)، و نصیب الجوامع (۲۲۲۷)

١٠٠٠

وصامت شهرها وحملت فرجها وأمدت زوجها دخلت جنة ربها . فأضاف الزوج إلى مبادئ الإسلام .

وذكر رسول الله ﷺ السبأ فقال حاملات الداء مرضعات وحيمات بأولادهن لولا ما يأتيهن إلى أروجهن دحج مصلياتهن الجنة وقال ﷺ اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن الدمن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشرة . وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلن أين النساء قال شغلن الأحمران الذهب والزعفران . يعني الحلى ومصبغات الثياب . وقالت عائشة - رضي الله عنها - أتت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فوقه إلى قدمه صديد فصسته ما أدبت شكره قالت فلا أتزوج قال بلا تزويج لأنه خير .

وقال ابن عباس أنت امرأة من عظم إلى رسول الله ﷺ فقالت إني امرأة أحم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فإرادها من نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئاً من بيته إلا بإذنه لأن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وحطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بعير إذنه لاعتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب وقال ﷺ لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها . وقال ﷺ قرب من تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها وإن صلاتها في صبحن فارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن فارها وصلاتها في مغدعها أفضل من صلاتها في بيتها . والمخدع بيت في بيت . وذلك للستر . ولذلك قال - عليه السلام - المرأة هورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضاً للمرأة عشر حورات . فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأحدها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً ، وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته أو ابنته أبك وكسب الحرام فما يصير على الجوع والضر ولا يصير على الثار . وهم رجل من السلف على السر فكره جيرانه سمره فقالوا المزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكلأ وما عرفته رزاقاً ولي رب رزاق يذهب الأكال ويقي الرزاق .

ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله ﷺ لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يحاف فسادة فإن أطعمت من رضاء كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعلها الوزر .

ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الروح كما روي أن أسماء

بتت بخارجة الراري قالت لا يبتها عبد التزويج إنك خرجت من العرش الذي فيه درجت فصرت إلى مواش لا يربيه وقرين لم تألميه فكوس له أرضا يكس لك سماء وكوس له مهادا يكس لك همادا وكوس له أمة يكن لك عبدا ولا تلحقى به فيقلاك ولا تباحدى عنه فينماك إن دنا منك فافرى منه وأن نأى فابعدى عنه واحفظى أمته وسمعه وعيه فلا يشن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا .

- خذى العفو مني تتدبني مدتي •• ولا تطغى في سورتي حين أغضب
- ولا تنفروني نقر الدف مرة •• فلو أنك لا تدبني كيف المغيب
- ولا تكثري الشكوى فتلهب بالهوى •• ويأبك قلبي والقلوب تقلب
- ماتى رأيت الحب في القلب والأذى •• إذا اجتمعا لم يلبث الحب يلعب

باب السادس والستون

في فضل الجهاد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وعن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أمسى الحاج وقال آخر لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أهرم المسجد الحرام . وقال آخر للجهاد فضل مما قلتم فزجروهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستعيت فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل : ﴿ اجْعَلُوا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا وَجَعَلَ اللَّهُ الْحَرَامَ حَرَامًا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْرِفْ جِدْلَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١).

وعن عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - قال فعدوا نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ مخرج عليا مقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَثِيرٌ مِمَّا تَعِدُونَ وَلَكِنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ عَذَابَهُمْ فِي شَيْءٍ وَاللَّهُ لَبَّاسٌ عَلَيْهِ الْمُنَافِقِينَ (٣) سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴾ فقرأها عليا رسول الله ﷺ

(١) آية (١٩) سورة التوبة

(٢) آية (٢-٤) سورة البقرة

وروى أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع إذا خرج للجهاد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تقطر فقال ومن يستطيع ذلك

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال مر رجل من أصحاب النبي ﷺ بشعب فيه هيئة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولئن أفعل حتى أستاذن رسول الله ﷺ مذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أهزوا في سبيل الله تعالى من فاتل في سبيل الله تعالى موق ناقة وجبت له الجنة فإذا كان الصحابي الجليل لم يأذن له رسول الله ﷺ في العزلة مع اجتهاده في الطاعات وتعالجه من الطعيات بل أرشده ﷺ إلى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعنا وكثرة سيئاتنا وتعاظينا ما جهل حله من الأقوات وفساد المزائم والبيات . وقال رسول الله ﷺ إن مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد . وقال رسول الله ﷺ : من رضى بالله ويا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا وحببت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدري فقال أهدنا على يا رسول الله فأهدانا عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة حجة ما بين كل حجتين كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (١).

الباب السابع والسبعون

في مكر الشيطان

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينما الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فإنا لا خلاص للمؤمن منه نعم له ميسيل إلى دفعه وتضعيف قوته قال ﷺ إن المؤمن ينفض شيطانه كما ينفض أحدكم بغيره في سفره . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول . وقال عيسى بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فرك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصخور قلت ولم ذاك فقضى بذكر الله تعالى . فأهل التقوى لا يتعلم عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أحصى الأبواب الظاهرة والطرق الخفية التي تقصى إلى المعاصي الظاهرة وإما يتعشرون في طرقه العاصية فإنهم لا يهدون إليها فيحرسونها لأن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملاذنة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الطرق عاصية السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا

(١) (صحيح) مسلم (١٨٨٤)

بصيره وحلوع شمس مشرقة والعين البصيرة بها هي القلب المصفى بالتقوى والشمس
تشرقه هو العلم العبرير المستعد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيما يهتدى به إلى غوامض
طرقه وبلا طرقه كثيرة وغامضة .

قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا وقال هذا سبيل
الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو
إليه ثم تلا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا سَبِيلَ تَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ وقد ذكرنا
مثالا للصريق العاصم من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد للمالكين لشهواتهم الكافين من
المعاصى الطاهرة فلندكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى إلا أن يضطر الأدمى إلى سلوكه
وذلك كما روى عن النبى ﷺ أنه قال كان راهب فى بنى إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فحتمتها
وألقى فى قلوب أهلها أن دواها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها
فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فربى له مقاربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه
فوسوس إليه وقال الآن فتضح يأتيك أهلها ماقتلها فإن سألك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى
الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها سألوها عنها
فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى خفعتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب
أهلها فأحتمنى تنح وأخلصك منهم قال بماذا قال أسجد لى مسجدتين فسجد لى مسجدتين فقال له
الشيطان إني يرى منك . فهو الذى قال الله تعالى فيه . ﴿ كَتَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ .

وروى أن إبليس سأل الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ما قولك فيما خلقتى كما اختار
واستعملتني فيما اغتار وبعد ذلك إن شاء أدخلتني الجنة وإن شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم
جار ؟ فنظر في كلامه ثم قال يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن كان خلقك لما يريد
هو فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاصمحل إلى أن صغر لا شيء ثم قال والله يا شافعى لقد
أخرجت بمألتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الرندقة

وروى أيضا أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم - عليهما السلام - فقال له قل لا إله إلا
الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك أى لأن له تليسات في الخير كما أن له تليسات في الشر
تناهى وبها يهلك العباد والزهاد والأعياء وأصناف الخلق إلا من حمطه الله ، اللهم احفظنا من
مكائده حتى نلقاك مهتدين .

الباب الثامن والتسعون

فى بيان الصماح

حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من
العلماء ألقاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه . وقال الشافعى - رحمه الله - فى كتاب آداب
القضاء أن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . وقال القاضى
أبو طالب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى - رحمه الله -
بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال : قال الشافعى -
رضى الله عنه - صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته . وقال وحكى عن
الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا عن القرآن . وقال
الشافعى - رحمه الله - ويكره من جهة الخبر اللعب بالفرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهى
ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا
المروءة .

وأما مالك - رحمه الله - فقد نهى عن الغناء وقال إذا اشترى جارية فوجدتها مثنية كان له
ردها . وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة - رضى الله عنه -
فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من المنوب . وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثورى
وحمد وإبراهيم والشمى وغيرهم . فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى .

ونقل أبو طالب المكي لإباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر
وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم . وقال قد فعل ذلك كثير من السلف
الصالح صحابى وتابعى بإحسان وقال لم يرل المجذوبون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل
أيام السنة وهى الأيام الممعدوات التى أمر الله عباده فيها بتذكره كأيام التشريق ولم يرل أهل المدينة
مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأذكرنا أبا مروان القاضى وله جوارى يسمعن الناس
التلحين قد أعدهن للصوفية . قال وكان لعطاء جارتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما .
قال وفيل لأبى الحسن بن سالم كيف تذكر السماع وقد كان الجنيح وسرى السقطى وخو النون
يستمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازوه وسعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر
لطيار يسمع وإذا أنكر اللهو واللعب مع السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزفاد إلا فلة حسن
الوجه مع الضيافة وحسن القول مع الديانة وحسن لإخاء مع الوفاء . ورأيت فى بعض الكتب

هذا محكيًا بمبته عن الحارث المحامسي وبه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاوته وجده في الدين وتشهيره .

قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دهوة إلا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دهوة ومعنا أبو القاسم ابن بشت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم محضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرر عن ابن بشت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بشت منيع أما أحمد فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخيازة فقال مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لا بن بنت منيع دعني أنت من جنتك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أشد بيت شعر أمو حرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أشده وطوله ونصرته الممدود ومدته المقصور أبهرم عليه قال أنا لم أقول لشيطان واحد فكيف أقول لشيطانين .

قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صفوا في الرد على منكره .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر - عليه السلام - فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء .

وحكى عن مشاد الديبوري أنه قال رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله هل تكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يقتحمون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن .

وحكى عن ظاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت محتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جلق منه قولا ويستمعون فأنتكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة وهو جالس في ذلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالراجل بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فأنفقت إلى رسول الله ﷺ وقال هذا حق أو قال حق من حق أنا أشك فيه . وقال الحنيد تترل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن لافقة وهذا المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع فإنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا .

وعن ابن جريح أنه كان يرخص في السماع فبطل له أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسانتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه بالنعو وقال الله تعالى . ﴿ لَا يُؤَخِّرُكُمْ اللَّهُ بِالْعَمَلِ فِي آيَاتِكُمْ ﴾ (١) وهذا ما نقل من الأناويل ومن طلب الحق في التقليد لمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأناويل بقيت متحيرة أو مائلا إلى بعض الأناويل بالشبهة وكل فلتك قصور بل يسعى أن يطلب الحق بطريقة وذلك بالبحث عن مدارك الخطر والإباحة .

الباب التاسع والتسعون

فصل النهي عن البدعة واتباع الهوى

قال ﷺ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال ﷺ من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد ، وقال ﷺ عليكم بستي وستة الخلفاء الراشدين من بعدي فمعلم من هذه الأحاديث أن كل ما عاين الكتاب والسنة وإجماع لأئمة فهو بدعة مردودة . وقال ﷺ : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة (٢) . وقال قتادة - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (٣) الآية . . . أعلموا أن السبيل واحد جماعة الهدى ومصره الجنة وأن إبليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة مصيرها إلى النار .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية . وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات .

وقال ابن عطية هذه السبل نعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في المروء وغير ذلك من أهل العشق في الجدل والتخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء العقيد . وقال ﷺ من رعب عن مستي فليس مني . وقال ﷺ : ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة إلا أضاعت مشيها من السنة (٤) وقال ﷺ أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل

(١) آية (٢٧٥) سورة البقرة .

(٢) (صحيح) أحمد ١ / ٣٦١ ، وصحيح الجامع (٣٠٠٥) .

(٣) آية (١٥٣) سورة الأنعام .

(٤) (ضعيف) الطبراني ١٨ / ٩٩ ، وضعيف الجامع (٥١٥٥) .

محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وإنما أخشى عليكم شهوات الفس في بطونكم ومروحكم ومضلات الهوى ، إياكم والمحدثات فإن كل محدثة ضلالة ، وقال ﷺ : إن الله يحب التوبة من كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته (١) . وقال ﷺ : لا يقبل الله لصاحب البدعة صوما ولا حججا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك لكل عمرة شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته إلى ستن فقد اعتدى ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلكت إلى أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر . رواه الترمذي وحسنه في مواضع وصححه في أخرى . والشرية بكسر الشين وفتح الراء مشددة الشاط والهمة .

فصل في النقص من آفة اللهم

روى البخاري أنه ﷺ قال من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليصدق . وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه : « من لعب بترد أو تردشين فكأنما خمس يده في لحم خنزير ودمه » (٢) .

وروى أحمد وغيره أنه ﷺ قال : « مثل الذي يلعب بالرد ثم يقوم يصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم يصلي أي فلا تقبل له صلاة كما صرح به رواية أخرى .

وأخرج البيهقي عن يحيى بن كثير قال : « مر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالترد فقال : قلوب ، لاهية وأيد عاملة والسنة لاغية » (٣)

وأخرج الديلمي أنه ﷺ قال : إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزيام والشرطج والرد وما كان من هذه أي وما شابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وأن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم . وقال ﷺ : ثلاث من الميسر : القمار والقرب بالكعب والصغير بالحمام

ومر على - رضي الله عنه - يقوم يلعبون الشرطج فقال ما هذا التماثيل التي أنتم لها حاكفون لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطعمه خير له من أن يمسها ثم قال والله لأغير هذا خلقتكم وقال أيضا - رضي الله عنه - صاحب الشرطج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتلته وما قتل مات وما مات . وقال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - لا يلعب بالشرطج إلا خاطي

واعلم أن الملاهي إما حرام كمود وطبور ومعزفة وطبل ومزمار وما إنهي بصوت مطرب إذ

مرد ، أو مكروه وهو ما يريد به لعماء طربا ولم يطرب منفردا كالصالح ولقصب فيكره مع لعماء لا وحده ، أو صاح وهو ما حرج عن آلة الطرب إلى إمداد كالبرق وجبل الخرب أو لجمعة وإعلان كالدف في الكاح .

الباب المائة

في فضائل رجب

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الأصب لأن الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنواع القبول على العاملين ، ويقال له الأصم لأنه لم يسمع فيه حسن قتال وقيل رجب اسم نهر في الجنة ماله أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه إلا من صام شهر رجب قال ﷺ : رجب شهر لله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي . وقال أهل الإشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وياء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وحياته والياء بر الله كأن الله تعالى يقول أجعل جرم عبدي بين رحمتي ويري .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال ﷺ : من صام السابيع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا . وقال ﷺ : ألا أن رجبا شهر الله الأصم فمن صام من رجب إيمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الأكبر .

وقيل زين الله الشهور بأربعة ذي القعدة وذو الحجة والحرم ورجب وواحد لرد وهو شهر رجب .

وحكى أن امرأة في بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثني عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف في شهر رجب فمرست وأوصت ابنها أن يلعب معها صوفها فلما ماتت كعب من شاب مرتعة فراها في منامه تقول له أنا عتك هير راضية لأنك لم تعمل بوصيتي فادبه فزع وأخذ صوفها ليدبه معها فبش قبره فسم بجدها فيه فتعير فسمع نداء أما علمت أن من أطاعها في رجب لا تتركه فردا وحيدا .

وروى بد : « ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى منك إلا يستعمر لصوم رجب . وعن أس رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة سعمائة سنة . قال أنس - رضي الله عنه - سمعت أذناي أن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ

(٢) (صحيح) مسلم (٢٢٦٠)

(١) الملل للماضي ١ / ١٣٨ .

(٣) البيهقي ١٠ / ٢١٦ .

الأشهر الحرم أربعة وخمسة الملائكة أربعة وأفضل الكتب منزلة أربعة وأفضل الأضواء أربعة وأفضل الناس من حيث كلمات أربعة سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة ، أحد وعشرات ومئات وألف والأوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطالع أربعة حرارة وبرودة وبيوضة ووطوبة وسدطان البلد أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والحلقاء الراشدة أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - وضواء الله عليهم أجمعين -

روى الشيخ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يسبح الله الخبير في أربع ليالي سحا ليلة الأضحى وليلة المطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب - وروى الشيخ أيضا بسنده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين .

الباب الأول بعد المائة

في فضل شعبان المبارك

سمى شعبان لأنه يتشعب منه غير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير .

روى عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال كان رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل شعبان فظهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان » (١) .

وفي السنن من حديث أمامة - رضي الله عنه - قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « ذلك شهر يتقبل الناس فيه بين رجب ورمضان وهو شهر يرفع فيه الأعداء ، رب العالمين فأحب أن يرقع عملي ولنا صائم وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت ما رأيت رسول الله ﷺ استعمل حيام شهر قط إلا رمضان وما رأيت في شهر أكثر منه صياما من شعبان . وفي رواية كان يصوم شعبان كله . ولمسلم كان يصوم شعبان إلا قليلا بهذه الرواية مصرة للأولى فالمراد بكلمة أعليه قبل أن للملائكة في السماء ليأتي عيد كما أن المسلمين في الأول من يوم عيد معبد للملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد الأضحى فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة . وذكر

المسبكي في تفسيره أنها تكفر ذنوب السنة ، وليلة الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العصر أي إحياء هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكبير أيضا لذلك وليلة الحياة ، لما روى الخنيزري مرفوعا من أحيا ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان لم يموت قلبه يوم يموت القلوب . وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه ﷺ سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الرابع عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالإصرار على المعصية . وتسمى ليلة المعصرة أيضا لما روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « أن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان إلى عباده فيختر لأهل الأرض الأوجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك بعثني رسول الله ﷺ إلى سرل عائشة - رضي الله عنها - فكنى حاجبة فقلت لها أسرعي فإني تركت النبي ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنس إجلس حتى أحدثك بعديث ليلة النصف من شعبان . تلك الليلة كانت ليأتي من رسول الله ﷺ فجاء ودخل معي في خافي فالتبته من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب إلى جاريته القبطية فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلى عليه وهو يقول سجد بك سوادى وخيالي وأمن بك فزادى وهذه يدى وما جئت بها على عسى يا عظيمًا يرجى لكل عظيم إغفر الذنب العظيم ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق بصره ، ثم رفع رأسه فقال اللهم اورق قلبي تقيا نقيًا من الشرك برأ لا كافرا ولا شقيا ، ثم هاد ساجدا فسمعت يقول أهوذيرضاك من سخطك ويعفوك من حقرتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، أقول كما قال أخى داود أفر وجهي في التراب لسيدى وحق لوجهي يا سيدى أن معمر ثم رفع رأسه فقلت بأبى أنت وأمى أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان إن لله عز وجل في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعورهم كلب إلا ستة : لا مدمن خمر ، ولا هانق لوانديه ، ولا مصر على الرنا ، ولا مضارب ، ولا مضرب ، ولا قتات . وفي رواية مصور بطل مضرب ، وتسمى ليلة القسمة والتخفيف لما روى عطاء بن يسار إذا كانت ليلة النصف من شعبان نسح لملك الموت كل من يموت من شعبان إلى شعبان وأن العيد ليعرس العرس ويكح الأزواج ويبنى البنيان وأن اسمه قد نسخ في الموتى وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه .

الباب الثاني بعد المائة

في فضل رمضان العظيم

ما الله تعالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (١) عن سعيد بن جبهر - رضى الله عنه - كان صوم من قبلنا من الأتمة إلى الليلة لغاية كما كان في بدء الإسلام وقال جماعه من أهل العلم كان وجبا على النصراني فري كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم وبعض معاشهم فاجتمع رأي كبارهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزاد فيه عشرة أيام كرامة ما صنعوا ثم أن ملكا لهم اشتكى فجعل الله عليه أن يرى من وجهه وأن يرى فيه أسرها فلما مات ذلك ووليهم ملك آخر فقال أخوه خمسين يوما ثم أصابته موتان وهو موت الهالك فقال زيدوا صياكم فزادوا عشرة قبل وعشرا بعد . وقيل ما من أمة إلا وفرض عليهم صيام رمضان إلا أنهم ضلوا عنه .

قال البخاري والصحيح أن رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهي الحجارة للحمة لأنهم كانوا يصومون في الحر الشديد لأن العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شدة الحر . وقيل سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها . وفرض في السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحدا وجوبه . وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يعلق منها باب في الشهر كله . وأمر الله تعالى مناديا ينادي يا طالب الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيحمر له ، هل من سائل فيعطى موله ، هل من تائب فيتاب عليه ، فلم يزل كذلك إلى استعجار الصباح ولله كل ليلة عند الصبح ألف ألف عتيق من النار قد استوجبا العذاب .

وعن سلمان الفارسي - رضى الله عنه - قال خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم فيه ليلة القدر غير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المراساة ، وهو شهر يرد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان له عتيق رقبة ومغفرة لسيئه ، فلنا يا رسول الله ليس كلما يجد ما يطر به الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يطر صائما مدقة لبن أو شربة ماء أو تمر من أشبع صائم كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضي شربة لا يظمأ

بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، ومن خفف من مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا به من أربيع حصال . خصلتين ترخصون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتعودون به من النار ، ومنها قوله ﷺ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبوئله ﷺ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجرى به . وما هيئ عبادة أصعبها للباري تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله ﷺ أعطيت أمي خمس خصال في شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها حروف دم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتصعد فيه مردة الشياطين ، ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يكف عنهم السوء والآذى ، ويغفر لهم آخر ليلة منه ، قيل يا رسول الله أي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يولي أجره إذا قضى عمله .

الباب الثالث بعد المائة

في فضل ليلة القدر

روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك ونمى ذلك لأمت فقال يا رب جملة أمي أقصر الأم أعمرا وأقلها أصحالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر مدة حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولأمة إلى يوم القيامة . فهي من خصائص هذه الأمة ، ويقال اسم ذلك الرجل شمعون فزا العمود ألف شهر لم يجف ليد فرسه وقهر الكفار لما أعطى من القوة والحساسة بضاعت قلوبهم منه فبعثوا رسلا إلى امرأته وضمتوا لها طستا مر ذهب مملوكة ذهب إن هي قيدته حتى يجسوه في بيت لهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقت بحبل من ليف فلما انته حرك أعضائه فقطع الحبل قطعاً وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرتك فوثق فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء إبليس إلى الكفار وأرسلهم إلى أن تسأل المرأة زوجها أي شيء لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا إليها فسأته فقالت ذواتي وكان له ثمانية دواب طويلة تجر على الأرض فما قام فبدت رجله بأربع يديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به إلى بيت مذهبهم مقدار أربعمائة ذراع علوه ومم اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكثروا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى أن يقوى على فك وثاقه وعلى أن يجر العمود ويهدمه عنهم من مجاته منهم ففأمر الله فتمحرك فاعتك وثاقه وحرك العمود فوقع عنهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم ، فلما سمع أصحاب رسوا

الله ﷺ ذلك الخبر قالوا يا رسول الله هل نلذك ثوابه فقال لا أخرى ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر ، وعن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ إذا كان ليلة القدر نزل جبريل - عليه السلام - في كبكة من الملائكة يصلون ويسمعون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى . قال أبو هريرة - رضى الله عنه - الملائكة تنزل ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السماء للنزل كما ورد فتسطع الأنوار ويحصل ثقل عظيم وتكشف فيها الملكوت والناس في ذلك متفاوتون منهم من يكشف له عن ملكوت السموات والأرض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد ودائم وشاكر ومسيح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها ونصورها وحورها وانهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفاً ويشاهد منازل الأنبياء والأولياء والشهداء والصدّيقين ويهيبهم في هذا الملكوت ويتنزّه في ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد ذرّاتها ومنازل الكفار إلى غير ذلك ومنهم من تتكشف حجبته عن جمال الله فلا يشاهد إلا إياه . وعن عمر عنه عليه - الصلاة والسلام - من أحب ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان إلى الصبح فهو أحب إلى من قيام ليالي شهر رمضان كلها ، فقالت فاطمة يا أبت ما تصنع الضحفاء من الرجال والنساء ممن لا يفلحون على القيام قال لا يضعون الوسائد فيتكون عبيها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدهون الله - عز وجل - إلا كان ذلك أحب إلى من قيام أمتي جميعاً شهر رمضان . وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ من أحب ليلة القدر وصلّى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وخاض في رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسح جبريل بجناحه دخل الجنة .

الباب الرابع عشر من هذه المائدة

في فضل العيد

سمى هذا اليوم الذي هو أول شوال واليوم الذي هو العاشر من ذي الحجة عيداً لأن المؤمنين عادوا فيهم من طاعة الله تعالى التي هي أداء فريضة صيام رمضان والحب إلى طاعة رسوله ﷺ التي هي صيام ست من شوال والتأهب لزيارته ﷺ وتكرار ذلك كل عام ، ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالإحسان والعود السرور بعمده وأول عيد صلاه رسول الله ﷺ عيد الفطر في السنة الثامنة من الهجرة ولم يتركها فهي سنة مؤكدة . وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - : « زينوا أعيادكم بالتكبير » (١) . قال ﷺ : من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأمدّها

(١) (ضعيف) المعجم الصغير ١ / ٢١٥ ، وضعيف الجامع (٣١٨٢) .

لأموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى في قبره إذا مات ألف نور . وعن وهب بن منبه - رضى الله عنه - أن إبليس يرن في كل عيد فتجتمع إليه الأبالسة فيقولون يا سيدنا م غضبك فيقول إن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ في هذا اليوم فليكنم أن تشغلهم بالذلات والشهوات . وعن وهب أيضاً أن الله تعالى خلق يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوى يوم عيد الفطر . واصطفى جبريل للروح يوم عيد الفطر وثاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبي ﷺ : « من قام ليلة العيد محتسباً لم يمض قلبه يوم تموت القلوب » (١) .

حكى أن عمر رأى ولداً له يوم عيد وعليه قميص فبكى فقال ما يبكيك فقال له يا بني أحس أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال إنما ينكسر قلب من أهمله الله وغناه أو حق أمه وأبيه وإنه لا يرجو أن يكون الله راضياً حتى يرضاك فيكي عمر وضعه إليه ودعه له - رضى الله عنهما - .

وما أحسن قول القائل :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لا به * * * نلت خلعة ساق عيده الجبرما
فصر وصبر ثوبان بينهما * * * قلب يرى ربه الأعياد والجمعا
العيد لي ما لم إن غبت يا أملى * * * والعيد أن كنت لي مرأى ومثما

وورد إذا كان غداً عيد الفطر يمض الله الملائكة ليهبطون إلى الأرض ويقومون على السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله إلا الإنس والجن يقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي العطاء الجبريل ويغفر القسب العظيم فإذا برروا إلى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الأجير إذا عمل فيقولون جزاؤه أن يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم رضائي ومعرفتي .

الباب الخامس من هذه المائدة

في فضل عشر ذي الحجة

روى بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال : ما من أيام العمل فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعنى أيام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء ، وعن جابر بن عبد الله قال :

(١) (ضعيف) ابن ماجه (١٧٨٢) ، وضعيف الجامع (٥٧٤٦)

قال رسول الله ﷺ ما من أيام أحب إلى الله والأهل من أيام العشر قبل ولا مثلهن في سبيل الله ، قال ولا مثلهن في سبيل الله وعن عائشة - رضي الله عنها - أن شاباً كان صاحب سماع وكان إذا أهل هلاك دى الحجة أصبح صائم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فعلمه فقال ما يحملك على صيام هذه الأيام قال يا بني أنت وأمي يا رسول الله إنها أيام للشعر وأيام الحج عسى الله أن يشركني في دعائهم . قال فإن لك بكل يوم تصومه عدد مائة رقة ومائة بقة ومائة مرس يحمل عليها في سبيل الله فإذا كان يوم التروية فلنك فيها عدد ألف رقة وألف بقة وألف مرس تحمل عليها في سبيل الله فإذا كان يوم عرفة فلنك فيها عدد ألفي رقة وألفي بقة وألفي مرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى ، وقال ﷺ يعدل صوم يوم عرفة بصوم ستين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا سَائِرَ النَّاسِ ﴾ (١) الآية . إنها العشر الأولى من ذي الحجة ، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة يسبقون إلى الجنة وأربعة افتتحت إليهم الجنة أما الأيام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وثانيها يوم عرفة فإذا كان يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي جاءوا شعثاً حبراً قد أنفقوا الأموال وأنعموا الأبدان أشهدوا أنني غفرت لهم ، وثالثها يوم المحرم فإذا كان يوم التمر وقرب العيد قرباته فأقول قطرة قطرت من القرابين تكون كقارة لكل قنط حبلة العيد ، ورابعها يوم الفطر فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى هبدهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة إن كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من هبدهم يطلبون أجرهم أشهدكم أنني قد غفرت لهم . وينادي المنادي يا أمة محمد إرجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات . وأما الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وأما النساء فمریم بنت عمران وحديجة بنت خويلد ساقية ساء العالمين إلى لإيمان بالله وسوله وأسفة بنت مراحم مرأة فرعون وعاطمة بنت محمد سيدة ساء الجنة . وأما السابقون فلنكل قوم سابق فسيدا محمد ﷺ سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم ويلال سابق الحبشة . وأما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلى بن أبي طالب وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود . وعن ﷺ من صام يوم التروية أعطاه الله ثواباً مثل ثواب هبسي - عليه السلام - وعن النبي ﷺ إذا كان يوم عرفة بشر الله رحمة فليس أكثر من يوم عتقته ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاه له ، وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلية (٢) ، والحكمة في ذلك والله أعلم أنه بين عشرين وهما يوم سرور المؤمنين ولا سرور

(١) (١٤٢) سورة الأعراف

(٢) صحيح مسلم ١٠٦٢

أعظم من غفران ذنوبهم ، ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كقارة سنة واحدة ولأنه لموسى - عليه السلام - ويوم عرفة نبييا ﷺ وكرامته تضاعف على غيره ﷺ

الباب السادس بعد المائة

في فضل عاشوراء

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا إن هذا اليوم أظهر فيه موسى وبنو إسرائيل على قوم في عون فنحن نصومه تعظيماً له فقال النبي ﷺ نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه وقد ورد في فضل عاشوراء آثار كثيرة منها أنه تهب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق العرش والكرسي والسموات والشمس والقمر والنجوم وولد إبراهيم الخليل فيه وكانت لجناته من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن معه وإخراق فرعون ومن معه وفيه ولد هبسي وفيه رفع إلى السماء وفيه رفع إدريس مكاناً علياً وفيه استوت سبعة نوح على الجودي وأعطى فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصير يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف أسر أيوب وأول مطر نزل من السماء إلى الأرض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفاً بين الأمم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصام ﷺ قبل الهجرة ، ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال ﷺ في آخر عمره الشريف إن عشت إلى قابل لأصوم من التاسع والعاشر فانتقل إلى الرفيق الأعلى من هبته ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفي صوم التاسع والعاشر عشر بقوله ﷺ صوموا قبله يوماً وبعده يوماً خالفوا سنة اليهود . أي حيث أفردوه بالصوم . وروى البيهقي في شعب الإيمان من وسع على عياله وأهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكروه للطبراني الصدقة فيه بدرهم يسعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرم ذلك العام ومن أغتسل فيه لم يمرض فيموسر ، وقد صرح إمامهم بأن الاكتحال يومه بدهة ، وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والأدهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكلابيين .

واعلم أن ما أصيب به الحسين - رضي الله عنه - يوم عاشوراء إنما هو الشهادة الثالثة على مريد رحمة ووجهه عند الله والحقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا يبعي أن يشجع إلا بالإسراع متثالاً للأمر وإحرازاً لمرته تعالى عليه بقوله ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ هَلَاكٌ مِنْ نَارِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَنْتَ هُمْ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١) إياه ثم إياه أن يشتمل سدع الرافضة ويحرمهم من

(١) (١٥٧) سورة البقرة

الندب والباحة والحرث إذ ليس ذلك من أخلاق المومنين والا لكان يوم وفاة جده ﷺ أولى بذلك وأخرى وحيينا الله تعالى وحده ونعم الوكيل .

باب السابع بعد المائة

في فضل ضيافة الفقراء

قال ﷺ : « لا تكلفوا للضيف استيفاءه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أنعمه الله » (١) وقال ﷺ : « لا خير فيمن لا يضيف » (٢) . ومرو رسول الله ﷺ برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيئه ومرو امرأة لها شويهاة فذبحت له فقال ﷺ انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنعه خلقا حسنا فعل . وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلمتني شيئا من الدقيق إلى وجب فقال اليهودي والله لا أسلمه إلا برهن فأخبرته فقال والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلمتني لأدبته فأنهض بدرعي وأرهنه عنده ، وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يتمس من يتخذى معه وكان يكتى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهدة إلى يومنا هذا فلا تنقص ليلة إلا وبأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوام الموضع أنه لم يخل ليلة عن ضيف . ومثل رسول الله ﷺ ما الإيمان فقال إطعموا الطعام وبذل السلام وقال ﷺ في الكفارات والدرجات إطعام الطعام وطيب الكلام . وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى .

وما أحسن قول القائل :

لم لا أحسب الضيف أو ••• إرتاح من طرب إليه

والضيف يأكل رزقه ••• هندي وشكرتي عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم العنيفة إلا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر :

أضاحك ضيفي قبل أنزل رحله ••• ويخصب عندي والمحل جديب

وما انصب للأضياف في كثرة القرى ••• ولكنما وجهه الكريم خصيب

(١) بحار البهجة ٥ / ٢٣٨

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ١٥٥ ، (صحيح الجامع) (٧١٩٢)

فينبغي للداعي أن يعتمد بدعوته الانتباه دون الفساق قال ﷺ : « أكل طعامك الأبرار في دعائه لبعض من دعاه » وقال ﷺ : « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » (١) ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال ﷺ : « شر الطعام طعام الوليمة يدهى إليها الأغنياء دون الفقراء » (٢) ويسمى أن لا يهمل أقربه في ضيافته فإن إهمالهم إيهاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيهاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان وأتسنى سنة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المومنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة أو يتأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته . قال سفيان من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطبته فإن أجاب الدعوة فعليه خطبته وإن لم يجبه عليه خطبته على الكراهة ولو علم ذلك لم كان يأكله . وإطعام التقى إهانة على الطاعة وإطعام العاسق تقوية على العسق وقال رجل حياط لابن المبارك أد أخيد ثياب السلاطين فهل تحاف أن أكون من أحوار الظلمة قال لا ، إنما أحوار الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسم وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة ، وقد قيل بوجودها في بعض المواضع . قال ﷺ لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى دراع لقبلت وللإجابة حمسة آداب مذكورة في إحياء علوم الدين وغيره .

باب الثامن بعد المائة

في الكلام على الجنائز والقبر

إعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه له وتذكير لأهل الفلطة فإنها لا تزيدهم مشاغلهم إلا قسوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنارة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم قبل حساباتهم وانقرض ولا يتمكرون أن الحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون قبل حساباتهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر هبد إلى جسارة إلا وقدر نفسه محمولا فمنه محمول عليها على القرب ولعله في غد أو بعد غد . ويروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان إذا رأى جنازة قال أمضوا فدنا على الأثر . وكان مكحول العمدشقي إذا رأى جسارة قال أغدوا فدنا والعون من عطة بليعة وخمسة سريعة يذهب الأول والآخر لا يحفل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثني نفسي بشيء سوى ما هو معمول به وما هو صائر

(١) انجاف السادة ٤ / ١٢٨

(٢) (صحيح) البخاري (٥١٧٧)

إليه ، ولما مات أخو مائد بن ديتل خرج مائلك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر صيتي حتى أعمد إلى مد ، صرت إليه ولا أعلم مادمت حيا .

وعاد الأعمش كذا يشهد الجنائز فلا تفرى من نعزى لحزن الجميع . وقال ثابت البناني كذا يشهد الجنائز فلا تفرى إلا متنعما بأكيا فهكنا كان خوفهم من الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحسرون جنازة إلا وأكثرهم يصيحون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتعكر أمره وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتعكر واحد منهم إلى ما شاء الله في جنازه بمسه وفي حاله إذا حصل عليها ولا سبب لهذه العفلة إلا فسوة القلوب بكثرة المعاصي والمنوب حتى نسي الله تعالى واليوم الآخر والأموال التي بين أيديهم فصرنا نلهو ونعمل ونشغل بما لا يعنيننا ، فسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الناس من على الجنائز بكاءهم على الميت ولو عقلوا ليكوا على أنفسهم لا على الميت . نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خير لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى وحرارة الموت وقد داق وخوف الحفاة وقد آمن . وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملئ على كتابه شعرا فاطلعت جنازة . فقال :

نسرونا الجنائز مقبلات * * * ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة ثلثة لعمار ذئب * * * فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب طهور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آداب وسنه في فن الفقه ومن آداب حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الحفاة خطيرة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجأى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا ملان فلقطد صحيت عمرك وبالتوحيد وعمرت وجهك بالسجود وإن قالوا ملذب وقو خطايا فمن منا غير ملذب وغير ذى خطايا .

ويحكى أن رجلا من المنهكين في العبادات في بعض نواحي البصرة فلم تجد أمراة من يبعثها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه بكثرة فسقه فامتأجرت حمالي وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء ، للفق فكان على جبل قريب من الموضع راقد من الزهاد الكبار فرأته كما تنظر للجارية ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من

صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام ينزل إلى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليها فإنه معفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد أمرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت بحيرته ، قالت كما عرف كان طول نهاره في المأخور مشغولا بشرب الخمر فقال نظري هل تعرفين نحيبه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان إذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويستقل بالنفس ، والثاني أنه كان أبدا لا يحلو يته من يقيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد لتعقد لهم ، والثالث أنه كان يقيم في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث معنى نفسه . فالتصريف الراقد وقد لوتفع إشكاله من أمره قال الضحك قال رجل يا رسول الله من أزهدهم الناس قال من لم ينس القبر والليل وترك فضل زينة الدنيا وأثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد هذا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور .

وقيل لعلى - كرم الله وجهه - ما شأنك جاورت المقبرة قال إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكون الألسنة ويذكرون الآخرة . وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحية فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقعت على قبر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإلا لم ينج منه فما بعده أشد . وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فبيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حبل بينهم وبينه فاحببت أن أتقرب إلى الله بهما . وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعلدت لك فما أعلدت لي .

وقال أبو ذر ألا أخبركم يوم فقرى يوم أوضع في قبري .

الباب التاسع بعد المائة

في التخييف من عذاب جهنم

أخرج البخاري كان أكثر دهاء النبي ﷺ وينا أننا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار . وأبو يعلى أنه ﷺ خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جاتين لحيته ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لخشيتم على الصعيد وخشيتم على رؤوسكم التراب . والطبراني في الأوسط جاء جبري إلى النبي ﷺ في حين

أوصت فيها السفن لجمرت . وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فسيكوا فإن أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعني الدم فتخرج العيون .

الباب العاشر بعد المائة

في الميزان والصراط

أخرج أبو داود عن الحسن بن عاتشة أنها بكت فقال رسول الله ﷺ ما بك يا بكيك قالت ذكرت النار فيكيت مهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ، فقال ﷺ أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيهم ميزانه أم يشغل ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أهجوز أم لا ، والترمدى عن أنس - رضي الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ أن يشع لي يوم القيامة قال أنا فاعل إن شاء الله تعالى قلت فأين أطبقت قال أول ما تطبطني على الصراط قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطبطني عند الميزان قال فاطبطني عند الخوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن .

وروي الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن أو وضعت فيه السموات والأرض لو وضعت فتقول الملائكة يا رب لمن وزن هذا ، فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عندك حق حياتك ويوضع الصراط مثل حد الموصى فتقول الملائكة من يهجو على هذا فيقول من شئت من خلقي فيقولون سبحانك ما عندك حق حياتك . وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرفف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يحتطف بها ممسك يهوى فيه ومصروع ومنهم من يمر كالبريق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى العرس ثم كسعى الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشى الرجل ثم يكون آخرهم إنسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شرأثم أدخله الله الجنة بفضلته وكرمه ويقال له فمن وسل فيقول أي رب أنهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له فمن وسل حتى إذا انقطعت به الأماني قال لك ما سألت ومثله معه . وروي مسلم عن أم مبشر الأنصارية - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حمصة رضي الله عنها لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين يابغوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فمتنهرها فقالت حمصة - رضي الله عنها - وإن منكم إلا واردها فقال النبي ﷺ قد قال الله تعالى :

عن حبه الذي كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي أولك متعير الدول فقال ما حدثت حتى أمر الله عز وجل بفتح النار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لي اسرار أو ابعث لي جهنم صف جهنم إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت فهي سواد مظلمة لا يعنى شروها ولا يطفأ لها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ليرة فتح من جهنم ثلث من في الأرض كلهم جميعا من حرقه والذي بعثك بالحق لو أن خلقتا من حربة جهنم يرزأ أهل الدنيا ثلث من في الأرض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن تن ربحه والذي بعثك بالحق لو أن خلقت من خلق سلسلة أهل النار التي بعث الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأرغمت وما تقاربت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا تنصدع قلبي فأبوت قال فطر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال وما لي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدرى لعلى أينى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أينى بما ابتلى به هاروت وماروت قال يبكي رسول الله ﷺ ويبكي جبريل فما زالا يبكيان حتى نوذيا أن يا جبريل وبيا محمد إن الله تعالى قد أنكنا أن تعصيه فارفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضعحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أو أسفتم الطعام والشراب وخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله - عز وجل - فودي يا محمد لا تقط عبادي إنما هم منك مشركا ولم أبعثك مبشرا فقال ﷺ سددوا وقاربوا .

وروي أنه ﷺ قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ، وابن ماجه والحاكم وصححه أن نازكم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بماء مرتين لما انتعشتم بها وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها . والبيهقي أن عمر - رضي الله عنه - قرأ : ﴿ كلما مضت جلودهم بمكافهم جلودا غيرها ليدفروا القذاب ﴾ (١) قال يا كعب أحبرني بتفسيرها فإذا صدقت صدقتك وأن كذبت رددت عليك فقال إن جلد ابن آدم يحرق في ساعة أو في يوم ستة آلاف مرة قال صدقت والبيهقي أن الحسن البصري قال في الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلهم قيل لهم صرحوا فيعودون كما كانوا . ومسلم يؤتى بأسم أهل الدنيا من أهل النار فيصبع في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط فيقول ما رأيت خيرا قط . ويؤتى بأبأس أهل الدنيا فيمس في الحبة غصة ثم يقال له هل رأيت مؤثما قط فيقول ما مؤثما في يؤس قط ولا رأيت شدة قط . وروي ابن ماجه يرسل البكاء على أهل النار فيسكب حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهبة الأحود لو

(١) الآية (٥٦) سورة النساء

﴿ثُمَّ مَجَى الدِّينَ انْقَرَأَ وَنُزِلَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتْ﴾ (١١) وروى أحمد أن جماعة احتلوا في الورد فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم يمجى الله الدين انقروا سأل بعضهم جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - فقال: تردونها جميعا ثم أهوى بأصبعه إلى أذنيه وقال سمعت إن لم أكن سمعت رسول الله يقول الورد الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برحا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن النار أوقال لجهنم ضحيجا من بردهم - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الدِّينَ انْقَرَأَ وَنُزِلَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتْ﴾ وروى الحاكم يرد الناس النار ثم يصنرون عنها بأعمالهم أو بهم كمنح البرق ثم كمنح الريح ثم كحضر العرس ثم كالراكب في رحله ثم كشذ الرجل ثم كمشبه -

الباب الحادي عشر بعد المائة

فِي وَفَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - « دخلت على رسول الله ﷺ بيت أمنا عائشة - رضي الله عنها - حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ، ثم قال مرحبا بكم حياكم الله أراكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إني لكم منه نذير مبين أن لا تعملوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمقلب إلى الله وإلى سكرة الموتى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأولى فاقربوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدى مني السلام ورحمة الله » (٢).

وروي أنه ﷺ قال لجبريل - عليه السلام - عند موته من لأرض يعطى ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخدله في أمته ، ويشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأم حتى يدخلها أمته ، فقال الآن قرت بيني وقالت عائشة - رضي الله عنها - أمرنا رسول الله ﷺ أن يغسله بسبع قرب من سبعة أبار فعلمنا ذلك فوجدوا حية فخرج فصلي بالناس واستغفر لأهل أحد ودها لهم وأوحى بالأنصار لا تزيد على ميتنها التي من عليها اليوم وأن الأنصار هي التي أوتت إليها فأكرموا كريمهم بمنى محسنهم ونجاوزوا عن مسيئتهم ثم قال أن هذا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فيكي أبو بكر - رضي الله عنه - وعظ أنه يريد نفسه فقال ليس ﷺ على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب والشوارع في المسجد ، وإلا ياب أي بكر فإنني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة - رضي الله عنها - فقبض ﷺ في بيته وفي يوم من يومين مسحري ونسحري وجسم الله

(١) آية (٧٦) سورة هود

١٩٨١ / ١٤٠٢ (٢)

بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أحمى عبد الرحمن وبينه سواك فحمل ينظر إليه فعرفت أنه يحبه ذلك فقلت له أحمده لك فأرأى برأسه أى نعم فتأولته إياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت ألبه لث فأوما برأسه أى نعم فليت وكأن بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذا والله لا يختارنا .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد فدخل العباس - رضي الله عنه - على النبي ﷺ فأعلمهم بمكانهم واشماقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي - رضي الله عنه - فأعلمه بمثله ، فوجد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا يقول محشي أن الموت ونصايح ساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ فإنا رسول الله ﷺ متوكت على علي والفضل ، والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يحيط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من الخبز وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنه بلفظي أنكم تخافون علي الموت كما أنه استكثار منكم للموت وما تفكرون من موت بيكم ألم أنع إليكم وتعي إليكم أنفسكم هل خلدني قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إنني لأحق بيري وإنيكم لأحقون به وإنني أوصيكم بالمهاجرين فيمن بعث غيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم فإن الله - عز وجل - قال : ﴿ وَالْفَصْرِ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفَرٌ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِهَا . وأن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر علي استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله قلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيراً ، لأنهم الذين تيوءوا الدار والنار والإيمان من قلوبكم أن تحسوا إليهم ، ألم يشاظروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ألا قم ولي أن يحكم بين رجس قليقل من محسبهم وليتجاوز عن مسيئتهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإنني فرط لكم وأنتم لأحقون بي ألا وإن موعدكم الخوض حوضي أعرض عما بين بصري الشام وصنعاء اليمن يعصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وألبن من الزبد وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظم أبداً حصباؤه اللؤلؤ ويطحواؤه المسك ، من حرمه في الموقف غذا حرم الخير كله ، ألا قم أحب أن يرد علي غذا فليكشف لسانه ويده إلا عما ينبتني . فقال العباس يا نبي الله أوصي بقريش فقال إني أوصي بهذا الأمر قرشا والناس تبع لقريش يرفعهم لجرهم ولما جرهم فاستوصوا آل قریش بالناس خيراً يا أيها الناس إن سبوت معير لجمع وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم أمتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي الْغَالِمِينَ غُلُوبًا مَا كَانَ لِأُولَئِكَ بِهَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٢) وروى ابن مسعود -

(٤) آية (١٧٩) سورة الأنعام

(١) آية (٣٠-١) سورة الأنعام .

رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأبي بكر - رضي الله عنه - سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليتهلك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن متقلبنا فقال إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفرحوس الأعلى والكأس الأولى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنأ ، فقال يا نبي الله من يلي غسلك ، قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال فقيم نفسك قال ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر ، فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم غيرا إذا غسلكموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على الله عز وجل : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ (١) ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها - صلى الله عليهم أجمعين - ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بزيك ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم الأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم ويرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى . وقالت عائشة - رضي الله عنها - فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ وأوا منه خفة في أول النهار ففترق عنه الرجال إلى منازلهم وحوادثهم مستبشرين وأدخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينما نحن على ذلك لم تكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك إذ قال رسول الله ﷺ اخرجن عنى هذا الملك يستأذن على فخرج من في البيت غيرى ورأسه في حجرى فجلس وتحنيت في جانب البيت فنأى الملك طويلا ثم إنه دهاني فأعاد رأسه في حجرى وقال للنسوة ادخلن ، فقلت ما هذا يحسن جبريل - عليه السلام - فقال رسول الله ﷺ أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله - عز وجل - أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لى أرجع وأن أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ، أكف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهله ساعة جبريل قالت عائشة - رضي الله عنها - فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجئنا وكأنا شربنا بصاغة ما نحير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملائكة أجوافنا قالت وجاءه جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال إن الله - عز وجل - يقرأ عليك السلام ويقول كيف تحمدك وهو أعلم بالذى تحمد منك ولكن أراد أن يذكرك كرامة وشرقا وأن يتم كرامتك وشرقتك على الخلق وأن تكون سنة في أمتك فقال أجبتنى وجما فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن يهلك ما أحد لك فقال يا جبريل أن ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن

ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذا حتى يجي . وأذن للنساء فقال يا فاطمة أدنين فأكبت عليه ففاجأها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطبق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه ففاجأها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطبق الكلام فكان الذى رأينا عنها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فيكبت ثم نال إنى دعوت الله أن يلمحك منى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنت ابنها منه فشعها ، فقالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن له فقال للملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقنى برى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد على أحد ترده عنك ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمد بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجعنا وأشفقنا ، قالت فقمعت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثدى وأمسكت بصدرة وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجهه ترشح رشحاً ما رأيت من إنسان قط فجعلت أصمت ذلك العرق وما وجدت راحة شىء أطيب منه فكتكت أقول له إذا أفاق بأبى أنت وأمى ونفس وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح ، فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شديفه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعدنا وبصت إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعته إلى أبى فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجي . أحد وإنما صدمه الله عنه لأنه ولأه جبريل وميكائيل وجعل إذا غمى عليه قال بل الرفيق الأعلى كأن الحيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يومى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانقضاء النهار يوم الاثنين ، قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم اثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة ، أو قالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات رسول الله ﷺ وفيه قتل على وفيه قتل أبى فما لقيت من يوم الاثنين . وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بشوى فاختلوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وغلط آخرون ملائكة الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن اخرس ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبى بكر والعباس فإن الله - عز وجل - أبينهما بالتوفيق والسادد وإن كان للناس لم يرفعوا إلا بقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذى لا إله الا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ولقد قال وهو

بين أظهركم : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مُبْشَرُونَ ﴾ (١) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَسَدٌ رِيحُكُمْ تَخْطَمُونَ ﴿ (٢) وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لينبك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله ﷺ ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الْآنَ مَاتَ أَوْ قُبِلَ الْقَلْبُ عَلَى أَفْئَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ (٣) الآية . فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ .

وفي رواية أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلي على النبي ﷺ وعيناه تهلان وعصمه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه فقبل جبته وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فمظنت من الصفة وجللت عن البكاء وخصمت حتى صرمت مسلاة وجممت حتى صرنا بك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجئنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لانقلبت عليك ماء العمون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محال فان لا يرحان اللهم فأبلغه عنا . اذكرونا يا محمد - صلى الله عليك - عند ربك ولنكن من بالك فلولاً ما خلقت من السكينة لم يقم أحد لما خلقت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا آخر ما أقدمنا الله عليه واجذب قلوبنا إليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة وأرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلحقنا بنينا ﷺ على الإيمان إنه أكرم مسؤول وأزهو مأمول والحمد لله رب العالمين .

يقول مصححه الخائف وعيد ربه الراجي منه الوعد طه بن عبد الرزوق سعد :

الحمد لله بنعمته تم الصالحات ونشهد إلا إله إلا الله شهادة تشغل ياربنا بها لنا ميزان الحسنات وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دها بدوهته واتبع سبيل المؤمنين .

أما بعد : فقد تم هذا الكتاب الشريف فذلك الصرح الفخم المنيف أرجو من الله أن يتوب ويغفر لكل من ساعد في نشر هذا الكتاب ولكل من قرأه أو سمعه واجعلنا من الذين يسمعون القول فيشبهون أحسنه واجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويقولون فيخلصون ويخلصون فيقبلون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) آية (٣١-٣٢) سورة الزمر . (٢) آية (١٤٤) سورة آل عمران .

ترجمة حياة الإمام الغزالي

- ٥ في بيان الخوف
- ٧٠ في الخوف من الله تعالى
- ١٠ في الصبر والمرض
- ١٢ في الرياضة والشهوة النفسانية
- ١٥ في غلبة النفس وعداوة الشيطان
- ١٦ في الغفلة
- ١٩ في نسيان الله تعالى والفسق والتفك
- ٢١ في التوبة
- ٢٤ في المحبة
- ٢٦ في العشق
- ٢٩ في طاعة الله ومحبة ومجبة رسول الله ﷺ
- ٣٤ في ذكر إبليس وعذابه
- ٣٦ في الأمانة
- ٣٨ في إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع
- ٤١ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٤ في عداوة الشيطان
- ٥٢ في بيان الأمانة والتوبة
- ٥٧ في فضل الترحم
- ٥٩ في بيان الخشوع في الصلاة
- ٦٢ في بيان النية والندبة

- في بيان الزكاة ٦٦
- في بيان الزنا ٦٧
- في صلة الرحم وحقوق الوالدين ٧٢
- في بر الوالدين ٧٦
- في الزكاة والبخل ٧٨
- في طول الأمل ٧٩
- في ملازمة الطاعة وترك الحرام ٨٤
- في بيان ذكر الموت ٨٨
- في ذكر السموات والأجناس المختلفة ٨٩
- في بيان الكبرى والعرش وبيان الملائكة والأرزاق والتوكل ٩١
- في ترك الدنيا وذمها ١٠٢
- في ذم الدنيا ١٠٦
- في فضل القناعة ١١٠
- في فضل الفقراء ١١٥
- في اتخاذ ولي من دون الله وفي بيان العرصات ١١٧
- في النفع والضرر والخير والشر من المقابر ١٢٠
- في بيان القضاء بين الخلائق ١٢٢
- في بيان ذم المال ١٢٥
- في الأعمال والميزان وعذاب النار ١٣١
- في فضل الطاعة ١٣٣
- في الشكر

- في بيان ذم الكبر ١٣٩
- في التفكير في الإيمان وغيرها ١٤١
- في بيان شدة الموت ١٤٤
- في بيان القبر وسؤاله ١٤٧
- في بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض ١٤٨
- في فضل ذكر الله تعالى ١٥١
- في فضل الصلوات ١٥٢
- في بيان عقوبة تارك الصلاة ١٦١
- في بيان عرصات جهنم وعذابها ١٦٣
- في بيان عذاب جهنم أيضاً ١٦٦
- في بيان فضل الخوف من الذنب ١٦٨
- في بيان فضل التوبة ١٧٢
- في بيان النهي عن الظلم ١٧٤
- في النهي عن ظلم اليتيم ١٧٥
- في بيان ذم الكبر ١٧٧
- في فضل التواضع والقناعة ١٧٩
- في بيان غرور الدنيا ١٨١
- في بيان ذم الدنيا والتحذير منها ١٨٥
- في فضل الصدقة ١٨٧
- في قضاء حاجة أخيه المسلم ١٨٨
- في فضل الوضوء

١٩٢	في فضل الصلوات
١٩٣	في بيان أهوال القيامة
١٩٥	في صفة جهنم والميزان
١٩٥	في بيان ذم الكبر والعجب
١٩٦	في الإحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم
١٩٨	في تحريم أكل الحرام
٢٠٠	في النهي عن الربا
٢٠٢	في حقوق العبد
٢٠٣	في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد
٢٠٧	في صفة الجنة ومراتب أهلها
٢١٠	في الصبر والرضا والقناعة
٢١٢	في فضل التوكل
٢١٣	في فضل المسجد
٢١٤	في الرياضة وفضل أهل الكرامة
٢١٧	في الإيمان والتفاني
٢١٩	في النهي عن الغيبة والنميمة
٢٢٢	في بيان عداوة الشيطان
٢٢٣	في بيان المحبة ومحاسبة النفس
٢٢٥	في بيان تلبيس الحق بالباطل
٢٢٧	في فضل صلاة الجمعة
٢٢٨	في فضل صلاة الليل

٢٣٠	في عقوبة علماء الدنيا
٢٣١	في فضل حسن الخلق
٢٣٣	في الضحك والبكاء واللباس
٢٣٤	في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء
٢٣٥	في فضل الصلاة والركعة
٢٣٦	في بر الوالدين وحقوق الأولاد
٢٣٨	في حقوق الجوار والإحسان للمساكين
٢٤٠	في عقوبة شارب الخمر
٢٤١	في معراج النبي ﷺ
٢٤٣	في فضل الجمعة
٢٤٤	في حق الزوجة على الزوج
٢٤٦	في حق الزوج على الزوجة
٢٤٨	في فضل الجهاد
٢٤٩	في مكر الشيطان
٢٥١	في بيان السماع
٢٥٣	في النهي عن البدعة واتباع الهوى
٢٥٤	في فصل في النهي عن آلة اللهم
٢٥٥	في فضل رجب
٢٥٦	في فضل شعبان المبارك
٢٥٨	في فضل رمضان المعظم
٢٥٩	في فضل ليلة القدر
٢٦٠	في فضل العيد
٢٦١	في فضل عشر ذي الحجة
٢٦٣	في فضل عاشوراء
٢٦٤	في فضل ضيافة الفقراء
٢٦٥	في الكلام على الجبارة والتفسير
٢٦٧	في التخويف من عذاب جهنم
٢٦٩	في الميزان والعصاة
٢٧٠	في وفاة النبي ﷺ
٢٧٩	في شهر رمضان